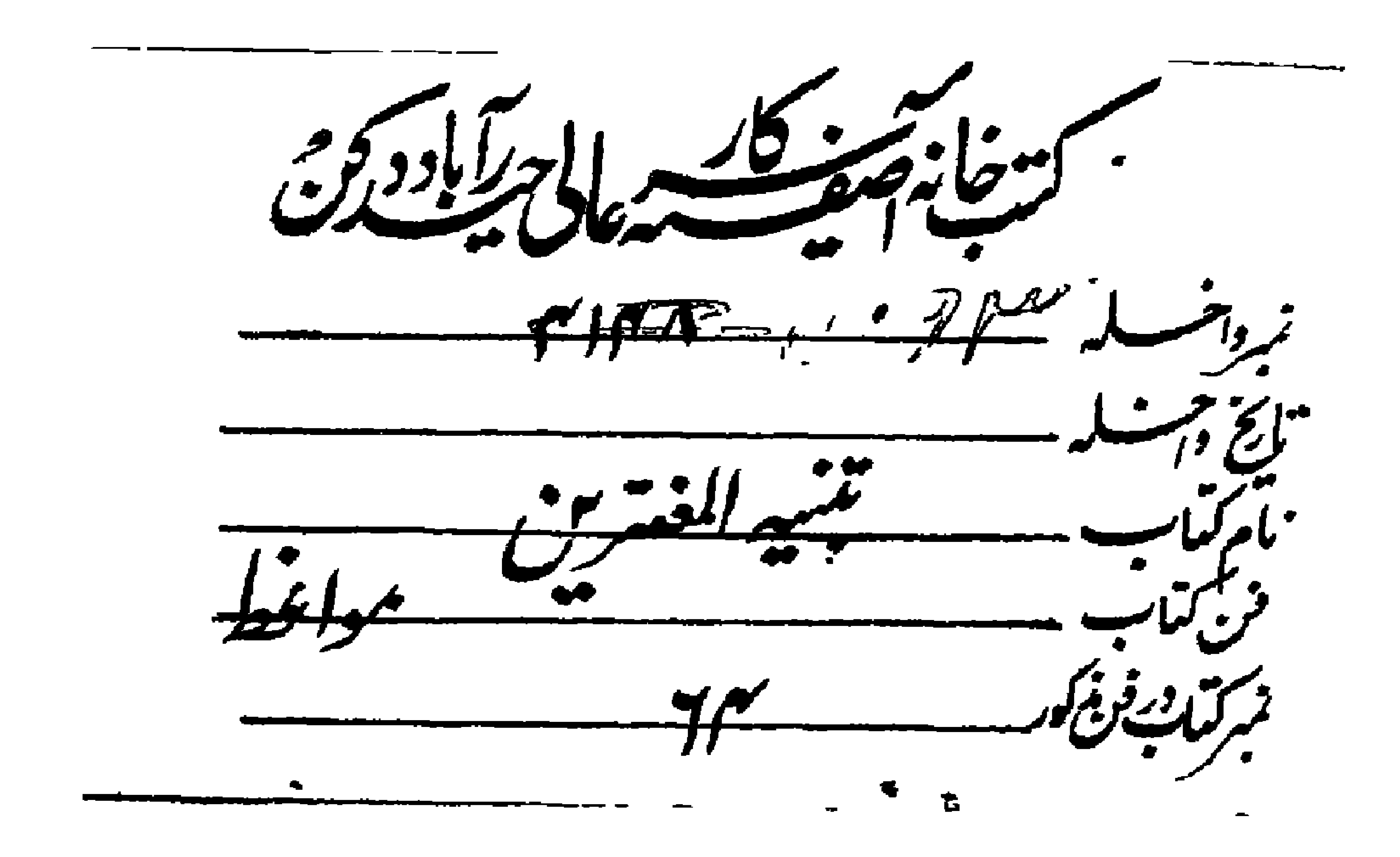
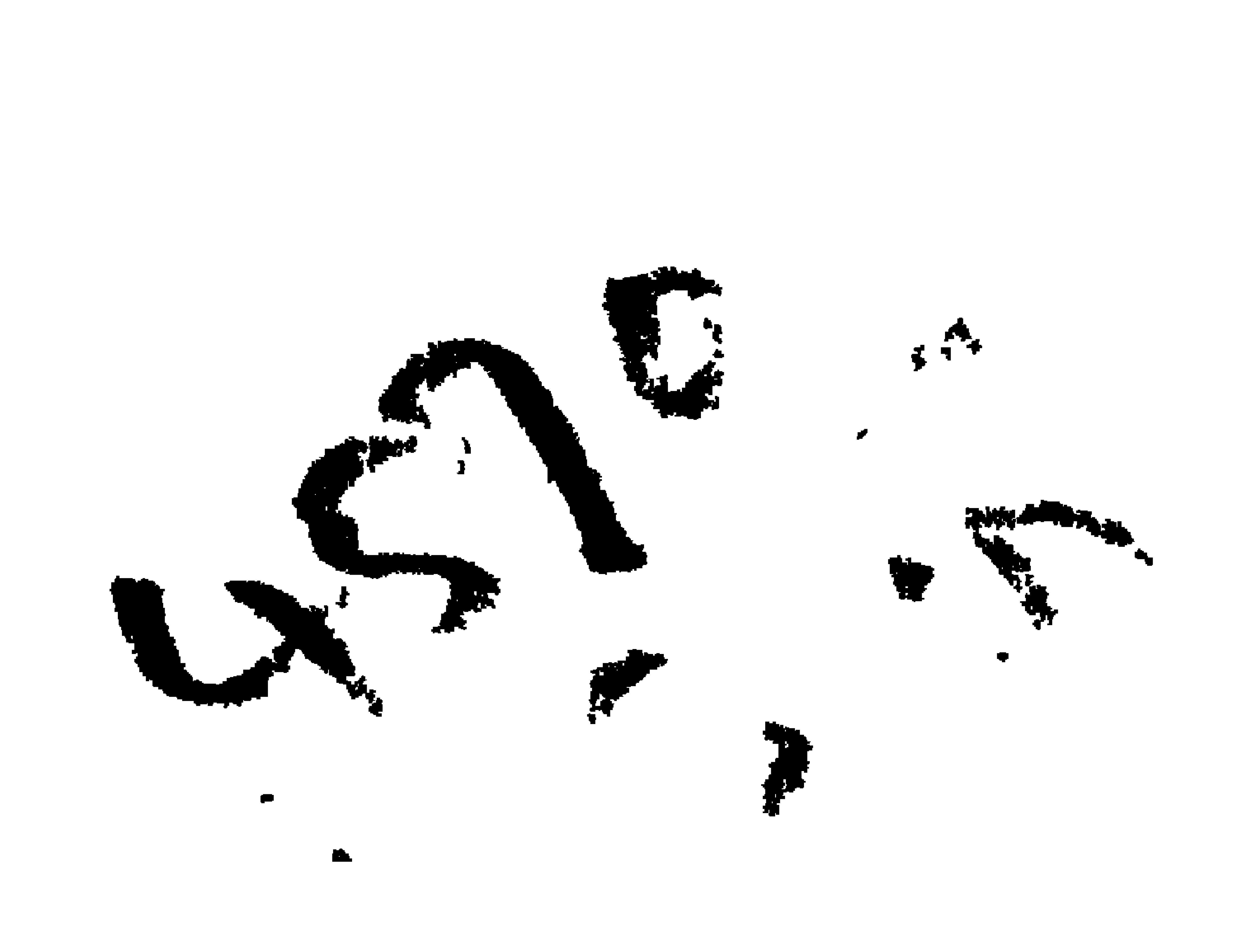


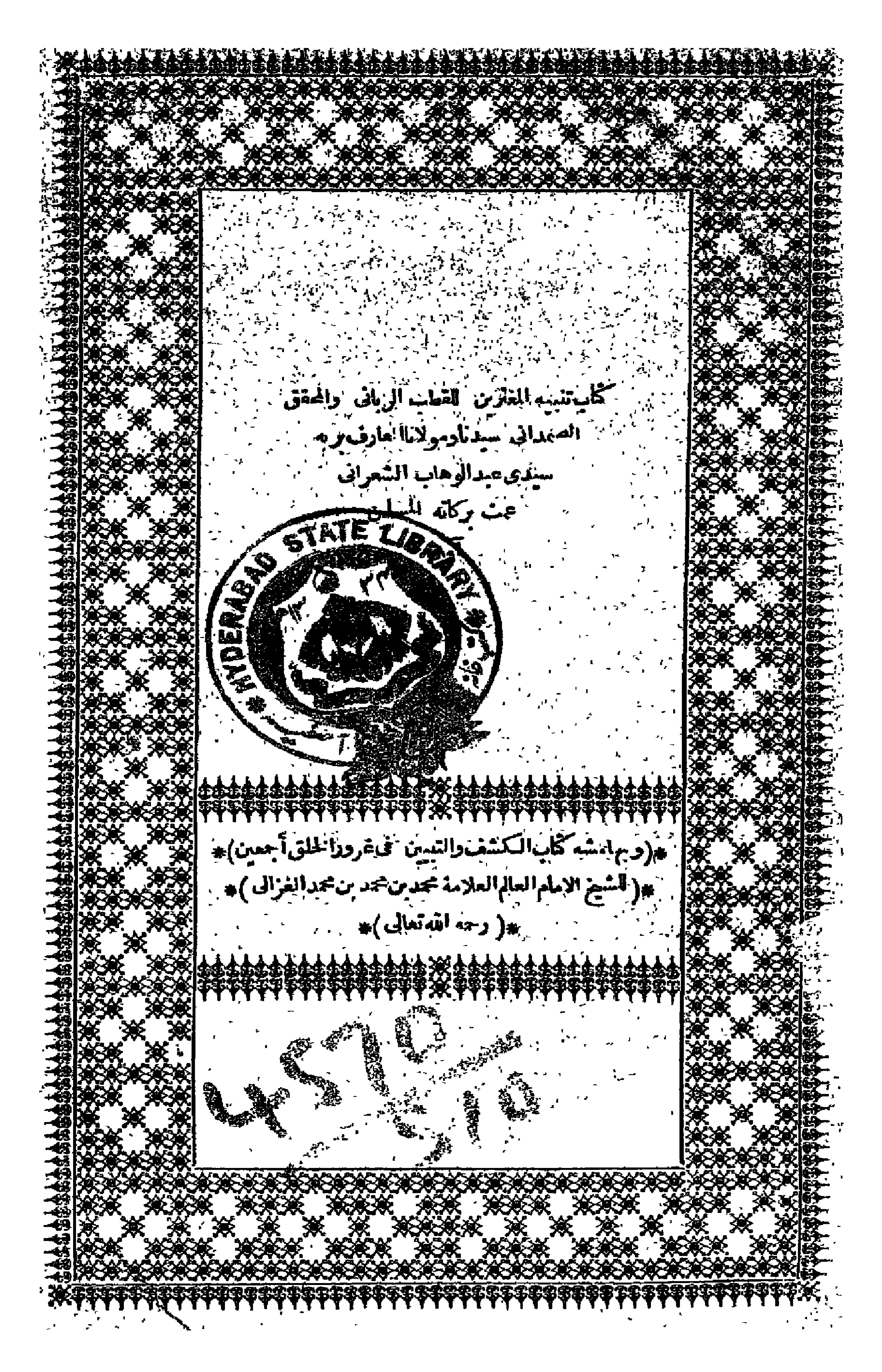


صحيفه

صحيفة

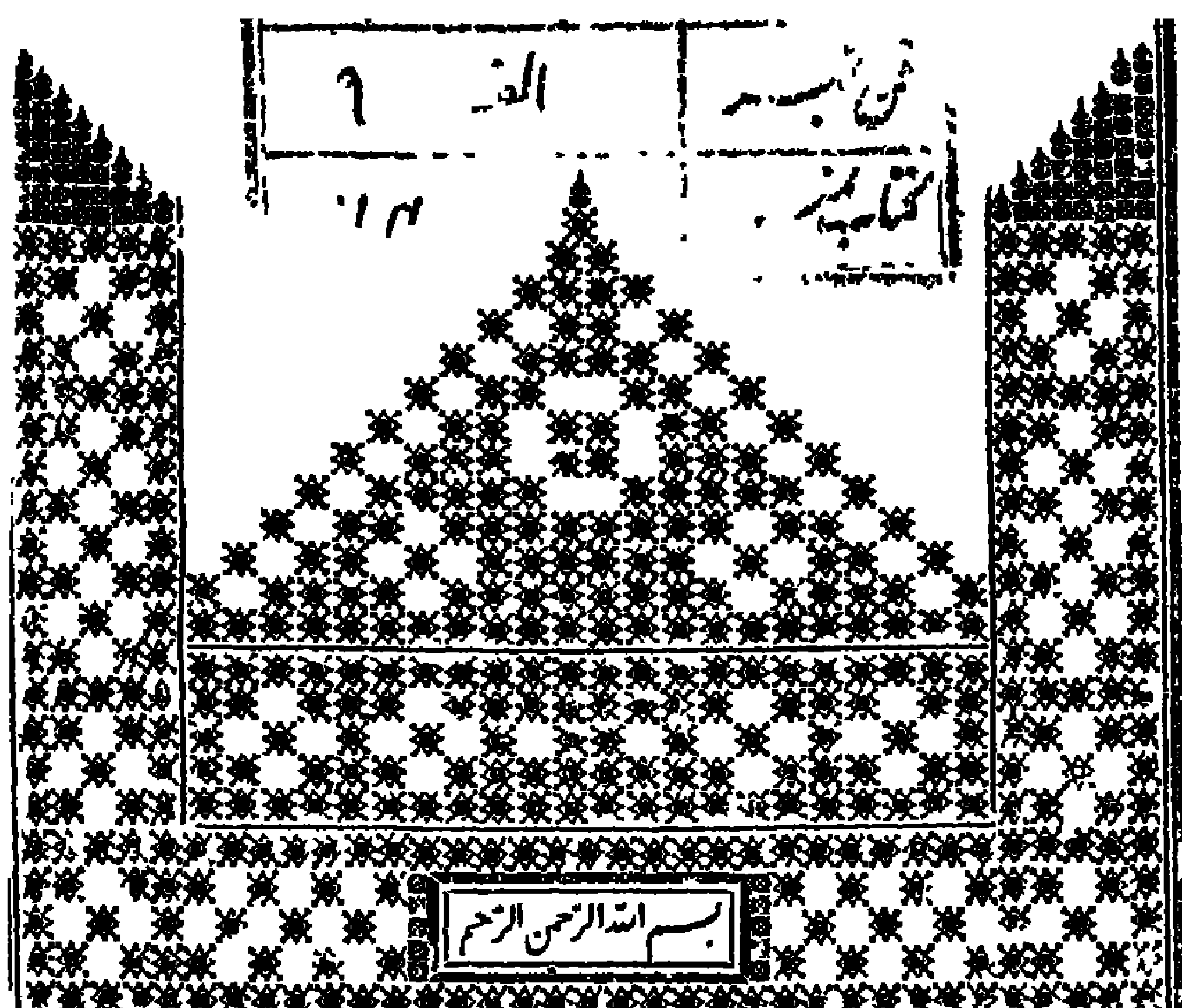
صحيفة

(تمت الفهرست)



كتاب تنبيه المغترين للقطب الرباني والمحقق
الصمداني سيدنا ومولانا العارف بربه
سيدي عبد الوهاب الشعراني
عمت بركاته المسلمين

(وبهامشه كتاب الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين)
(للشيخ الامام العالم العلامة محمد بن محمد بن محمد الغزالي)
(رحمه الله تعالى)



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين
وأقول سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم *(وبعد)* فهذا كتاب نفيس صغير الحجم كبير
القدر ضمنته جملة صالحة مما كان عليه السلف الصالح من صفات معاملاتهم مع الله تعالى ومع خلقه وحررته على
الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك بحسب فهمي حال التأليف فهو كالكتاب المسمى المنهاج للامام
النووي في الفقه فكما ان علماء العصر يفتون الناس بما فيه وما حوى من الترجيحات كذلك علماء الصوفية
رضي الله عنهم يفتون بما في هذا الكتاب من النقول المحررات الجيدات فاني شيدت أخلاقه بافعال السلف
الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضي الله عنهم أجمعين و مما من الله تعالى علي التخلق به
أوائل دخولي في طريق صحبة القوم خوفا أن يقول بعض المتعنتين كيف يأمرنا فلان بالتخلق باخلاق القوم
وهو نفسه لم يقدر على هذه الاخلاق فلذلك صرحت بكثير من الاخلاق التي من الله تعالى بها علي دون أقراني
بقولي وهذا خلق غريب لم أجد من تخلق به في هذا الزمان غيري تنبيها للسامعين على تخلق به واني مادعوتهم
الى التخلق به الا بعد تخلقي به ولولا ذلك لكان الاولى بنا كتم ذلك من الاخوان كبقية أعمالنا التي لم نؤمر
بطلب الاقتداء بنا فيها اذ لا فائدة في اظهار الاعمال الا لاحد شيئين اما ليقتدي الناس بالعبد فيها واما ليظهرها
من باب الشكر لله تعالى لا غير وكان لسان حالي يقول لكل متعنت انظر يا أخي في أخلاقي فما وجدتني بأتي
متخلقا به فتخلق به وما بقي لك عذر وما لم تجد في متخلقا به فعذري عذرك فيه وكثيرا ما أكرر الخلق مرارا
بعبارات مختلفة اقتداء بالقرآن العظيم وبصحيح الامام البخاري وغيره من كتب الادلة وبيانا للاعتناء بشأن
ذلك الخلق وكثرة تساهل الناس بتركه كما أقول في بعض الاوقات وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان
ولا أعلم أحدا من أقراني تخلق به غيري اشارة لقلة من تخلق به من الاقران لا ازدراء للاخوان كما قد يتوهم
معاذ الله ان أتعمد مثل ذلك وكان من البواعث العظام لي على تأليف هذا الكتاب ما رأيته من تفتيش جماعة
مولانا السلطان سليمان بن عثمان في النصف الثاني من القرن العاشر على ما اختلسه العمال وغيرهم من
ماله نصره الله وما رأيت أحدا من علماء الشرع يفتش على ما اندرس من معالم أخلاق الشريعة المحمدية نصرة

لرسول

هذا الرحمن الرحيم

شاذ

الفا

(الحمد لله) ... لى سيدنا محمد
... وعليه وسلم آمين
... الحمد لله وحده
الا ... على خير خلقه
... وعلى آله وصحبه
(وبعد) فهذا كتاب الكشف
والتبيين في غرور الخلق
أجمعين * اعلم أن الخلق
قسمان حيوان وغير
حيوان والحيوان قسمان
مكلف وغير مكلف فالمكلف
من خاطبه الله بالعبادة
وأمرهم ووعدهم بالثواب
عليها ونهاهم عن المعاصي

لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل جماعة مولانا السلطان نصره الله ما أخذتني الغيرة الايمانية على الشريعة وألفت هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من معالم أخلاقها في دولة علمائها الظاهر والباطن فهو نافع لكل فقيه وصوفي في هذا الزمان لا يكاد أحدهم يستغني عن النظر فيه كما ستعرفه عند مطالعتك الكتاب ان شاء الله تعالى وهو كالسيف القاطع لعنق كل مدع للمشيخة في هذا الزمان بغير حق لانه يسلبه حتى يرى نفسه منسلخة من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها واني أعرف بعض جماعة بلغهم أمر هذا الكتاب فتكدروا ولو أمكنهم سرقته وغسله لفعلوا خوفا أن ينظر فيه أحد ممن يعتقدهم فيتغير اعتقاده فيهم حين يراهم بمعزل عن التخلق بأخلاق القوم الذين يزعمون أنهم خلفاؤهم وكان الاولى بهم الفرح والسرور به فانه كله نصح ولا يجد أحد منهم من ينصحه بمثله في مثل هذا الزمان وقد ألف أخي الشيخ أبو الفضل رحمه الله ميزانا في نصح اخوانه وغيرهم نحو خمسة أوراق فكتبوها بماء الذهب واللازورد وهم حوام أشد الفرح فرضي الله عن الصادقين آمين وكان تأليفي لهذا الكتاب بحسب الوقائع التي تقع مني ومن أصحابي وما من خلق ذكرته فيه الا وهو وارد على سبب أمر فيه فرحم الله من رأى فيه خللا فأصلحه مساعدة لي على الخير فانه ليس منقولا من كتب بالاصالة وانما هو كالاستنباط من الكتاب والسنة وأقوال الائمة وجميع ما ذكرته فيه من النقول انما هو كالاستشهاد لما ذكرته لا غير كما ستراه ان شاء الله تعالى واذا كان المؤلف أول مستنبط لما ذكره احتاج كلامه الى من يتعقبه ويستدرك عليه ضرورة كما استدرك العلماء من المتأخرين على من سبقهم بخلاف من كان مؤلفه مجموعا من نقول المتأخرين فان كلامه لا يحتاج الى التعقب الا في النادر وذلك لانه يرى تنكيت العلماء على بعضهم فيأخذ العبارة السالمة من التنكيت كما فعل شيخنا شيخ الاسلام زكريا الانصاري في مؤلفاته رضي الله عنه فلذلك من ألف كتابا لم يسبق اليه فقد جعل كلامه هدفا لجميع المفسرين والمحدثين والفقهاء والاصوليين والنحاة والمتكلمين والصوفية والبيانيين وغيرهم فيحتاج في كل قولة الى جدال جميع هؤلاء العلماء قبل أن يضع تلك القولة قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وذلك لعدم استحضار المؤلف جميع ما قيل في تلك المسئلة وما يرد على منطوقها ومفهومها حال الكتابة ولو انه قدر على ذلك ما احتاجت الكتب الى شروح ولا احتاجت الشروح الى حواش عليها وهذا شاني في مؤلفاتي كلها ما عدا الحديث والمختصرات من أصول وكلها مستنبطة من الكتاب والسنة وقد كان الامام عمر بن الخطاب يفتي الناس ويقول هذا قول عمر فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمن عمر انتهى وكذلك كان أبو حنيفة رضي الله عنه يفتي ويقول هذا أكثر ما قدرنا عليه في العلم فمن وجد أوضح منه فهو أولى بالصواب وكثيرا ما كان يقول هذه فتوى النعمان فان كانت صوابا فمن الله وان كانت خطأ فمن النعمان والتبعة عليه فيها في الدنيا والآخرة وهكذا يقول مؤلف هذا الكتاب وأرجو من فضل الله أن يكون هذا الكتاب كالمبين لما اندرس من أخلاق القوم رضي الله عنهم بعد الفترة التي حصلت بعد موت الاشياخ الذين أدركناهم في النصف الاول من القرن العاشر فقد أدركنا بحمد الله تعالى نحوا من مائة شيخ كان كل واحد منهم يستسقى به الغيث كسيدي علي المرصفي وسيدي محمد الشناوي وسيدي محمد بن داود وسيدي أبي بكر الحديدي وسيدي عبد الحليم بن مصلح وسيدي أبي السعود الجارحي وسيدي تاج الدين الذاكر وسيدي محمد بن عنان وسيدي علي الخواص وغيرهم ممن ذكرناهم في كتاب طبقات العلماء والصوفية فكل هؤلاء كانوا على قدم عظيم في الزهد والعبادة والورع وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن استعمالها في شئ مما نهاهم الله عنه وكان أحدهم لا يقبل شيئا من أموال الولاة ولو كان في غاية الضيق بل يطوي ويجوع حتى يجد شيئا من الحلال ولم يكن أحد منهم يتعاطى ركوب الخيل ولا الملابس الفاخرة ولا الاطعمة النفيسة ولا يتزوج المنعمات ولا يسكن في القاعات المزخرفات الآن وجد ذلك منهم الا في نادر من الاوقات وكان الملوك يعرضون عليهم الرزق والجوالي والمسامح والرتبات من بيت المال فيأبون ذلك ويقولون مال السلطان انما هو معد لصرفه في المصالح واقامة شعائر الدين وانفاقه على الجند الذابين عن المسلمين ونحن ليس فينا نفع لاحد وكان

وحذره العقوبة وغـ[...] المكلف من لم يخاطبه بذا[...] ثم المكلف قسمان مؤ[...] وكافر والمؤمن قسمـ[...] طائع وعاص وكل وا[...] من الطائعين والعاصـ[...] ينقسم الى قسمين عالم وجا[...] ثم رأيت الغرور لازما لجميـ[...] المكلفين المؤمنين والا كا[...] الا من عصمه الله وبالعـ[...] وأما ان شاء الله تـ[...] أ كشف عن غرو[...] علمها وأبين الجهة [...] الايضاح وأبلغه [...]نظرون [...]نهم بأوجز ما يكون [...]ون علـ[...] وأبدع ما يكون [...]

أحدهم يقنع بالكسرة اليابسة يغمسها في الماء ويكتفي بها منهم الشيخ أمين الدين الغمري والشيخ محمد المغربي شيخ الجلال السيوطي ودخل عليه السلطان قايتباي مرة وهو يأكل رغيفا يابسا بله في الماء فعرض عليه ألف دينار فردها وقال لا حاجة لي بها وأنشد السلطان يقول

اقنع بالقوت وشربة ماء ولبس الخيش * وقل لنفسك يا أولاد الارض راح وايش

فحصل للسلطان عبرة وبكى وحمل الالف دينار فأين حال هؤلاء المشايخ من مشايخ هذا الزمان الذين يسافرون من مصر أو الحجاز أو الشام الى الروم والعراق ليسألوا أن يرتب لهم السلطان جوالي أو معلوما أو مرتبا مع ان أحدهم يجد في بلده ما يكفيه وكان الاولى بهم لو عرض عليهم ذلك ان يردوه ولا يزاحموا جند السلطان في مال المصالح كما درج عليه سلفهم الصالح بل لم نر أحدا من مريدي المشايخ الذين أدركناهم يسافر من بلده في طلب الدنيا فضلا عن المشايخ لان أول قدم يضعه المريد في الطريق ان يخرج عما بيده من الدنيا ويرميه في بحر الاياس كما هو معلوم وقد سافر مرة من مشايخ مصر شخص الى الروم فاجتمع بالوزير اياس باشا فقال له ما صنعتك فقال شيخ من أهل الطريق فقال له اياس فما حاجتك التي جئت فيها قال ترتبوا لي شيئا من بيت المال فقال له الوزير هل تعلم ان أحدا في مصر مثلك في الطريق فقال لا فقال له اياس أف لك من شيخ اذا كان هذا حالك وأنت تزعم انه ليس أحد في مصر أعلى منك مقاما في الطريق فكيف ببقية المشايخ لقد أزريت بالفقراء وبمسلك الطريق فان آحاد المريدين لو فعل مثل ذلك وسافر من بلده الى غيرها في طلب الدنيا لخرج عن طريق الارادة فكيف تفعل أنت مثل ذلك في حال نهايتك ثم ان الوزير أمر باخراجه من عنده فرجع خاسرا لما طلب ووقع لشخص من الشام انه سافر الى الروم يطلب له زيادة مرتب من الجوالي وكانوا أعطوه قبل ذلك أربعين نصفا كل يوم فلما بلغ اسلامبول جلس في طريق البلد وأرسل قاصده الى الوزير وكان اذ ذاك اياس باشا أيضا يعلمه بقدوم سيدي الشيخ ليخرج الى لقائه فأبى الباشا وقال للقاصد قل له ان كان لكم عندنا حاجة فأتونا الى البيت فذهب القاصد للشيخ وأخبره بمقالة الوزير ثم قال الوزير يا عجبا كيف يسافر هذا من الشام الى الروم في طلب الدنيا ويطلب من الامراء ان يعظموه ويخرجوا الى لقائه مع انه يحتاج اليهم وليس أحد منهم يحتاج اليه واذا كان هذا يزعم انه ولي وقد راض نفسه باصناف المجاهدات وهو يرى نفسه على الامراء لاجل طلب الدنيا فكيف بنا نحن مع علمنا باختلاط نفوسنا وعدم حاجتنا اليه ثم ان الباشا أرسل للشيخ ضيافة ولم يأت اليه وقال انما فعلت ذلك مع الشيخ لاعلمه الادب فان ذهاب مثلنا انما يكون لمن نعرض عليه الدنيا فيردها علينا وأما من يطلبها منا ويسافر من وطنه لاجل ذلك فلا يستحق ان أحدا منا يمشي اليه وآخر الامر ان الشيخ رجع خائبا الى بلاده وقال لي الامير محمد دفتردار مصر مرة أنا لا أعتقد في مشايخ مصر الآن ولو مشى أحدهم في الهواء فقلت له لماذا فقال لاني رأيتهم يجتهدون في طلب الدنيا أكثر مما نجتهد نحن فيها قال وقد دخل علي شيخ منهم في رمضان ليفطر عندي فقلت له هذا الطعام عندي في حله شك فلا تأكل منه فقال قد مد لحوم على حسابه في الآخرة فكيف أعتقد مثل هذا وأنا لا تطيب نفسي ان آكل منه مع اني معدود من الظلمة اه ولما مات الشيخ نور الدين الشمرلي رأيته في المنام وقال أنا نادم على قبول الرزقة التي أعطاها لي خاير بيك فاني طول عمري كنت حرا اه فإياك يا أخي ان تظن بالمشايخ الذين أدركناهم انهم كانوا مثل هؤلاء في قلة الورع والقناعة فتسيء الظن بهم وإياك يا أخي أن تتظاهر بالمشيخة في هذا الزمان الآن كنت محفوظ الظاهر والباطن من التخليط كما كل أحوال الكشاف ومشايخ العرب والظلمة فان تظاهرت بذلك وظاهرك غير محفوظ مقت خنت الله ورسوله وأهل الطريق وأتلفت دين من يتبعك وكان عليك اثم الائمة المضلين زيادة على اثمك لا سيما ان ادعيت انك أعلى مشايخ مصر مقاما ولذلك وضعت هذا الكتاب كالميزان الذي يتبين به الرابح من الخاسر والحق من المبطل والصالح من الطالح فاعرض يا أخي ما فيه من الاخلاق على كل من طلبت أن تصحبه من هؤلاء المشايخ الظاهرين في هذا الزمان فان وجدته متخلقا به فاصحبه واقتد به وقبل رجله وان وجدته غير متخلق به فاضرب عنه صفحا من غير ازدراء له وكل أمره الى

ومنشعب من المتصوفة فأول ما نبدأ به غرور الكفار وهم في غرورهم قسمان منهم من غرته الحياة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور فأما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك ولا يترك اليقين بالشك [illegible] قياس فاسد وهو من ابليس لعنه الله في [illegible] ستهم به فظن ان [illegible] وعلاج [illegible] ان اما [illegible] الايمان واما ببرهان أما التصديق فهو أن يصدق الله تعالى في قوله وما عند الله خير وأبقى وقوله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وتصديق الرسول فيما جاء به وأما

الله تعالى فأكرمه من كتاب جاء على حين فترة من أيام الرجال الصادقين يجدد للناس ما اندرس من أخلاق القوم كما درج عليه العلماء العاملون في كل عصر فيأتي أحدهم فيجدد بمؤلفاته ما اندرس من معالم الطريق كالحرث المحاسبي وأبي طالب المكي وأبي نعيم وأبي القاسم القشيري والامام الغزالي والشهاب السهروردي وغيرهم رضي الله عنهم وقد كان من آخر المجددين في القرن الثامن سيدي الشيخ أبو عبد الله محمد الغمري المدفون بالمحلة الكبرى رحمه الله تعالى فكانوا يسمونه فقيه الصوفية فانه ضبط في مؤلفاته أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق السلف الصالح ولا أعلم أحدا جاء بعده حذا حذوه في ضبط أخلاق القوم غيري بحمد الله تعالى كما ستراه ان شاء الله تعالى في هذا الكتاب ولو ان أحدا فعل ذلك في هذا العصر غيري لكنت دللت الاخوان على مطالعة مؤلفه وكنت لم أتعب نفسي في تأليف هذا الكتاب لانه يصير حينئذ لا فائدة فيه ولعل قائلا يقول ان مطالعة كتابك هذا يكشف عورات الفقراء من أهل العصر فهلا أسبلت ذيل الستر على اخوانك فانه لايدع أحدا يعتقد في أحد من مشايخ هذا العصر فنقول لهذا القائل ان جمهور العلماء والصوفية من السلف قد سبقونا الى التأليف في مثل ذلك وبينوا أخلاق الصالحين من الطالحين والصادقين من الكاذبين والمتطفلين من المخلصين ولم يلتفتوا الى كون ذلك يلزم منه كشف سوأة من كان بخلاف الصفة من أخلاق السلف الصالح قال الله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر فهو وان لزم من بيان صفات الصالحين هتك أستار الكاذبين فلا حرج عليهم في ذلك لقصدهم بالاصالة الخير للمسلمين ومعلوم ان الاثم انما هو تابع للقصد نظير ما قاله العلماء في الجنب يقرأ القرآن لا بقصد القرآن أنه لا يأثم قالوا لانه لايكون قرآنا الا بالقصد ويؤيد ذلك ما ذهب اليه جمهور علماء الاصول من أن لازم المذهب ليس بمذهب فعلم أنه يجب حمل أشياخ الشريعة والحقيقة الذين حطوا على أهل زمانهم انهم انما قصدوا رفع همة اخوانهم الى أرفع مما هم عليه من الاخلاق الحسنة لا غير محبة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي احياء شريعته لا لتشفي النفس من الاقران وطلب الرياسة عليهم وانتشار الصيت عليهم بالصلاح حاشاهم رضي الله عنهم من قصد مثل ذلك وأسأل الله تعالى من فضله أن ينفع بهذا الكتاب مؤلفه وكاتبه وسامعه والناظر فيه انه سبحانه وتعالى سميع مجيب *(وسميته تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر) * جعله الله تعالى خالصا لوجهه الكريم وأعيذه بكلمات الله التامات من شر كل عدو وحاسد يدس فيه ما ليس من كلامي مما يخالف ظاهر الكتاب والسنة كل ذلك لاجل أن ينفر الناس من مطالعته ويحرمهم مما فيه من الفوائد كما وقع لي ذلك في كتابي المسمى بالبحر المورود في المواثيق والعهود وفي مقدمة كتابي المسمى بكشف الغمة عن جميع الامة وحصل بسبب ذلك فتنة عظيمة في الجامع الازهر وغيره وظن غالب المتهورين أن ما دسوه من العقائد الزائغة والمسائل الخارقة لاجماع المسلمين من جملة ما اعتقدته وتدينت به وما سلم من الوقوع في عرضي الا القليل من الناس ثم لم تخمد تلك الفتنة حتى أرسلت النسختين الصحيحتين من العهود ومن كشف الغمة الى العلماء بالجامع الازهر وكتبت بحمد الله تعالى قد اطلعت عليهما مشايخ الاسلام ووضعوا خطوطهم عليهما وأجازوهما ومدحوا تأليفهما فتفتشوهما فلم يجدوا فيهما شيأ مما دسه الحسدة وأشباههم فعند ذلك سوا من فعل ذلك وبرؤا ساحتي من تلك العقائد الزائغة بحمد الله وما تخلف بعد ذلك عن تبرئتي الا من وقف مع حظ نفسه ولم يستبرئ لدينه وكان من جملة من برأني وحماه الله من الوقوع في عرضي سيدنا ومولانا شيخ الاسلام الشهاب ابن النجار الحنبلي وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين اللقاني وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الرملي وسيدنا ومولانا الشيخ شهاب الدين الحلبي الحنفي وسيدنا ومولانا الشيخ ناصر الدين الطبلاوي والاخ الصالح الشيخ شمس الدين محمد الخطيب الشربيني والاخ الصالح الشيخ نور الدين الطندتائي والاخ الصالح الشيخ نجم الدين الغيطي والاخ الصالح الشيخ سراج الدين الحانوتي الحنفي والاخ الصالح الشيخ شمس الدين العلقمي والاخ الصالح الشيخ عبد القادر الرشيدي والاخ الصالح الشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي والاخ الصالح الشيخ زين الدين الجيزي والاخ الصالح الشيخ أمين

البرهان فهو ان يعسر وجه فسادها حسه ان تقو الدنيا بالنقد والآخرة بالـ مقدمة صحيحة وأما قو النقد خير من النسيئة في محل التلبيس وليس الا كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقـدار والمقصود فهو خير وان كان أقل منها فالنسيئة خير وعلوم أن الآخرة أبدية والدنيا غير أبدية ... قولهم لذات الدنيا يقينية ... ولذات الآخرة مشكوك فيها فهو أيضا باطل ... ولا يتطرق ... عند المؤمنين ... مدركان أحدهما الايمان والتصديق على وجه التقليد للانبياء والعلماء كما يقلد الطبيب الحاذق في الدواء والمدرك الثاني الوحي للانبياء والالهام للاولياء

الدين بن عبد العال وجماعة كثيرة ذكرناهم فى طبقات الاخيار رضى الله عنهم فكل هؤلاء لم يبلغنى ان أحدا منهم صدق فى شيأ مما دسه الحسدة وأعرف بعض جماعة من المتهورين فى الوقوع فى اعراض الناس يعتقدون فى سوء العقيدة بحكم تلك الاشاعة الى وقتنا هذا وما منهم أحد اجتمع بى قط ولا فاوضنى فى علم ولا رآنى وأنا أؤلف ولا قامت عنده بذلك بينة عادلة فالله تعالى يغفر لهم ويسامحهم وقد بلغنى عن شخص ممن ينسب الى العلم صار يقول ما هذه الامور التى تواترت عن هذا الرجل ومما هو متواتر مع أن الدس والاشاعة لم تكن من سوى شخصين من أهل مصر خاصة وهما معروفان بين أصحابنا لا ينبغى ذكرهما خوفا من سب الناس لهما وقد ماتا ودرجا الى رحمة الله تعالى فطالع يا أخى كتبى وانتفع بما فيها من النصح ولا تصغ الى قول حاسد فانى حررتها بحمد الله على الكتاب والسنة قبل ان اضعها فى الورق وانا رجل سنى محمدى وما ألفت شيأ من الكتب حتى تبحرت فى علوم الشريعة وحررت موادها على مشايخ الاسلام كالشيخ زكريا الانصارى والشيخ برهان الدين ابن أبى شريف والشيخ عبد الحق السنباطى والشيخ نور الدين المحلى واضرابهم رضى الله عنهم واياك يا أخى ان تلتفت الى قول أحد من أتباع هذين الشخصين الذين وقع منهما الدس فى كتبى فربما كان يعتقد فى السوء تقليد الشيخه وكان سبب تحريك داء الحسد فى هذين الشخصين انهما لما رأوا الناس بادروا الى كتابة مؤلفاتى دبرا تلك الحيلة ودسا فى كتبى العقائد الزائغة المتعلقة بالباطن لعلمهما انهما لو رمياني بالفسق والمعاصى الظاهرة لكذبهما الناس ولم يحصل لهما ما قصداه من تنفير الناس عن مطالعة كتبى وقد أبرأت ذمتهما فى الدنيا والآخرة وسامحت جميع من اغتابنى بسببهما فالحمد لله رب العالمين الذى جعلنا من أهل العفو والسماح اذا علمت ذلك فلنشرع فى مقصود هذا الكتاب ان شاء الله تعالى فاقول وبالله التوفيق والاعانة

(من أخلاق السلف الصالح) رضى الله عنهم ملازمة الكتاب والسنة كلزوم الظل للشاخص ولا يتصدر أحدهم للارشاد الا بعد تبحره فى علوم الشريعة المطهرة بحيث يطلع على جميع أدلة المذاهب المندرسة والمستعملة ويصير يقطع العلماء فى مجالس المناظرة بالحجج القاطعة أو الراجحة الواضحة وكتب القوم مشحونة بذلك كما يظهر من أقوالهم وأفعالهم وقد كان سيد الطائفة الامام أبو القاسم الجنيد رضى الله عنه يقول كتابنا هذا يعنى القرآن سيد الكتب وأجمعها وشريعتنا أوضح الشرائع وأدقها وطريقتنا يعنى طريق اهل التصوف مشيدة بالكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويحفظ السنة ويفهم معانيهما لا يصح الاقتداء به وكان رضى الله عنه يقول ما نزل من السماء علم وجعل الحق تعالى للخلق اليه سبيلا الا وجعل لى فيه حظا ونصيبا وكان رضى الله عنه يقول لاصحابه لو رأيتم رجلا قد تربع فى الهواء فلا تقتدوا به حتى تروا صنعه عند الامر والنهى فان رأيتموه ممتثلا لجميع الاوامر الالهية مجتنبا لجميع المناهى فاعتقدوه واقتدوا به وان رأيتموه يخل بالاوامر ولا يجتنب المناهى فاجتنبوه انتهى (قلت) وهذا الخلق قد صار غريبا فى فقراء هذا الزمان فصار أحدهم يجتمع بمن ليس له قدم فى الطريق ويتلقف منه كلمات فى الفناء والبقاء والشطح مما لا يشهد له كتاب ولا سنة ثم يلبس له جبة ويرخى له عذبة ثم يسافر الى بلاد الروم مثلا ويظهر الصمت والجوع فيطلب له مرتبا أو مسموحا ويتوسل فى ذلك بالوزراء والامراء فربما رتبوا له شيأ فيصير يأكله حراما فى بطنه لكونه أخذه بنوع تلبيس على الولاة واعتقادهم فيه الصلاح وقد دخل على شخص منهم فصار يخوض بغير علم ولا ذوق فى الفناء والبقاء ومعه جماعة يعتقدونه فواظبنى أياما فقلت له يوما أخبرنى عن شروط الوضوء والصلاة ماهى فقال لى أنا ما قرأت فى العلم شيأ فقلت له يا أخى ان تصحيح العبادات على ظاهر الكتاب والسنة أمر واجب بالاجماع ومن لم يفرق بين الواجب والمندوب ولا بين المحرم والمكروه فهو جاهل والجاهل لا يجوز الاقتداء به لا فى طريق الظاهر ولا فى طريق الباطن فخرس ولم يرد جوابا ثم انقطع عنى من ذلك اليوم وكان قد آذانى شرا من سوء أدبه فأراحنى الله منه وكان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله يقول ان طريق القوم رضى الله عنهم محررة على الكتاب والسنة تحرير الذهب والجوهر وذلك لان لهم فى كل حركة وسكون نية صالحة بميزان شرعى ولا يعرف ذلك الا من تبحر فى علوم الشريعة انتهى (قلت) فكذب والله وافترى من يقول ان

ولا تظن أن معرفة النبى صلى الله عليه وسلم لامور الآخرة ولامور الدنيا تقليد لجبريل عليه السلام فان التقليد ليس بمعرفة صحيحة والنبى صلى الله عليه وسلم حاشاه الله من ذلك بل قد انكشفت له الاشياء يشاهدها بنور البصيرة كما يشاهد المحسوسات بالعين الباهرة

(رسل)* والمؤمنون بالسنتهم وقلوبهم اذا سمعوا أمر الله وهى الاعمال الباطلة وتدنسوا ... فهم مشاركون الكفار فى هذا الغرور فالحياة الدنيا للكافرين والمؤمنين جميعا فمن وفى غرور الكافرين بالله فمثاله قول بعضهم فى أنفسهم بالسنتهم انه ان كان الله

طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة وقوله ذلك من أكبر العلامات الدالة على كثرة جهله فان حقيقة
الصوفى عند القوم هو عالم عمل بعلمه على وجه الاخلاص لا غير وغاية ما يطلبه القوم من تلامذتهم بالمجاهدات
بالصوم والسهر والعزلة والصمت والورع والزهد وغير ذلك ان يصير أحدهم يأتى بالعبادات على الوجه الذى
يشبه ما كان عليه سلفهم الصالح لا غير ولكن لما اندرست طريق السلف باندراس العاملين بها ظن بعض
الناس انها خارجة عن الشريعة لقلة من يتخلق بصفات أهلها كما بسطنا الكلام على ذلك فى كتاب المنهج المبين
فى بيان أخلاق العارفين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) توقفهم عن كل فعل أو قول حتى يعرفوا ميزانه على الكتاب والسنة
أو العرف لان العرف من جملة الشريعة قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف فعلم ان القوم لا يكتفون فى
أقوالهم وأفعالهم بمجرد عمل الناس بها لاحتمال أن يكون ذلك الفعل أو القول من جملة البدع التى لا يشهد
لها كتاب ولا سنة وفى الحديث لا تقوم الساعة حتى تصير السنة بدعة فاذا تركت البدعة يقول الناس تركت
السنة وذلك لتوارث الفروع البدع عن أصولهم فلما طال الزمن العمل بالبدع ظن الناس انها سنة مما سنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن القوم طائفة اذا لم يجد والذلك العمل دليلا من سنة النبى صلى الله عليه وسلم
الثابتة فى كتب الشريعة يتوجهون بقلوبهم اليه صلى الله عليه وسلم فاذا حضروا بين يديه سألوه عن ذلك
وعملوا بما قال لهم الا أن مثل ذلك خاص بأكابر الرجال * فان قيل فهل لصاحب هذا المقام أن يأمر الناس
بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا * فالجواب لا ينبغى له ذلك لانه أمر زائد على السنة الصحيحة الثابتة
من طريق النقل ومن أمر الناس بشئ زائد على ما ثبت من طريق النقل فقد كلف الناس شططا اللهم
الا أن يختار أحد ذلك فلا حرج كما هو شأن مقلدى المذاهب المستنبطة من الكتاب والسنة والله أعلم وقد كان
السلف الصالح رضى الله عنهم يحثون الناس لا سيما أصحابهم على التقيد بالكتاب والسنة واجتناب البدع
ويشددون فى ذلك حتى ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ربما كان يهم بالامر ويعزم عليه
فيقول له بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ولم يأمر به فيرجع عما كان عزم عليه
قال وهم مرة أن يأمر الناس بنزع ثياب كانوا يلبسونها حين بلغه أنها تصبغ ببول العجائز فقال له شخص ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد لبس منها ولبسها الناس فى عصره فاستغفر الله تعالى ورجع وقال فى نفسه
لو كان عدم لبسها من الورع لما لبسها صلى الله عليه وسلم وقد بلغنا ان الامام زين العابدين رضى الله عنه قال
لولده اتخذ لى ثوبا ألبسه عند قضاء الحاجة وأنزعه وقت شروعى فى الصلاة فانى رأيت الذباب يجلس على النجاسة
ثم يقع على ثوبى فقال له ولده انه لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوب واحد لصلاته وخلائه فرجع
الامام عما كان عزم على فعله *قلت المنقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن الذباب ينزل على ثوبه ولا
على بدنه فلا يصلح ما ذكر دليلا الا أن يكون قاله ولده ولم يأمر أحدا فليتأمل وأما ما نقل عن أبى يزيد البسطامى
رحمه الله تعالى من انه كان له ثوب لصلاته وثوب لخلائه فليس ذلك من حيث وقوع الذباب كما وقع لزين
العابدين وانما ذلك من باب الادب أن لا يكون ثوب الخلاء هو ثوب الصلاة نظير ما قالوا فى تحريم استقبال
القبلة واستدبارها فى الغائط فطلب الشارع أن لا تكون جهة قضاء الحاجة هى جهة الوقوف للصلاة لتفاهم
فعليك يا أخى باتباع السنة المحمدية فى جميع أفعالك وأقوالك وعقائدك ولا تقدم على عمل شئ حتى تعلم
موافقته الكتاب والسنة انتهى فكذب والله وافترى من يقول ان طريق القوم بدعة واذا كان من بهاب
مخالفة الشريعة يتوقف عن العمل حتى يعلم موافقته الشرع مبتدعا فما بقى على وجه الارض سنى والحمد لله
رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة تفويضهم الى الله تعالى فى أمر أنفسهم وأولادهم
وأصحابهم ولا يكون معولهم فى أمره راتبهم الا عليه عز وجل ولا يطلبون شيأ قط بأنفسهم وهم غائبون عن
الاستناد الى الله تعالى وقد كان ولدى عبد الرحمن ليست له داعية الى طلب العلم وكنت فى حصر عظيم من جهته

معبدنا فنحن أحق به .
غيرنا كما أخبر
عنهم فى سورة الكهف
حيث قال ما أظن أن
هذه أبدا وما أظن الساعة
قائمة الآية وسبب هذا
الغرور قياس من أقيسة ابليس
لعنه الله وذلك انهم ينظرون
مرة الى نعم الله عليهم فى
الدنيا فيقيسون بالله
الآخرة ومشعرون .
تأخير عذاب الله لهم فى
الدنيا فيقيسون عليه صرف الله
عذاب الآخرة لا ينظر
عنهم انهم يقولون
يعذبنا الله بما نقول و
ينظرون الى المؤمنين و
فقراء فيزدرونهم ويقولون
أهؤلاء من الله عليهم من
بيننا ويقولون لو كان خيرا
ما سبقونا اليه وترك
القياس الذى نظمه

قال ومنى الحق سبحانه ان أفوض أمره اليه فطلعت فاصبح من تلك الليلة بطالع في العلم بنفسه من غير أمرى له بذلك وحصلت عنده حلاوة العلم من تلك الليلة وصار فهمه ترجح على فهم من سبقه بالاشتغال بسنين فارحنى الله تعالى بتفويضى اليه من التعب الذى كنت فيه فالله تعالى يجعله من العلماء العاملين بما علموا آمين وقد سمعت شيخنا سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ماثم أنفع لاولاد العلماء والصالحين من السعاة لهم بظاهر الغيب مع تفويض أمرهم الى الله تعالى وذلك لان أحدهم يتربى فى الدلال على والده مع مساعدة أمه ان كانت ويكتفى بتعظيم الناس له بحكم التبع لابيه فلا يصير عنده داعية لاكتساب الفضائل غالبا ويقول فى نفسه ان الذى كنت أتعب فى تحصيله من الجاه بالاشتغال بالعلم والرياضة قد حصل لى بواسطة والدى بخلاف أولاد العوام خصوصا الفلاحين فان أحدهم يفتح عينه على الضرب والحبس والاهانة من الحكام وأعوانهم ويأخذون منه الخراج بالاهانة الشديدة فيصير يتفكر فى عمل حيلة تخلصه من ذلك فيلهمه الحق تعالى أن يشتغل بالعلم والقرآن فلا يزال كلما عظمه الناس يزداد رغبة فى العلم والمجاهدة حتى يصير شيخ الاسلام أو شيخ الطريق وقد كان سيدى الشيخ أحمد الزاهد رحمه الله يدخل ولده على كل خلوة أربعين يوما فلا يفتح عليه فيقول ياولدى لو كان الامر بيدى ماقدمت أحدا عليك فى معرفة الطريق انتهى * قلت وقد خولفت هذه القاعدة فى بعض أولاد العلماء والصالحين كاولاد الشيخ تقى الدين السبكى وأولاد الشيخ سراج الدين البلقينى فجاء أولادهم فى غاية الكمال وكذلك فى بعض جماعة من علماء عصرنا وفقرائه كسيدى محمد بن الرملى وسيدى محمد بن البكرى وسيدى عبد القدوس بن الشناوى وسيدى على بن الشيخ محمد المنير وسيدى محمد بن الشيخ أبى الحسن الغمرى وجماعة ذكرناهم فى طبقات العلماء والصوفية التى سميناها لواقح الانوار فى طبقات الاخيار أكثر الله فى المسلمين من امثالهم ونفعنا ببركاتهم آمين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله عنهم) كثرة اخلاصهم فى علمهم وعملهم وخوفهم من دخول الرياء فى ذلك ولنبسط لك ياأخى فى هذا الخلق لكثرة حاجة الناس الى ذلك فنقول ثبت فى الاحاديث الصحيحات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله عز وجل جنة عدن خلق فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون ثلاثا ثم قالت أنا حرام على كل بخيل ومراء وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من طلب الدنيا بعمل الآخرة نكس الله قلبه وكتب اسمه فى ديوان أهل النار وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من عمل بما علم كان ولى الله حقا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول قال لى والدى يابنى لاتتعلم العلم الا اذا نويت العمل به والا فهو وبال عليك يوم القيامة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى كثيرا مايعاتب نفسه ويوبخها بقوله تتكلمين بكلام الصالحين القانتين العابدين وتفعلين فعل الفاسقين المنافقين المرائين والله ماهذه صفات المخلصين وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من لم يكن فى أعماله أكيس من ساحر وقع فى الرياء وقد قيل لذى النون المصرى رحمه الله تعالى متى يعلم العبد أنه من المخلصين فقال اذا بذل المجهود فى الطاعة وأحب سقوط المنزلة عند الناس وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول أحب للاخوان أن يظهر أحدهم السمت الحسن بالليل فانه أشرف من سمت النهار لانه فى النهار يراه الناس وفى الليل يكون لرب العالمين وقد قيل مرة ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى هل رأيت أحدا يعمل بعمل الحسن البصرى فقال والله مارأيت من يقول بقوله فكيف أرى من يعمل بعمله كان وعظه يبكى القلوب ووعظ غيره لايبكى العيون وقيل ليحيى ابن معاذ رحمه الله تعالى متى يكون العبد مخلصا فقال اذا صار خلقه كخلق الرضيع لايبالى من مدحه أو ذمه وقد كان أبو السائب رحمه الله تعالى اذا طرقه بكاء فى سماع قرآن أو حديث أو نحو ذلك يصرفه الى التبسم وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول اذا كان يوم القيامة قال الله للمرائى خذ ثواب عملك ممن كنت تراثيه وفى رواية عنه اذا طلب المرائى ثواب عمله يوم القيامة يقال له خذ ثواب عملك ممن كنت تراثيه وفى

رواية

قلوبهم انهم يقولون قد أحسن الله الينا بنعيم الدنيا وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن وليس كذلك بل يكون محسنا ولا يكون محبا بل وربما يكون الاحسان سبب هلاكه على التدريج وذلك من الغرور بالله تعالى [illegible] لك قال صلى الله عليه [illegible] ان الله يحمى عبده [illegible] الدنيا كما يحمى [illegible] من الطعام [illegible] وهو يحبه [illegible] أرباب البصائر [illegible] عليهم الدنيا حزنوا واذا أقبل عليهم الفقر فرحوا وقالوا مرحبا بشعار الصالحين وقد قال تعالى فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه الآية وقال تعالى أيحسبون انما

روايةٍ يقال له ألم توسع لك الناس في المجالس لاجل عملك وعلمك ألم تكن وتيسا في دنياك ألم ترخص لك الناس
بيعك وشراءك ألم يكرموك ألم ألم مثل هذا وأشباهه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مادام
العبد يستأنس بالناس فلا يسلم من الرياء وكان الانطاكي يقول المتزينون ثلاثة متزين بالعلم ومتزين
بالعمل ومتزين بترك التزين فهو أخفضها وأحبها الى الشيطان وكان اياس بن معاوية أخا لابراهيم التيمي
وكان كل منهما لا يثني على الآخر من ورائه ويقول الثناء معدود من الجزاء وانا لا أحب نقص ثواب أخي
بالثناء عليه بين الناس وكان ابو عبد الله الانطاكي رحمه الله يقول من طلب الاخلاص في أعماله الظاهرة وهو
يلاحظ الخلق بقلبه فقد رام المحال لان الاخلاص ماء القلب الذي به حياته والرياء يميته وقد كان يوسف بن
أسباط رحمه الله تعالى يقول ما حاسبت نفسي قط الا وظهر لي أنني مراء خالص وكان الحسن البصري رحمه
الله تعالى يقول من ذم نفسه في الملأ فقد مدحها وذلك من علامات الرياء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى
يقول لو أن المرائي بعلمه وعمله أخبر الناس بما في ضميره لمقتوه وسفهوا عقله وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله
تعالى يقول لا تسأل أخاك عن صيامه فانه ان قال أنا صائم فرحت نفسه بذلك وان قال أنا غير صائم حزنت نفسه
وكلاهما من علامات الرياء وفي ذلك فضيحة المسؤل واطلاع على عورته من السائل وكان عبد الله بن المبارك
رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليطوف بالكعبة وهو يرائي أهل خراسان فقيل له وكيف ذلك قال يحب أن
يقول فيه أهل خراسان ان فلانا مجاور بمكة على طواف وسعي فهنيأ له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله
تعالى يقول أدركنا الناس وهم يراؤن بما يعملون فصاروا الآن يراؤن بما لا يعملون وكان رحمه الله تعالى اذا
قرأ قوله تعالى ونبلوا أخباركم يقول اللهم انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا وأنت أرحم الراحمين وكان
أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول ان من الرياء أن لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس
وأقوالهم في العلم فان ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى
يقول ما اتقى الله من أحب أن يذكره الناس بخير ولا أخلص له وكان عكرمة رحمه الله تعالى يقول اكثروا
من النية الصالحة فان الرياء لا يدخل في النية وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لا يحتاج شيء من
فروع الاسلام الى نية بعد اختيار صاحبه الدخول في الاسلام وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى
يقول كل عمل يعمله المؤمن من أعمال الاسلام مما لم تحضره فيه نية فنية الاسلام تجزيه (قلت) وفي ذلك تقوية
للعصاة وكان نعيم بن حماد رحمه الله تعالى يقول ضرب الظهر بالسياط أهون علينا من النية الصالحة وكان
منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى وثابت البناني رحمه الله يقولان طلبنا العلم وما لنا فيه نية فرزقنا الله النية
الصالحة بعد ذلك لان العلم كله يبعث صاحبه على الاخلاص فيصير يطلبه حتى يحصل له وكان الحسن البصري
رحمه الله تعالى يقول دخول أهل الجنة وأهل النار فيهما يكون بالاعمال وخلودهم فيهما يكون بالنيات
وكان أبو داود الطيالسي رحمه الله تعالى يقول ينبغي للعالم اذا حرر كتابه أن يكون قصده بذلك نصرة الدين
لا مدحه بين الاقران بحسن التأليف (وفي التوراة) كل عمل قبلته فهو كثير وان كان قليلا وكل عمل رددته
فهو قليل وان كان كثيرا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا كان يسأل الصادقين عن
صدقهم مثل اسماعيل وعيسى عليهما الصلاة والسلام فكيف بالكاذبين من أمثالنا ولبس داود الطائي ثوبه
مقلوبا مرة فقالوا له ألا تغيره فقال اني لبسته لله فلا أغيره وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول ان
للمرائي ثلاث علامات يكسل اذا كان وحده ويصلي النوافل جالسا وينشط اذا كان مع الناس ويزيد في
العمل اذا مدحوه كما ينقص منه اذا ذموه وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول كل شيء أظهرته
من عملي فلا أعده شيأ لعجز أمثالنا من الاخلاص اذا رآه الناس وكان ابراهيم التيمي يلبس لبس الفتيان فكان
لا يعرف أحد انه من العلماء الا أصحابه وكان يقول المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وكان سفيان
الثوري رحمه الله تعالى يقول قل عالم تكبر حلقة درسه الا ويطرقه العجب بنفسه وقد مر الحسن البصري على
طاوس رحمهما الله تعالى وهو يملي الحديث في الحرم في حلقة كبيرة فقرب منه وقال له في أذنه ان كانت

عندهم به من مال وبنين
نسارع لهم في الخيرات
لا يشعرون وقال تعالى
سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون وأملي لهم ان
كيدي متين وقال تعالى
فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا
عليهم أبواب كل شيء
اذا فرحوا بما أوتوا
أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون فلم يؤمن بالله
آمن بهذا الغرور و...
هذا الغرور الجهل بالله
وبصفاته فمن عرف الله
يأمن من مكره ولا ينظر
الى فرعون وهامان والنمرود
ماذا حل بهم مع ما أعطاهم
الله من الملك وقد حذرنا
تعالى من مكره فقال تعالى
فلا يأمن مكر الله الا القوم
الخاسرون وقال تعالى
ومكروا ومكر الله والله

نفسك تعجبك فقم من هذا المجلس فقام طاوس فورا وقد مر ابراهيم بن ادهم على حلقة بشر الحافي رحمهما
الله تعالى فانكر عليه لكبر حلقة درسه وقال لو كانت هذه الحلقة لاحد من الصحابة ما أمن على نفسه العجب
وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى لا يترك أحدا يجلس اليه الا نحو ثلاثة أنفس ففعل يوما فرأى الحلقة
قد كبرت فقام فزعا وقال أخذنا والله ولم نشعر والله لو أدرك أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه مثلي وهو جالس
في هذا المجلس لاقامه وقال له مثلك لا يصلح لذلك وكان رحمه الله تعالى اذا جلس لاملاء الحديث يجلس
مرعوبا خائفا وكانت السحابة تمر عليه فيسكت حتى تمر ويقول أخاف أن يكون فيها حجارة ترجمنا بها وقد
ضحك شخص مرة في حلقة الاعمش رحمه الله تعالى فزجره واقامه وقال تطلب العلم الذي كلفك الله تعالى به
وأنت تضحك ثم هجره نحو شهرين وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول لولا آية في كتاب الله تعالى ما حدثتكم
ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى الآية قال ولما ترك سفيان الثوري رضي الله عنه التحديث
قالوا له في ذلك فقال والله لو أعلم أن أحدا منهم يطلب العلم لله تعالى لذهبت الى منزله ولم أتعبه وقد قيل مرة
لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ألا تجلس فتحدثنا فقال والله ما أراكم أهلا لان أحدثكم ولا أرى نفسي
أهلا لان تسمعوا مني وما مثلي ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا فاصطلحوا وقد كان حاتم الاصم رحمه الله
تعالى يقول لا تجلس لتعليم العلم في المساجد الا جامع للدنيا أو جاهل بما عليه في ذلك من الواجبات وكان عبد
الله بن عباس رضي الله عنهما مع جلالته من العلم اذا فرغ من تفسيره للقرآن يقول اختموا مجلسنا بالاستغفار
وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول من كان فيه هذه الثلاث خصال فليجلس ليعلم الناس والا فليدع
الجلوس أن يذكرهم بنعم الله تعالى ليشكروا ويذكرهم ذنوبهم ليتوبوا منها ويعدوهم ابليس ليحذروا منه وكان
ابن وهب رحمه الله تعالى يقول سألت الامام مالكا رضي الله عنه عن الراسخين في العلم من هم فقال هم
العاملون بالعلم وليس شيء أعز من العلم لان صاحبه يحكم به على الملوك وقد قيل لابن المبارك رحمه الله من
الناس عندك فقال العلماء العاملون المخلصون قيل له فمن الملوك قال الزهاد في الدنيا قيل له فمن السفلة قال
الذين يأكلون الدنيا بعلمهم وعلمهم ودينهم وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول العلماء سرج الازمنة
فكل عالم مصباح زمانه يستضيء به أهل عصره ولولا العلماء لصار الناس كالبهائم وكان سفيان الثوري رحمه
الله يقول حياة العلم بالسؤال عنه والعمل به وموته بتركهما وكان عكرمة رحمه الله تعالى يقول لا تعلموا
العلم الا لمن يعطي ثمنه فقيل له وما ثمنه قال ان يضعه العالم عند من يعمل به وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله
يقول اشتراني مولاي بثلاثمائة درهم فاشتغلت بالعلم فما مضى على سنة حتى جاءني الخليفة زائرا فلم أفتح له
وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول من أدب العلماء اذا علموا أن يعملوا فاذا عملوا اشتغلوا بذلك عن الناس
فاذا اشتغلوا فقدوا واذا فقدوا طلبوا واذا طلبوا هربوا وفروا على دينهم من الفتن وفي الحديث أشد الناس عذابا
يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفي الحديث أيضا سيأتي على الناس زمان يكون عبادهم جهالا وعلماؤهم
فساقا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول من أفتى الناس في المشكلات من غير تربص ولا تأمل
فقد عرض نفسه لدخول النار وكان يقول من أفتى الناس في كل ما يسألونه فهو مجنون وكان الحسن
البصري رحمه الله تعالى يقول لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويجري فيه مجرى السفهاء وقد بلغنا ان عيسى
عليه الصلاة والسلام كان يقول ما أكثر العلوم وليس كلها بنافع وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد وكان
ابراهيم بن عتبة رحمه الله تعالى يقول أطول الناس ندما يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس وكان أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول أخوف ما أخاف على هذه الامة من عالم باللسان جاهل بالقلب
وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول يهتف العلم بالعمل فان أجابه والا ارتحل انتهى وكان عبد الله بن المبارك
رحمه الله تعالى يقول لا يزال المرء عالما ما دام يظن ان في بلده من هو أعلم منه فاذا ظن انه أعلمهم فقد جهل وكان
الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اني لابكي على العالم اذا رأيت الدنيا تلعب به ولو كان لاهل القرآن
والحديث صبر على الزهد في الدنيا ما تمدلهم الناس واسوأ ثاهم من ان يقال فلان العالم أو العابد قد قدم

الماكرين وقال تعالى فمهل الكافرين أمهلهم رويدا فمن أولاه الله نعمة فليحذر أن تكون نقمة

(فصل) وأما غرور العصاة من المؤمنين فقولهم غفور رحيم وانما نرجو عفوه فاتكلوا على ذلك وأهملوا الاعمال وذلك من قبل الرجاء محمود في الدين وان رحمة الله واسعة ونعمته شاملة وكرمه عميم وانا موحدون مؤمنون نرجوه بوسيلة الايمان والكرم والاحسان وربما كان تمنيهم وغرورهم التمسك بصلاح الآباء والامهات وذلك نهاية الغرور فان آباءهم مع صلاحهم وورعهم كانوا خائفين وتعلم قياسهم الذي سول لهم الشيطان ان من أحب

حلباي نفقة فلان التاجر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اذا طلب العالم الدنيا ذهب بهاؤه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول عقوبة العلماء تكون بموت قلوبهم وموت قلوبهم يكون بطلبهم الدنيا بعمل الآخرة فيتقربون بذلك عند أبناء الدنيا وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب الامراء فهو لص وقد كان الاوزاعي رحمه الله تعالى يقول ما من شيء أبغض الى الله من عالم يزور عاملا من العمال وكان مكحول رحمه الله تعالى يقول من قرأ القرآن وتفقه في الدين ثم مشى الى بيت أمير لغير حاجة ضرورية فقد خاض في جهنم بعدد خطاه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قرأت في بعض الكتب المنزلة ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا طلب الدنيا بعلمه ان أحرمه لذيذ مناجاتي وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه في دينه فان كل محب يخوض فيما أحب انتهى وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول واعجبا من ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ان من اشقى الناس يوم القيامة عالما علم الناس بعلمه وهو لم يعمل به وقد كان ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى يقول ما عرضت قولي على عملي الا وجدت على مكذبا لقولي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لقد أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في العمل فلم نعرب وكان الاوزاعي رحمه الله تعالى يقول اذا جاء الاعراب في الالفاظ ذهب الخشوع من القارئ والسامع وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول مثل من يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت سرا فظهر حملها فافتضحت وكذلك من لم يعمل بعلمه يفضحه الله يوم القيامة على رؤس الاشهاد وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جاء الشيطان الى أحدكم وهو يصلي فقال انك مراء فليزده طولا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول العمل لاجل الناس رياء وترك العمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله منهما (قلت) ومعنى ترك العمل لاجل الناس أن لا يحب أن يعمل الا في محل يحمده الناس فيه فان لم يجد من يحمده ترك العمل وكسل عنه وقد كان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لامثالنا أن يظهر من أعماله الصالحة ذرة فكيف بأعماله التي دخلها الرياء فالاولى بامثالنا الكتمان وقد بلغنا ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول للحواريين رضي الله عنهم اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس أنه صائم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول خير العلم والعمل ما خفي عن الناس وكان عكرمة رحمه الله يقول ما رأيت أقل عقلا ممن يعلم من نفسه السوء ويحب من الناس أن يصفوه بالعلم والصلاح ولا بد لقلوب المؤمنين أن تطلع على سوء سريرته ومثله مثل من غرس شوكا وطلب أن يحمل له رطبا وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول اذا راءى العالم بعلمه وعمله يقول الله تعالى للملائكة عليهم السلام انظروا الى هذا يستهزئ بي ولم يخش مني وأنا العظيم الجبار وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأى أحدا يطأطئ عنقه في الصلاة يضربه بالدرة ويقول له ويحك ان الخشوع في القلب وقد مر أبو أمامة رضي الله عنه يوما على شخص ساجد وهو يبكي فقال نعم هذا لو كان في بيتك حيث لا يراك الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى مراء فلينظر الي وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول مررت على حجر فرأيت مكتوبا عليه أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب زيادة العلم وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول اوحى الله تعالى الى نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قل لقومك يخفوا أعمالهم عن الخلق وأنا أظهرها لهم وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يوبخ نفسه كثيرا ويقول في مناجاته من أسوأ حالا مني عاملت عبادك في الظاهر بالامانة وعاملتك في السر بالخيانة وكان الفضيل بن عياض يقول من يدلني على عابد بكاء بالليل صوام بالنهار وأنا أدعوه وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان علانية بغير سريرة صالحة مثل كنيف مزخرف من خارجه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو صحت النية في الاسلام لم يكن عمل أفضل منه ولكنهم تعلموا غير العمل به وجعلوه شبكة لصيد الدنيا وقد دخل سفيان الثوري على الفضيل بن عياض رحمه الله

انسانا أحب أولاده فان أ قد أحب آباءكم فهو يحب فلا تحتاجون الى الطاعة فاتكلوا على ذلك وافترا بالله ولم يعلموا ان نوحا عليه السلام أراد أن يحمل ابنه في السفينة فأغرقه الله بأشد ما أغرق به قوم نوح وان النبي صلى الله عليه وسلم استأذن زيارة قبر أمه وفي الاستغفار لها فاذن له في الزيارة ولم يؤذن له في الاستغفار ونسوا قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وقوله تعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى فانه من ظن انه ينجو بتقوى أبيه كمن ظن أنه يشبع بأكل أبيه أو يروى بشرب أبيه والتقوى فرض عين لا يجزى فيها والد عن ولده وعند جزاء التقوى

تعالى يوما فقال له عظنى يا أبا على فقال له الفضيل وبماذا أعظكم معاشر العلماء كنتم سرجا يستضاء بكم فى البلاد فصرتم ظلمة وكنتم نجوما يهتدى بكم فى ظلمات الجهل فصرتم حيرة يأتى أحدكم الى أبواب هؤلاء الولاة فيجلس على فرشهم ويأكل من طعامهم ويقبل هداياهم ثم يدخل بعد ذلك الى المسجد فيجلس فيه ثم يقول حدثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا والله ما هكذا يطلب العلم قال فبكى سفيان حتى خنقته العبرة وخرج وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم أو العابد ينشرح اذا ذكر بالصلاح عند الامراء وأبناء الدنيا فاعلموا أنه مراء وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم كلما ازداد علما كلما رغب فى الدنيا وشهواتها فلا تعلموه فانكم تعينوه على دخول النار بتعليمكم اياه وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يتعلم جهالهم العلم ثم يتغايرون به على القرب من الامراء كما يتغاير النساء على الرجال فذلك حظهم من العلم وكان صالح المرى رحمه الله تعالى يقول من ادعى الاخلاص فى العلم فليعرض على نفسه اذا وصفه الناس بالجهل والى يا عذاب انشرح صدره لذلك فهو صادق وان انقبض من ذلك فهو مراء وكان رحمه الله تعالى يقول احذروا عالم الدنيا أن تجالسوه فانه يفتنكم بزخرفة كلامه ومدحه العلم وأهله من غير عمل به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائين بعلمهم أن يكون علمهم كالجبال وعملهم كالذر وكان يقول لو أن حامل العلم عمل به لتجرع مرارته ولم يفرح به لانه كله تكاليف وكلما ازداد علما ازداد تكاليف فلا ينبغى للعالم أن يفرح بعلمه الا بعد مجاوزة الصراط وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم للعمل فان أكثر الناس قد غلطوا فى ذلك فظنوا النجاة بعلمهم من غير عمل به فان الآيات والاخبار الواردة فى تعذيب من لم يعمل بعلمه وكان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد علما ازداد زهدا فى الدنيا وتقليلا من متاعها ونراهم اليوم كلما ازداد أحدهم علما ازداد فى الدنيا رغبة وكثرة لامتعتها من لباس ومطعم ومسكن ومنكح ومركب وخدم ونحو ذلك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول كيف يكون حامل القرآن عاملا به وهو ينام الليل ويفطر النهار ويتناول الحرام والشبهات وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو أن هؤلاء القراء أحياء لوجدوا ألم النار فى بطونهم اذا أكلوا الحرام ولكنهم أموات يرتعون فى الجيف والنار وقد كان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه انكم لستم علماء وانما أنتم متلذذون بالعلم يسمع أحدكم المسئلة ويحكيها للناس ولو انكم عملتم بعلمكم لتجرعتم المرارات والغصص ولحملكم علمكم على التورع حتى لا يجد أحدكم رغيفا يأكله وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول كيف يصح للعالم أن يرائى بعلمه وهو يعلم من نفسه ان تعلمه لغير الله وذلك حابط من أصله فكيف يرى نفسه على الناس بجاه وحابط وقد كان الامام النووى رحمه الله تعالى اذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرس فى العلم فى المدرسة الاشرفية أو جامع بنى أمية يتكدر لذلك واذا بلغه أن أحدا من الاكابر قد عزم على زيارته فى يوم درسه لا يدرس العلم ذلك اليوم خوفا أن يراه ذلك الامير وهو فى حلقة ودرسه العظيم ويقول من علامة المخلص أن يتكدر اذا اطلع الناس على محاسن عمله كما يتكدر اذا اطلعوا على مساويه فان فرح النفس بذلك معصية وربما كان الرياء أشد من كثير من المعاصى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول قبيح بالعالم أن يشبع فى هذا الزمان من الحلال فكيف بمن يشبع من الحرام والله لو انى أكلت أكلة وصارت فى بطنى كالآجرة تكفينى حتى أموت فقد قيل انها تمكث فى الماء أكثر من ثلاثمائة سنة وكان يقول ورع العلماء انما هو فى ترك تناول الشهوات أما المعاصى الظاهرة فتراهم يتركونها خوفا أن تذهب عظمتهم من قلوب الناس وكان رحمه الله تعالى يقول بلغنى انه يأتى فى آخر الزمان رجال يتعلمون العلم لغير الله تعالى كيلا يضيع ثم يكون عليهم تبعة يوم القيامة (قلت) ويؤيده حديث ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر والله أعلم وكان بكر بن عبد الله المزنى رحمه الله تعالى يقول من علامة المرائى بعلمه أن يرغب الناس فى العلم ويذكر لهم ما فيه من الفضائل ثم ان شاوره أحد من

يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه الا على سبيل الشفاعة ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم وقال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وهل يصلح الرجاء الا اذا تقدمه عمل فان لم يتقدمه عمل فهو غرور لا محالة وانما ورد الرجاء لتبريد حرارة الخوف واليأس ولتلك الفائدة نطق به القرآن والترغيب فى الزيادة لا محالة

(فصل) ويقرب منهم غرور طوائف لهم طاعات

القراءة على أحد ممن أقرانه لا يرغبه فيه كل الترغيب وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول قد غلب على القراء في هذا الزمان أكل الحرام والشبهات حتى غرقوا في شهوة بطونهم وفروجهم واتخذوا علمهم شبكة يصطادون بها الدنيا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لولا نقص دخل على أهل القرآن والحديث لكانوا أخيار الناس ولكنهم اتخذوا علمهم حرفة وما شاؤا لذلك هانوا في ملكوت السموات والارض وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل أن لا يطلب زيادة العلم الا اذا عمل بكل ما علم فيتعلم حينئذ العلم كي يعمل به وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول اطلبوا العلم وأنتم تبكون فانه كله حجة عليكم عند ربكم قال ولما ترك بشر الحافي رحمه الله تعالى الجلوس لاملاء الحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة فقال أقول يارب انك أمرتني فيه بالاخلاص ولم أجد عند نفسي اخلاصا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم طالب العلم يطلب الزيادة من العلم دون العمل فلا تعلموه فان من لم يعمل بعلمه كشجرة الحنظل كلما ازداد ريا بالماء ازداد مرارة وكان يقول واذا رأيتموه يخلط في مطعمه ومشربه وملبسه ونحو ذلك ولا يتورع فكفوا من تعليمه تخفيفا للحجة عليه غدا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو أن عبدا علم العلم كله وعبد الله حتى صار كهذه السارية أو الشن البالي ثم انه لم يفتش ما يدخل جوفه أحلال هو أم حرام ما تقبل الله منه عبادة وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول والله لقد أدركنا أقواما كانوا لا يعلمون أحدا العلم حتى يروضون نفسه سنين كثيرة ويظهر لهم صلاح نيته وكان عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله تعالى يقول خدمت الامام مالكا رضي الله عنه عشرين سنة فكان منها ثمانية عشر في تعليم الادب وسنتان منها في تعليم العلم فياليتني جعلت المدة كلها في تعليم الادب وقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم ما نفع وعمل به صاحبه وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول قال لي الامام مالك رضي الله عنه يا محمد اجعل علمك دقيقا وعملك ملحا وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من حمل القرآن ثم مال بقلبه الى الدنيا فقد اتخذ آيات الله هزوا ولعبا واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت أين مواعظي وزواجري وكل حرف مني يناديك ويقول لا تعص ربك وكان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اذا رأى طالب العلم لا يقوم من الليل يكف عن تعليمه وقد بات عنده أبو عصمة ليلة من الليالي فوضع له الامام أحمد ماء الوضوء ثم جاء قبل الفجر فوجده نائما والماء بحاله فايقظه وقال له لم جئت يا أبا عصمة فقال له جئت اطلب منك الحديث يا امام فقال له الامام أحمد كيف تطلب الحديث وليس لك تهجد في الليل اذهب من حيث جئت وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى فان كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة وما رأى أحد أحدا في منامه بعد موته وقال غفر الله لي بعلمي الا القليل من الناس وقد رؤي الامام أبو حنيفة رضي الله عنه بعد موته فقيل له كيف حالك قال غفر الله لي فقيل له بالعلم فقال هيهات ان العلم شروط وآفات قل من ينجو منها قال ورأى بعضهم الجنيد بعد موته رحمه الله تعالى فقال له مافعل الله بك فقال قد طاحت تلك الاشارات وفنيت تلك العبارات وما نفعنا الا بعض ركيعات كنا نركعها في السحر قال ورأى بعضهم أبا سهل الصعلوكي بعد موته رحمه الله فقال له ماذا صنع عملك فقال كل ما كان من دقائق العلوم وجدته هباء منثورا الا بعض مسائل سألتني عنها العوام انتهى ففتش يا أخي نفسك في علمك وعملك وابك على نفسك ان رأيت عندها رياء أو سمعة مما نهاك عنه هؤلاء السادة من العلماء العاملين المخلصين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) هجرهم لاخيهم اذا خالط الامراء وتردد الى أبوابهم لغير ضرورة شرعية ولا لمصلحة كقيامه بالامر بالمعروف ونحوه عملا بحديث ان في جهنم واديا يقال له هبهب أعده الله للجبارين والقراء المداهنين الذين يدخلون على أمراء الجور وقد قال والي البصرة يوما لمالك بن دينار رحمه الله تعالى أتدري ما الذي أجرأك علينا في اغلاظك القول وعدم قدرتنا على مقابلتك عدم طمعك فيما بايدينا

ومعاصي الآن معاصي أكثرهم يتوقعون المغفرة ويظنون أن ترجح كفة حسناتهم وكفة سيآ[تهم] أكثر وهذا غاية الج[هل] فترى الواحد يتصد[ق] بدراهم عديدة من الحلا[ل] والحرام ويكون ما يتنا[وله] من أموال الناس والشب[هات] أضعافه فهو كمن وضع [في] كفة الميزان عشرة دو[انق] ووضع في الكفة الاخ[رى] ألفا وأراد أن تميل ال[كفة] التي فيها العشر وذلك [غاية] الجهل

(فصل) ومنهم من [يظن] أن طاعته أكثر من معاصيه لانه لا يحا[سب] نفسه ولا يتفقد معا[صيه] واذا عمل طاعة حفظ[ها] واعتد بها كالذي يس[تغفر] الله بلسانه ويسبح بالم[سبحة]

وزهدك فيه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على والى البصرة فقال لى عظنى يا ابن السماك فقلت له أف عليك وعلى من ولاك مظالم العباد انما تصطون أن يسد بكم الجسور وقد دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه مدرعة صوف فقال له قتيبة ما الذى دعاك الى لبس مدرعة الصوف فسكت محمد فقال مالى أكلمك وأنت ساكت فقال محمد ان قلت زهدا زكيت نفسى وان قلت فقرا شكوت ربى وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول والله لو استأذن على هارون الرشيد ما أذنت له الا ان أغلب على ذلك فكيف بمن يذهب هو اليه من هؤلاء الفقراء وقد جاء محمد بن ابراهيم والى مكة يسلم على سفيان الثورى فى المطاف فقال ماذا تريد بالسلام ان كنت تريد ان أعلم انك تطوف اذهب فقد علمت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا يصلح أن يدخل على الامراء ويعظهم الا مثل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما أمثالنا فلا يصلح له الدخول عليهم لعجزه عن مواجهتهم بالنصح والانكار عليهم فيما يراه منهم من الظلم والجور ونحوه كفرش الحرير والستائر وغير ذلك وقد ذكر وا مرة عند معاوية رضى الله عنه كلاما وكان الاحنف بن قيس رحمه الله جالسا فلم يتكلم فقال له معاوية مالك لا تتكلم يا أحنف فقال انى أخشى الله تعالى ان كذبت وأخشاك ان صدقت فرأيت السكوت أولى انتهى وسيأتى زيادة على ذلك طرفا والحمد لله رب العالمين

(أخذ علينا العهود فى أخلاقهم فيها) علهم على ترك النفاق بحيث تتساوى سريرتهم وعلانيتهم فى الخير فلا يكون لاحدهم عمل يفتضح به غدا فى الآخرة ومن وصية أبى العباس الخضر عليه السلام لعمر بن عبد العزيز لما اجتمع به فى المدينة المشرفة وسأله أن يوصيه بوصية فقال له اياك يا عمر أن تكون ولياً لله فى العلانية وعدواً له فى السر فان من لم تتساو سريرته وعلانيته فهو منافق والمنافقون فى الدرك الاسفل من النار فبكى عمر حتى بل لحيته وفى الحديث يخرج فى آخر الزمان أقوام يختالون أى يطلبون الدنيا بعمل الآخرة أى الدنيا بالدين يلبسون جلود الضأن من اللين ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب يقول الله تعالى أبى يغترون أم على يجترؤن فبى حلفت لابعثن على أولئك فتنة تدع الحليم فيهم حيران وكان المهلب بن أبى صفرة رحمه الله تعالى يقول انى لأكره الرجل يكون لسانه فضل على فعله وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ما بلغ الحسن البصرى رحمه الله تعالى الى ما بلغ الا لكونه كان اذا أمر الناس بشئ يكون أسبقهم اليه واذا نهاهم عن شئ كان أبعدهم منه وكانوا يقولون ما رأينا أحدا سريرته أشبه بعلانيته من الحسن البصرى وكان معاوية بن قرة رحمه الله تعالى يقول بكاء القلب خير من بكاء العين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول القلوب كالقدور ومغارفها ألسنة أصحابها فكونوا عبيدا باضالكم كما أنكم عبيد باقوالكم وكان مروان بن محمد رحمه الله تعالى يقول ما وصف لى رجل قط الا وجدته دون ما وصفوه به الا وكيعا رحمه الله تعالى فانى وجدته فوق ذلك وكان عتبة بن عامر رحمه الله تعالى يقول اذا وافقت سريرة العبد علانيته قال الله تعالى للملائكته هذا عبدى حقا وكان أبو عبد الله الانطاكى رحمه الله تعالى يقول أفضل الاعمال ترك المعاصى الباطنة فقيل له ولم ذلك قال لان الباطنة اذا تركت كان صاحبها للمعاصى الظاهرة أترك فمن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل ومن تساوت سريرته وعلانيته فذلك العدل ومن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان قل لقومك يخفوا الى أعمالهم وأنا أظهر حالهم وقد مر مثل ذلك فى الخلق قبله وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول فى مناجاته يا ربى عاملت الناس بالامانة وعاملتنى بالخيانة ثم يبكى وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من أمر الناس بشئ لم يعمله فهو منافق الآن يسأله أحد عن حكمه وكان يقول اياك أن تكون فى النهار أبا عبد الله الصالح وفى الليل شيطان طالح وتقدم عن ابراهيم التيمى انه يقول ما عرضت عملى على علمى الا وجدت نفسى غير عامل بما علمت كان الزبير بن العوام رضى الله عنه يقول اجعلوا لكم خبيئة من العمل الصالح كما ان لكم خبيئة من العمل

السئ

والنهار مثلا مائة مرة أو ألف مرة ثم يغتاب المسلمين ويتكلم بما لا يرضاه الله طول النهار ويلتفت الى ما ورد من فضل التسبيح ويغفل عما ورد فى عقوبة الكذابين والنمامين والمنافقين وذلك محض الغرور فحفظ لسانه من المعاصى آكد من تسبيحه فسبحان من صدنا عن التنبيه

(فصل) فى بيان أصناف المغترين وأقسام كل صنف

(الصنف الاول من المغرورين العلماء) وهم فرق ففرقة منهم لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصى والزامها

السيء وتقدم قول معاوية بن قرة من يدلني على رجل يبكي بالليل ويبتسم في النهار أي ان ذلك لقليل وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى يقول من نعمة الله علي اني منذ ثلاثين سنة ما فعلت شيأ يستحي منه الاقرب من أهلي وكان أبو عبد الله السمرقندي رحمه الله تعالى اذا مدحه الناس يقول والله ما مثلي ومثلكم الا كمثل جارية ذهبت بكارتها بالفجور وأهلها لا يعلمون بذلك فهم يفرحون بها ليلة الزفاف وهي حزينة تخوف الفضيحة وكان أبو امامة رضي الله عنه يعيب على الرجل بكاءه في المسجد بحضرة الناس وكان ميمون بن مهران رحمه الله يقول علانية بغير سر ريمثل كنيف حسن خوف من خارجه ومن داخله النتن والخبث ومن افتخر بما لم يصبه كذبه كسبه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أراد أن يعده الناس من الصالحين بالقول فقط دون موافقتهم في الاعمال فهو كمن دخل وليمة الملك لقوم شاهين بغير اذن ومن اكتفى بالقول دون العمل جازاه الله بالوعد دون المطالعة ويه وكان بلال بن سعد رحمه الله تعالى يقول اذا ادعى الفقير الزهد بغير حق رقص الشيطان حوله يضحك عليه ويسخر به وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه يقول لا يعد عبد صريح الايمان حتى يعلم بان الله تعالى يراه فلا يعمل سرا يفتضح به يوم القيامة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لو علمتم ما أغلق بابي عليه دونكم ما جلس أحد منكم حوله (قلت) وهذا من باب الهضم لنفسه والاتهام لها رضي الله عنه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول قد غلب على القراء في هذا الزمان الرياء يظهرون للناس النسك والعبادة وباطنهم مشغول بالغل والحسد والشحناء لبعضهم واذا كان لكم حاجة عند قارئ فلا تشفعوا عنده بقارئ مثله يقسو قلبه عليكم ولكن تشفعوا عنده بأحد من الاغنياء فانه أقضى لحاجتكم انتهى وسيأتي الكلام على هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ففتش نفسك يا أخي هل تساوت سريرتك وعلانيتك أم لا وأكثر من الاستغفار واعلم ان من أظهر للناس خلاف ما في باطنه فهو منافق يحشر غدا مع المنافقين فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الصبر على جور الحكام وشهودهم ان ذلك دون ما يستحقونه بذنوبهم وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول اذا لم تتساو سريرة الناس وعلانيتهم فلا يستغربون ما يحل بهم من أنواع البلايا والآفات وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول كان الحجاج الثقفي بلاء من الله وافق خطيئة وكان الامام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول اذا ابتليت بسلطان جائر نفرقت دينك بسببه فرقعه بكثرة الاستغفار لك وله أيضا وقد كتب أخ لمحمد بن يوسف رحمه الله تعالى يشكو اليه من جور الولاة في بلاده فاجابه محمد بقوله قد بلغنا كتابك ولا يخفى عن علمك يا أخي انه ليس لمن عمل بالمعصية أن ينكر وقوع العقوبة وما أرى ما أنتم فيه الا من شؤم الذنب والسلام وقد حبس هارون الرشيد رحمه الله تعالى رجلا ظلما فكتب اليه الرجل اعلم يا هارون انه ما من يوم يمضي من حبسي ويؤمي الا ويمضي من عمرك ونعيمك مثله والامر قريب والحاكم بيني وبينك الله تعالى قال فلما قرأها الرشيد خلى سبيله وأحسن اليه قال وجاء أمر من السلطان لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ليفرقه على الفقراء الذين يعرفهم فرده ابراهيم عليهم وقال اذا حاسب الله تعالى الظالم يوم القيامة على ما اكتسبه من المال يقول أعطيته لابراهيم فيرجع يوم القيامة الظالم على بذلك ولكن من جمعه فهو أولى بتفرقته وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول مكتوب في التوراة يقول الله تعالى قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وتوبوا الى أعطفهم عليكم وكان عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى يقول لرعيته انصفونا يا معاشر الرعية تطلبون منا أن نسير فيكم سيرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا تسيرون أنتم سيرة رعاياهما فاسأل الله أن يعين كل واحد منا على صاحبه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول كما ابتليتم بالاعمال التي لا ترضي ربكم وعلمتم ان الله تعالى قدر ذلك فاقبلوا العذر ولا تكم فان الله تعالى هو المقدر عليهم ما ظلموكم به فان أحدهم يود أن لا يظلم أحدا منكم ولكن أعمالكم هي السبب في ظلمكم قال ولما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى بكى ثم خير نساءه وجواريه وقال قد أتاني أمر شغلني عنكن

الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل شفاعتهم في الخلق ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته فلا بد من علوم المعاملة لتتم الحكمة المقصودة وهي المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ومثلهم مثل طبيب يطبب غيره وهو عليل قادر على طب نفسه فلم يفعل وهو ينفع الدواء بالوصف هيهات لا ينفع الدواء الا من شرب

فلا أتفرغ لكن حتى يفرغ الناس من الحساب يوم القيامة فبكى عند ذلك أهل بيته حتى ظن جيرانهم انه مات عندهم أحد وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا العلماء وهم يرون جلوسهم فى بيوتهم أفضل فصاروا اليوم وزراء الامراء وقهارمة الظلمة وقد سئل عطاء بن أبى رباح رحمه الله تعالى عن شخص يكتب بقلمه عند الامراء الاعطاء ورزقا يجعلونه له من الرزق فقال عطاء أرى أن يترك ذلك أما سمع قول موسى عليه الصلاة والسلام رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول اذا هم الوالى بالجور أدخل الله النقص فى أهل مملكته حتى فى الاسواق والارزاق والزروع والثمار والضروع وفى كل شئ وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان تكون أعطيتهم من الولاة أثمان أديانهم وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من تبسم فى وجه ظالم أو وسع له فى المجلس أو أخذ من عطائه فقد نقض عرا الاسلام وكتب من جملة أعوان الظلمة والمراد بعرا الاسلام هنا مخالفة قواعد السلف وقد كان طاوس رحمه الله تعالى يكثر الجلوس فى بيته فقيل له فى ذلك فقال انما اخترت ذلك لحيف الائمة وفساد الرعية وذهاب السنة فان من فرق بين والده والعبد فى اقامة الحق فهو جائر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لم يكن أحد أحب الى من عمر بن عبد العزيز ولان أراه ميتا أحب الى من أن أراه ولى عملا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا سمعن الامير بعد الهزال فاعلموا انه قد خان رعيته وخان ربه قال ودخل أبو العالية يوما على الرشيد رحمهما الله تعالى فقال له احذر دعوة المظلوم فان الله لا يردها ولو من فاجر وفى رواية ولو من كافر انتهى فتأمل يا أخى فى نفسك وانظر هل وفيت بحق رعيتك فى زاوية تلك وحق جوارحك بحيث استعملتها فى مرضاة الله تعالى ومنعتها معاصيه أو غششت نفسك وجوارحك فان كل راع مسؤل عن رعيته واياك يا أخى والدخول على الامراء ولو بقصد أنك تأمرهم وتنهاهم فان ذلك لا يتم لك معهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) غيرتهم لله تعالى اذا انتهكت حرماته نصرة للشريعة المطهرة فكانوا لا يفعلون فعلا ولا يحبون أحدا الا ان علموا رضا الله تعالى فيه فلا يحبون أحدا ولا يبغضونه لعلة دنيوية وقد ثبت فى الحديث الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرا الايمان فلو عبد الشخص ربه كعبادة الثقلين طالبا الثواب وهو غافل عن كون ذلك من مرضاة الله تعالى فهو خارج عن الطريق وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام هل عملت لى عملا فقال نعم يا رب صليت وصمت وتصدقت وذكر أشياء فقال الله تعالى هذا لك ولكن هل واليت لاجلى وليا أو عاديت لاجلى عدوا فعلم عند ذلك موسى أن الحب فى الله والبغض فى الله من أفضل الاعمال وكان على بن الحسين رضى الله عنهما يقول لا يصطحب اثنان على غير طاعة الله الا تفرقوا على غير طاعة الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول اذا دخلتم على الولاة فلا تخصوهم بالدعاء فانهم حاربوا الله ورسوله ولكن ادعوا للمسلمين فان كانوا منهم لحقتهم الدعوة وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول اذا أحببت أحدا لا تسأل عن مودته لك ولكن انظر ما فى قلبك له ونفسك فان ما عندك مثل الذى عنده على حد سواء انتهى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا أحدث الرجل حدثا ولم يبغضه من زعم انه أخوه فمحبته لغير الله اذ لو كانت لله لغضب على من عصاه وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول يؤتى بالعبد يوم القيامة بين يدى الله تعالى فيقول الله عز وجل له هل أحببت لى وليا حتى أهبك له انتهى فاحبوا الصالحين واتخذوا عندهم أيادى فان لهم دولة يوم القيامة وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول مصارمة الفاسق قربة الى الله تعالى (قلت) ومراده مصارمته بالقلب أما فى الظاهر فلا تنبغى مصارمته لاجل تقويم عوجه وتبغيضه فى صفات الفسق فان الفاسق ضالة كل داع الى الله تعالى فافهم ذلك والله أعلم وقد سئل سفيان الثورى رحمه الله تعالى هل نعزى الفاسق اذا مات له ميت قال لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يذكر أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ويبكى ويترحم على معاوية رضى الله عنه ويقول انه كان من أكابر العلماء الا انه ابتلى بحب الدنيا انتهى (قلت) الذى ينبغى حمل حبه للدنيا

بها الجنة وغفلوا من قوله تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلمها الناس وغفلوا عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقوله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وغير ذلك كثير وهؤلاء مغرورون نعوذ بالله من حالهم وانما غلب عليهم حب الدنيا وحب أنفسهم وطلب الراحة العاجلة وظنوا أن علمهم ينجيهم فى الآخرة من غير عمل (وفرقة أخرى) أحكموا العلم والعمل الظاهر وتركوا

على انه صحب العمل الآخرة كما عليه السلف الصالح بل هو أولى بقصد ذلك من الاولياء لانه صحابي جليل رضي الله عنه والله أعلم وكان الحسن البصري رحمه الله يقول من ادعى أنه يحب عبد الله تعالى ولم يبغضه اذا عصى الله تعالى فقد كذب فى دعواه أنه يحبه لله وكان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول من أحب رجلا من أهل النار لخير ظهر منه آجره الله على ذلك ومن أبغض رجلا من أهل الجنة لشر ظهر منه آجره الله على ذلك وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يطرد الكلب اذا جلس بحذائه ويقول هو خير من قرين السوء وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع فى الصالحين وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول ليس شئ أنفع لقلب العبد من مخالطة الصالحين والنظر الى أفعالهم وليس شئ أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر الى أفعالهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ولى الله ريحان فى الارض فاذا شمه المريدون ووصلت رائحته الى قلوبهم اشتاقوا الى ربهم انتهى فتأمل يا أخى حالك هل أحببت أحدا لله وأبغضته كذلك لله تعالى أم أحببت بالهوى وأبغضت بالهوى وابك على نفسك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) قلة الضحك وعدم الفرح بشئ من الدنيا بل كانوا ينقبضون بكل شئ حصل لهم من ملابسها ومراكبها ومناكحها ومناصبها عكس ما عليه أبناء الدنيا كل ذلك خوفا أن يكون من جملة ما عجل لهم من نعيم الآخرة وكيف يفرح بشئ من هو فى السجن محبوس عن لقاء الله عز وجل فكما يحزن المحبوس عن داره وعياله ويتكدر كذلك يحزن أولياء الله تعالى على طول عمرهم وحبسهم فى هذه الدار عن لقاء ربهم عز وجل وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله عز وجل وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول عجبت من ضاحك ومن ورائه النار ومن مسرور ومن ورائه الموت وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما يراه من شدة الحزن والخوف وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول رب ضاحك وأكفانه قد خرجت من عند القصار وكان ابن مرزوق رحمه الله تعالى يقول من ادعى أن الذنوب تغمه وأحزنته ثم جمع فى ادامه بين عسل وسمن فهو كاذب وكان الاوزاعى رحمه الله تعالى يقول فى قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها الصغيرة هى التبسم فى هذه الدار والكبيرة هى القهقهة فيها (قلت) ولعل مراده رحمه الله تعالى بالتبسم هنا الضحك بصوت يسمعه من فى مجلسه اذ التبسم كان ضحكه صلى الله عليه وسلم وكان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول ما ضحك مؤمن قط الا وهو فى غفلة عن الموت وكان عامر بن قيس رحمه الله يقول أكثر الناس ضحكا فى الدنيا أكثرهم بكاء فى النار ومكث سعيد بن عبد العزيز رحمه الله تعالى لم يضحك منذ أربعين سنة حتى مات وكذلك غزوان الرقاشى وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول مع كل ضحكة فى مجلس شيطان وقد مرت معاذة العدوية رحمها الله تعالى يوما على شبان يضحكون وعليهم ثياب صوف فقالت سبحان الله لباس الصالحين وضحك الغافلين وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول الضحك الذى لا اسراف فيه هو الذى تظهر به السن ولا يسمع له صوت واللباس الذى لا اسراف فيه هو ما وارى العورة ووقاك من الحر والبرد والطعام الذى لا اسراف فيه هو ما سد الجوع وكان دون الشبع وكان عون بن أبى زيد رحمه الله تعالى يقول صحبت عطاء السلمى رحمه الله خمسين سنة فما رأيته ضاحكا قط وقد كان عبد العزيز ابن أبى داود رحمه الله تعالى يقول لما ظهر المزاح فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فتركوا المزاح حينئذ وخشعوا رضي الله عنهم انتهى والآثار فى ذلك كثيرة مشهورة فى كتاب الرقائق وما تميز أهل الله عز وجل عن غيرهم الا بالاقبال على الآخرة والتهيؤ لاحوالها فتأمل يا أخى فى نفسك وما أنت منطو عليه من الغفلة والسهو عما يقربك الى الله تعالى وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

المعاصى الظاهرة وغفلوا عن قلوبهم فلم يمحوا منها الصفات المذمومة عند الله كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء بالاقران والشركاء وطلب الشهرة فى البلاد والعباد وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله صلى الله عليه وسلم الرياء الشرك الاصغر وقوله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقوله صلى الله عليه وسلم حب المال والشرف ينبتان النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل الى غير ذلك من الاخبار وغفلوا عن قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ومن لا يصفو قلبه لا تصح طاعاته

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) تمنى الموت اذا خافوا على أنفسهم الوقوع فيما يسخط الله عز وجل عليهم وذلك بامارات تظهر لهم من أنفسهم هى كالمقدمات للمعاصى والقرائن معدودة من الادلة فى كثير من المواضع وقد كان عابس الغفارى رضى الله عنه فى أيام الطاعون يقول يا طاعون خذنى ويكرر ذلك فقال له ابن عمه كيف تقول ذلك يا عابس وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يتمنى أحدكم الموت فانه انقطاع لعمله فقال عابس نعم سمعته يقول ذلك ولكنى أخاف ستا سمعته صلى الله عليه وسلم يتخوفهن على أمته امارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بافقههم فى الدين ولكن يقدمونه ليغنيهم به غناء انتهى وكذلك تمنى أبو بكرة الموت رضى الله عنه فقيل له فى ذلك فقال أخاف ان أدرك زمانا لا آمر فيه بالمعروف ولا أنهى فيه عن المنكر وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول سيأتى على الناس زمان يكون الموت أحب الى العلماء فيه من الذهب الاحمر حتى يأتى الرجل قبر أخيه فيقول ليتنى كنت مكانك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من أطاع الله لم يتمن الموت وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا فيه خير قال له ادع لى بالموت وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما من مؤمن ولا كافر الا والموت خير له فان الله تعالى يقول وما عند الله خير للابرار وقال انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت مشايخنا وهم يتمنون الموت رضى الله عنهم فكنت أتعجب منهم حتى صرت الآن أتعجب ممن لا يحب الموت وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ذهب صفو الدنيا وبقى كدرها فالموت اليوم تحفة لكل مسلم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول ما أحب أن يخفف عنى الموت لانه آخر ما يؤجر عليه المؤمن وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ما أهدى الى أخ هدية هى أحب الى من السلام ولا بلغنى خبر عنه قط أحب الى من موته وقد كان عطاء السلمى رحمه الله يتمنى الموت فقال له عطاء الازرق رحمه الله كيف تتمنى ما نهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه فقال انما يرجو الحياة من يزداد كل يوم خيرا وأما مثلى ومثلك فما يرجو بالحياة وكان أبو عتبة الخولانى رحمه الله تعالى يقول كان من صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقاء الله تعالى أحب اليهم من الشهد ولم يكونوا يخافون عدوا من الدنيا بل كانوا واثقين برزق الله وكانوا يحبون الموت أكثر مما يحب أحدكم الصحة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول قلت مرة لسهل التسترى رحمه الله أتحب يا سهل أن تموت غدا فقال لا ولكن الساعة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يخافون من الامراض والبلايا خوفا على أنفسهم أن يقعوا فى كراهة قضاء الله تعالى فلم يكن خوفهم من البلاء الا لما فيه وو الله ما أدرى ماذا يقع منى لو ابتليت فلعلى أكفر ولا أشعر وقد بلغنى أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بنى انى حملت الصخر والحديد فلم أر شيئا أثقل من الدين وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيئا ألذ من العافية وذقت المرارات كلها فلم أذق شيئا أمر من الحاجة الى الناس وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ابكوا على أهل البلاء وان كان جرمكم أعظم من جرمهم فيحتمل انكم تعاقبون على ذنوبكم كما عوقبوا أو أشد وكان كثيرا ما يبعث الى أهل السجن بما عنده من الطعام والدراهم ويقول انهم مساكين وكان سهل بن سعد التسترى رحمه الله تعالى يقول من أعظم ما يبتلى به العبد الفراغ من أعمال الدنيا والآخرة ولكن لا يشعر بأنه بلاء الا القليل من الناس وكان مسلم بن قتيبة رحمه الله تعالى يقول من أعظم المروأة الصبر على أذى الرجال ولقد أدركنا الناس وهم يعدون الامارة أعظم بلاء ونراهم اليوم يطلبونها وكانوا اذا تولى صديقهم الامارة يقولون اللهم أنسه ذكرنا حتى يصير لا يعرفنا ولا نعرفه وكان يحيى بن الحسين رحمه الله تعالى يقول من طلب السلامة احتمل الملامة وكان يقول البلاء كله ينشأ من العافية ولو أن فرعون أصابه المرض ما قال الذى قاله وهو قوله أنا ربكم الاعلى وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أعظم البلاء وقوع العبد فى الرياء بعلمه وعمله ولكن لا يشعر بذلك الا القليل من الناس فاعلم ذلك وفتش يا أخى نفسك واياك أن تقول كما قال بعض

وهو كمريض ظهر به الجرب فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء فاشتغل بالطلاء وترك شرب الدواء فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه وأصل ما على ظاهره متعلق بباطنه فلا يزال الجرب يزداد أبدا لما فى باطنه [illegible] المتعلق بباطنه واستراح الظاهر فكذلك الخبائث اذا كانت كامنة فى القلب يظهر أثرها على الجوارح (وفرقة أخرى) علموا هذه الاخلاق الباطنة وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع الا أنهم لاجل عجبهم بأنفسهم يظنون أنهم منفكون عنها وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك وانما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم فى العلم فأما هم فهم أبلغ عند الله من أن يبتليهم بذلك وظهرت

الصبين

الحبين حين ابتلى اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فان رجال البلاء انما هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه مبتلى بمرض البواسير فكانت تنضح عليه دما بالليل ونهارا حتى كان رضى الله عنه يجلس للحديث والطشت تحته يقطر فيه الدم فقال يوما اللهم ان كان فى هذا رضاك فزدنى منه فسمعه شيخه الامام مسلم بن خالد الزنجى رحمه الله تعالى فزجره وقال له مه يا محمد سل الله العافية فانا وأنت لسنا من رجال البلاء وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى خطبته أيها الناس سلوا الله العفو والعافية فان المؤمن لم يعط بعد الاسلام أفضل من العفو والعافية وسيأتى بسط الكلام على هذا الخلق مفرقا فى الباب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة خوفهم من الله تعالى فى حال بدايتهم وحال نهايتهم لكن فى حال بدايتهم من الذنوب بخوف العذاب وفى حال نهايتهم خوف الاجلال والتعظيم ومن لازم خوفهم الندم ضرورة فى الحالتين وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا صفية عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فانى لا أغنى عنكما من الله شيأ وفى الحديث البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يفنى فكن كما شئت كما تدين تدان وقد كان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول أربع اذا أفرط فيها الرجل أهلكته واستهونه كثرة الجماع والصيد والقمار والذنوب وكان أبو تراب النخشبى رحمه الله تعالى يقول اذا أجمع الرجل على ترك الذنوب أتته الامداد من الله تعالى من كل جانب ومن علامة سواد القلب ثلاث أن لا يجد للذنوب مفزعا ولا للطاعة موقعا ولا للموعظة منجعا وكان أبو محمد المروزى رحمه الله تعالى يقول انما شقى ابليس بخمس خصال لانه لم يقر بذنبه ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يبادر الى التوبة وقنط من رحمة الله تعالى قال وعكس ذلك آدم عليه الصلاة والسلام فانه سعد بخمس خصال أقر بذنبه وندم عليه ولام نفسه وبادر الى التوبة ولم يقنط من رحمة الله تعالى وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا عصيت ربك فبادر بالتوبة والندم ولا تعتذر للناس فاعتذارك اليهم أعظم من معصيتك وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لان أدخل النار وقد أطعت الله تعالى أحب الى من ان أدخل الجنة وقد عصيته وكان الاوزاعى رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معصية يقول له لا تغرنكم قرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مخالفتكم هديه وأمره فانه قال لابنته فاطمة رضى الله عنها أنقذى نفسك من النار فانى لا أغنى عنك من الله شيأ وكان أحمد بن حرب يقول ألم يأن للمذنب أن يتوب فان ذنبه فى الديوان مكتوب وهو غدا فى قبره مكروب وبه الى النار مسحوب وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لا ينبغى لعاقل أن يؤذى محبوبه فقيل له وكيف ذلك قال يؤذى الرجل نفسه بعصيانه ربه وكان جعفر بن محمد رضى الله عنهما يقول من أخرجه الله تعالى من ذل المعصية أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا بشر وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول العمل الصالح مع قلة الذنوب أحب الى الله من كثرة العمل الصالح مع كثرة الذنوب وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول على قدر الخروج من الذنوب تكون الاقالة للقلوب وقد كان الحسن البصرى رحمه الله يقول من علامة من غرق فى الذنوب عدم انشراح صدره لصيام النهار وقيام الليل وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول لاصحابه قد غرقنا فى الذنوب ولو أن أحدا منكم يجد منى ريح الذنوب لما استطاع أن يجلس الى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول مساكين قتلة الحسين رضى الله عنه ولو دخلوا الجنة بفضل الله تعالى كيف يجترئ أحدهم أن يمر بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد قتل ولده والله لو أن لى مدخلا فى قتله وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار خوفا أن ينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة نظرة غضب تؤذينى وتؤذيه وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول لو لم يكن فى الطاعة الا الطهور ونور الوجه وبهاؤه والمحبة فى القلوب والقوة فى الجوارح والامن على النفس والتجوز فى الشهادة على الناس لكان فى ذلك كفاية فى ترك الذنوب ولو لم يكن فى المعصية الا النكارة فى الوجه والظلمة فى القلب والعنت فى الذكر والاسقاط فى الشهادة والخوف على النفس لكان فى ذلك كفاية فيجعل الله تعالى لكل من

عليهم مخايل الكبر والرياسة وطلب العز والشرف وغرورهم انهم ظنوا أن ذلك ليس بكبر وانما هو عز الدين واظهار لشرف العلم ونصرة دين الله وغفلوا عن فرح ابليس به وعن نصرة النبى صلى الله عليه وسلم بماذا كانت وبماذا ارغم الكافرين وغفلوا عن تواضع الصحابة وتذللهم وفقرهم ومسكنتهم حتى هوتب عمر رضى الله عنه على بذاذته عند قدومه الشام فقال انا قوم أعزنا الله بالاسلام لا نطلب العز فى غيره ثم هذا المغرور يطلب عز الدين بالثياب الرفيعة ويزعم انه يطلب عز العلم وشرف الدين ومهما أطلق اللسان بالحسد فى أقرانه أو فيمن رد عليه شيأ

الطائع والعاصي أطوار ليفرح هذا ويحزن هذا (قلت) ولعل المراد بالعين المذكور السبب لحال التعيين أو دخوله في عموم الصلاة اذ العين المحسن لا يجوز الا بنص والله أعلم وكان عطاء بن أبي رباح رحمه الله يقول في قوله تعالى ومن يعظم حرمات الله فهو خير له هي المعاصي يعظمها حتى لا يقع فيها وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول في قوله تعالى ان ابراهيم لأواه حليم قال كان يقول أوه قبل الوقوع في النار أوه قبل أن لا ينفع أوه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول أبى الله الا أن يذل من عصاه في الدنيا والآخرة بين الناس وربما أذنب عبد في الليل الا وأصبح ومذلته على وجهه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها صحوا من الصغائر قبل الكبائر وكان العوام بن حوشب رحمه الله تعالى يقول أربع بعد الذنب شر من الذنب وهي الاستغفار من غير اقلاع والاغترار بحلم الله والاصرار والاستبشار بالمغفرة اذا عمل بعد طاعة فقد لا يغفره الله بها وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من أطاع الله فقد ذكره وان قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ومن عصاه فقد نسيه ومن علامة العلماء العاملين بعلمهم أن لا يوجد أحدهم الا في عمل صالح وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الملائكة كيف تكتب ما هم به العبد ولم يعمله فقال الملكان الكاتبان عليهما الصلاة والسلام لا يعلمان الغيب ولكن اذا هم العبد بحسنة فقد فاح منه رائحة المسك فيعلمان انه قد هم بالحسنة واذا هم العبد بالسيئة فاح منه رائحة النتن فيعلمان انه قد هم بالسيئة (قلت) ولعل المراد بالهم هنا العزم المصمم ليوافق الاحاديث والقواعد الشرعية والله أعلم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول ان الله أمر بالطاعة وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذرا ونهى عن المعصية ولم يجعل لمن فعلها حجة ولو أراد سبحانه أن لا يعصى في الارض أصلا لما خلق ابليس فانه رأس الخطيئة وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ما أحب المتقون البقاء في هذه الدار الا ليطيعوه فيها وكان يقول أدخلهم الله الجنة قبل أن يطيعوه وقدر عليهم المعصية قبل أن يعصوه لما سبق في علمه عز وجل وقد كان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس ولهم أعمال صالحة كالجبال ومع ذلك كانوا لا يغترون وأنتم لا أعمال لكم ومع ذلك تغترون والله ان أقوالنا أقوال الزاهدين وأعمالنا أعمال الجبابرة والمنافقين وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا عصيت ربك وأصبحت رأيت نعمه سابغة عليك فاحذر فان ذلك استدراج ولقد أدركنا السلف وهم يستعظمون صغار الذنوب أكثر مما تستعظمون أنتم كبارها وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى اذا ضحى في العيد يقول وعزتك وجلالك لو علمت رضاك في ذبح نفسي لذبحتها لك قال وقد مكث كهمش بن الحسن رحمه الله أربعين سنة يبكي على غسله يده بتراب جاره بغير اذنه وكان يقول ربما كان أحدكم يظن ان الله تعالى غفر له ذنبه حين يتقادم عهده وذلك غرور وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل لبني اسرائيل بأي طريق وصل اليكم أني قد غفرت لاحدكم ذنبه حتى يترك الندم عليه وعزتي وجلالي لاوقفن كل مذنب على ذنبه يوم القيامة (قلت) ولعل معنى وقوف العبد على ذنبه ليريه تعالى فضله عليه فلا يلزم من ذلك عدم المغفرة والله أعلم وكان يزيد الجبيري رحمه الله تعالى يقول قلت مرة لراهب لم آثرتم لبس السواد على البياض فقال لانه شعار أهل المصائب ونحن أهل الذنوب وهي أعظم المصائب قال ومر عتبة الغلام رحمه الله بموضع كان فارتعد وتصبب عرقا فقالوا له في ذلك فقال هذا مكان عصيت الله فيه وأنا صغير وقد حج مالك بن دينار رحمه الله تعالى ماشيا من البصرة فقيل له ألا تركب فقال أما يرضى العبد العاصي الآبق أن يأتي الى صلح مولاه الا راكبا والله لو أني أتيت مكة على الجمر لكان ذلك قليلا انتهى فاعلم ذلك يا أخي وإياك أن تتهاون بالاستغفار اذا تقادم عهد الذنب فانك من المعصية على يقين ومن المغفرة على شك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الخوف من الله تعالى أن يعذبهم على ما جنوه من مظالم نفوسهم ومظالم العباد ولو عدلال لاحد أوابرة يخبطون بها الاسماء ان كان أحدهم يستقل أعماله الصالحة

من كلامه يظن بنفسه ان ذلك حسد ويقول انما هو غضب للحق ورد على المبطل في عداوته وظلمه وهذا مغرور فانه لو طعن على غيره من العلماء من أقرانه ربما لم يغضب بل ربما يفرح وان أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربما يحبه وربما يظهر العلم ويقول غرضي به ان أفيد الخلق وهو به مراء لانه لو كان غرضه صلاح الخلق لاحب صلاحهم على يد غيره ممن هو مثله أو فوقه أو دونه وربما يدخل على السلاطين ويتودد اليهم ويثني عليهم فاذا سئل عن ذلك قال انما غرضي ان أنفع المسلمين وادفع عنهم الضرر وهو مغرور فلو كان غرضه ذلك لفرح به اذا جرى على يد

فى صحيفته فانه يشتد خوفه وكربه لعلمه بأن يكون معه شيء من الحسنات يعطى منها الخصوم يوم القيامة وربما شمع أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضى بجميع أعمال الظالم الصالحة فى مظلمة واحدة من مال أو عرض أو لطمة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس من أمتى يوم القيامة فقالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار ولا متاع فقال صلى الله عليه وسلم المفلس من يأتى يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة وحج ويأتى وقد شتم هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم قذف فى النار وكان عبد الله بن أنيس رضى الله عنه يقول ينادى رب العزة يوم القيامة أنا الملك الديان لا ينبغى لاحد من أهل النار أن يدخل النار ولا ينبغى لاحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولاحد عنده مظلمة حتى اقتص له منه وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول تاب شاب من بنى اسرائيل عن جميع المعاصى ثم صار يتعبد ويعبد الله سبعين سنة لا يفطر ولا ينام ولا يستظل بظل ولا يأكل دهينا فلما مات رآه بعض اخوانه فى المنام فقال له ماذا فعل الله بك قال حاسبنى ثم غفر لى كل ذنب الا عودا تخللت به أسنانى بغير اذن صاحبه فأنا محبوس عن الجنة بسببه الى وقتى هذا (قلت) ويؤيد ذلك حديث ان الله تعالى أخفى ثلاثا فى ثلاث أخفى رضاه فى طاعته وأخفى سخطه فى معصيته وأخفى أولياءه فى عباده الحديث وربما علق الحق تعالى سخطه على عبد بوقوعه فى ذنب صغير فى عينه كأخذه الخلال المذكور لاسنانه أو غسل يده بتراب جاره بغير اذنه كما رأينا والله أعلم وكان الحرث المحاسبى رحمه الله تعالى يقول بلغنا أنه تاب كيال عن الكيل وأقبل على عبادة ربه عز وجل فلما مات رآه بعض أصحابه فى منامه فقال له ما فعل الله بك يا فلان قال أحصى على خمسة عشر قفيزا من أنواع الحبوب التى كنت أكيلها فقال له كيف ذلك قال كنت أغفل عن تعاهد الكيل بالنقص من الغبار فترا كم فى قعره من التراب فكان كل كيلة تنقص بقدر ما فى القعر من التراب قال وكذلك وقع لشخص كان لا يتعاهد الميزان بمسحها من الغبار فكان يعذب فى قبره ويسمع الناس صياحه فى القبر حتى شفع فيه بعض الصالحين رضى الله عنهم وكان أبو ميسرة رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان ميتا ضرب فى قبره ضربة التهب قبره منها نارا فقال على ماذا تضربون فقالوا انك مررت على مظلوم فاستغاث بك فلم تغثه وصليت مرة بغير وضوء أى وأنت متحقق وكان شريح القاضى رحمه الله تعالى يقول اياكم والرشوة فانها تعمى عين الحكيم وفى رواية تعمى عين الحكم الحق وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا من الولاة أو أعوانهم يتصدق على أحد من الفقراء يقول له أيها المتصدق على المساكين لترحمهم ارحم أنت الذى ظلمته ورد اليه ظلامته فانه أخلص لك منك وكان ميمون ابن مهران رحمه الله تعالى يقول من ظلم رجلا مظلمة وفاته أن يخرج من مظلمته فليستغفر له دبر كل صلاة فانه يخرج من مظلمته ان شاء الله تعالى وكان حذيفة رضى الله عنه يقول من اقتراب الساعة أن يكون أمراء فجرة وعلماء فسقة وأمناء خونة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليلعن نفسه فى الصلاة ولا يشعر فقيل له وكيف ذلك قال يقرأ ألا لعنة الله على الظالمين وهو قد ظلم نفسه بالمعاصى وظلم الناس بأخذ أموالهم والوقوع فى أعراضهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تكونوا أوصياء فان الوصى قد لا يقدر على العدل فى وصيته ولو بالغ فى التحرز وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أمين الخائن خائن وأمين العشار عشار وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول اياك أن تكون وصيا فان الوصى يريد أن يستصلح بك المال ويفسد عليك دينك فكن على دين نفسك أحرص منك على حفظ ماله وكان أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهما يقول الدخول فى الوصية أول مرة غلط والمرة الثانية خيانة ولا كلام وقد رأى كعب الاحبار رضى الله عنه رجلا يظلم الناس فى يوم الجمعة فقال له أما تخشى من ظلم الناس فى يوم تقوم فيه القيامة وفيه خلق أبوك آدم عليه الصلاة والسلام وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول من أعان ظالما على ظلمه أو لقنه حجة يدحض بها حق امرئ مسلم فقد باء بغضب من الله وكان الفضيل بن عياض رضى الله عنهما يقول بلغنا ان الله تعالى اذا أراد أن يتحف عبده سلط عليه من يظلمه انتهى وفى الحديث من

خيره ولو رأى من هو مثله عند السلطان يشفع فى أحد لغضب وربما أخذ من أموالهم فاذا خطر بباله انه حرام قال له الشيطان هذا مال بلا مالك وهو لمصالح المسلمين وأنت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام الدين وهذه ثلاث تلبيسات أحدها أنه مال لا مالك والثانى انه لمصالح المسلمين والثالث انه امام وهو يكون اماما الا من أعرض من الدنيا كالانبياء والصحابة وأفاضل علماء هذه الامة ومثله كما قال عيسى عليه السلام العالم السوء كصخرة وقعت فى فم الوادى فلا هى تشرب الماء ولا هى تترك الماء يخلص الى الزرع وأصناف غرور أهل العلم كثيرة وما يفسده هؤلاء أكثر

دعا على ظالم فقد انتصر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لو ظلمني أحد ولم أكافئه كان أحب الي وكان أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه يقول ما ظلم أحد أحدا ولا أساء أحد أحدا حقيقة لان الله تعالى قال من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول يخرج من الدنيا أقوام أغنياء من كثرة الحسنات فيأتون يوم القيامة مفاليس من أجل تبعات الناس وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لان تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد انتهى فتأمل يا أخي في خوف السلف واقتد بهم في ذلك فانك على شفير الهلاك ومن خاف سلم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الخوف من الله تعالى اذا ذكروا أهوال يوم القيامة وكثرة الغشيان والصعق اذا سمعوا القرآن والذكر وقد قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما قوله تعالى ان لدينا أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما وكان وراءه حمران بن أعين فخر ميتا رضي الله عنه وقد دخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى يوما فقال له عظني يا يزيد فقال له يا أمير المؤمنين انك أول خليفة يموت فبكى عمر وقال له زدني فقال له ليس بينك وبين أبيك آدم أب حي فبكى عمر وقال له زدني فقال له ليس بين الجنة والنار منزلة أخرى فسقط عمر مغشيا عليه وكان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يؤذن مرة فقال أشهد أن لا اله الا الله فغشي عليه فحملوه من المنارة ونزلوا به وصعد أخوه فأذن وصلى بالناس والحسن في غشيته وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا أكثر خشوعا من الحسن يعني ابن صالح رحمه الله قام ليلة الى الصباح بسورة عم يتساءلون يرددها ويغشى عليه الى الفجر ولم يتم السورة وكان كلما غشي عليه يجدد طهارة وقد مر داود الطائي يوما على امرأة تبكي على قبر وهي تقول ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فخر داود مغشيا عليه وقد كانت شعوانة العابدة رحمة الله عليها تقول في مناجاتها الهي أنت أكرم الكرماء وسيد السادات ورجاء المسلمين فأسألك أن تنظر اليوم لكل من تعرض لمصيبتك بعد معرفته بعفو بتك ثم تصرخ ويغشى عليها وتقول هاه وقد قرأ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ قوله تعالى واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه وصار يضطرب على الارض ساعة طويلة قال وسمع الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قارئا يقرأ قوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فخر مغشيا عليه ثم حمل الى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان هو الامام في حارته وفي رواية كان القارئ عبد الله بن مسعود وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول صلى سفيان الثوري رحمه الله تعالى ركعتين خلف المقام ثم نظر الى السماء فانقلب مغشيا عليه قال الداراني وما فعل به ذلك مجرد نظره الى السماء وانما ذلك من التفكر في أهوال القيامة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع وجيب قلبه من مسيرة ميل فيقال له تفعل ذلك وأنت خليل الرحمن فيقول اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي قال وصلى الفضيل بن عياض رحمه الله الفجر يوما فقرأ يس فلما بلغ قوله تعالى ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فسقط ابنه علي رحمه الله فلم يفق حتى طلعت الشمس وقد كان على هذا اذا أراد أن يقرأ سورة لم يقدر أن يتمها وكان لا يقدر يسمع سورة اذا زلزلت الارض ولا سورة القارعة أبدا قال ولما مات ضحك أبوه الفضيل فقيل له في ذلك وكان كثير الحزن فقال ان الله أحب موته فأحببت ذلك لحب الله وكان يقول لو اني ادع الله أن يقدرني على سماع سورة كاملة أو على ختم القرآن ولو مرة قبل موتي وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول كان أحدهم يقرأ القرآن في الليل فاذا أصبح عرف الناس ذلك في وجهه من شدة التغير والاصفرار والنحول والذبول وصار الناس اليوم يقرأ أحدهم القرآن كله في الليل فاذا أصبح لا يظهر على وجهه منه شيء وكأنه حل رداءه وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول سمع سلمان الفارسي رضي الله عنه قارئا يقرأ قوله تعالى وان جهنم لموعدهم أجمعين فصاح ووضع يده على رأسه وخرج هائما لا يدري أين يتوجه مدة ثلاثة أيام فتأمل يا أخي

مما يصطلحونه (وفرقة أخرى) أحكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعات واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا أخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب العلو وجاهدوا أنفسهم في التبري منها وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ولكنهم مغرورون اذ في زوايا القلب بقايا من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دق وغمض فلم يتفطنوا لها وأهملوها ومثالهم مثال من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه الا انه لم يفتش عما لم يخرج رأسه بعد من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر

فى أحوال السلف فهل غشى عليك قط عند سماع كلام ربك عز وجل خالصا أم لم يغش عليك لاخالصا ولا مرائيا لقسوة قلبك فخذ حذرك وعليك بالجوع فانه يرق القلب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) انخلاع قلوبهم من أجسامهم فى كل مرضة يمرضونها لاحتمال ان تكون تلك المرضة آخرها لهم فلا يمكنهم التوبة ولا تدارك الحقوق فيذهبون الى الآخرة وهم عصاة كالعبد المجرم الذى فسق فى حريم سيده وأتوبه حال اشتداد غضبه عليه ولله المثل الاعلى وقد مرض حسان ابن سنان رحمه الله فدخل عليه أصحابه يعودونه فقالوا له كيف تجدك فقال بخير ان نجوت من النار فقالوا له ماذا تشتهى فقال ليلة طويلة أحييها بالصلاة والاستغفار قبل ان أموت وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول دخلت على جار لى وهو فى مرض موته وكان مسرفا على نفسه فقلت له ألا تعاهد الله تعالى على انك لا تعصيه فلعلك تموت على ذلك قال مالك فسمعت النداء من داخل البيت ان كان عهده مثل عهودك التى تعاهدنا عليها ثم تنقضها فلا فائدة فيه بل يرادبه مقتا وطردا فخرج مالك مغشيا عليه وقالوا للربيع بن خثيم فى مرض موته ألا ندعو لك طبيبا فسكت ساعة ثم قال أين عاد وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال وكلا تبرنا تتبيرا مع أنهم كان فيهم المعالجون والاطباء ومع ذلك ماتوا جميعا ثم قال والله لا أدعو لى طبيبا أبدا ودخلوا على مغيرة الخراز فى مرض موته فقالوا له كيف تجدك قال موقرا بالذنوب فقالوا هل تشتهى شيأ فقال نعم ان يمن على بالتوبة عن كل ما يكره قبل موتى ولما مرض وهيب بن الورد سير اليه أمير مكة بطبيب نصرانى فقال له ما تجد فقال معاذ الله ان أخبرك بما بى فقال له القوم أخبرنا ونحن نخبره فقال سبحان الله أين هذه العقول أتأمرونى أن أشكو ربى الى عدو من أعدائه وهو اعنى أجمعون وكان سفيان بن عيينة يقول دخلنا على الفضيل بن عياض نعوده فقال لو لم تجيئوا لكان أحب الى من مجيئكم انى أخاف أن أشكوا لكم ربى وكان يحيى بن معاذ يقول عند نامرة مريضا فقلنا له كيف تجدك فقال أخرجت الى الدنيا وأنا راغم وقد عشت فيها وأنا ظالم وأفارقها وأنا نادم ودخل الحسن البصرى على عطاء السلمى وهو مريض قد علاه الصفار فقال له يا عطاء لو خرجت الى صحن الدار فقال انى أستحى أن يرانى ربى أسعى فى حظ نفسى ولما مرض عمر بن عبد العزيز أتوه بطبيب فنظر اليه الطبيب وقال هذا رجل قد قطع الخوف من الله كبده فلا أقدر على دوائه ولما مرض أبو بكر بن عياش دخل عليه طبيب نصرانى فجعل يجس يده فلما قام النصرانى أتبعه أبو بكر بصره ثم قال يارب كما عافيتنى من بلائه الذى هو الكفر فافعل بى ما شئت وكان سفيان الثورى يقول قل ان ينفك مريض من غير الاكابر عن هذه الاربع الطمع والكذب والشكوى والرياء وكان شداد بن حكيم اذا حم بالمرض يتصدق بمائة درهم شكرا لله تعالى على المرض وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا مرض لا يتداوى باشارة طبيب وقالوا له مرة ألا ندعو لك طبيبا فقال نا والله لو علمت ان شفائى فى مس أذنى ما مسستها نعم ما يفعله ربى عز وجل ولما عادوا يحيى بن معاذ قالوا له كيف تجدك قال عشت فى الدنيا ظالما وقيل للامام الشافعى كيف تجدك قال أصبحت من الدنيا راحلا ولسوء أعمالى ملاقيا وعلى فضل ربى معولا ودخل بعض الامراء على داود الطائى فى مرضه فوضع الى جنبه ألف دينار فقال له خذها فاقك الله فقال له ألك حاجة قال نعم ان لا تأتينى بعد اليوم ثم التفت للحاضرين وقال هذا يريد ان يزيد فى دنسا على دنسى قبل موتى (ودخلوا) على الفضيل بن عياض يعودونه فقالوا له ما تشتهى قال نظرة الى أبى يوسف ابن أسباط قبل موتى وكان حاتم الاصم اذا رأى بخيلا يتصدق فى مرض موته يقول اللهم أدم مرضه فانه تكفير لخطاياه وأفضل للفقراء وقالوا لمحمد بن سيرين فى مرض موته كيف تجدك فقال أجدنى فى بلاء شديد أجوع فلا استطيع ان أشبع وأعطش فلا أستطيع ان أروى وأرقد فلا أذوق الكرى وقالوا وكان قليل الشكوى فى مرضه ولكنه اشتد عليه فلم يطق جلده فشكا الى اخوانه ليدعوا له بالعافية ومرض الفضيل بن عياض مرة فقالوا له كيف تجدك فقال بخير ولكن ادعو الى بطول المرض حتى لا أرى الناس ولا يرونى ودخلوا على أبى بكر بن عبد الله يعودونه فخرج اليهم يهادى بين رجلين فقالوا أدع الله لنا فقال رحم الله من

وبرزقلما غفل عنها طهر وأفسدت عليه الزر فهؤلاء ان غير واتغير وربما تركوا مخالطة الخلق استكبارا عنهم و ر نظروا الى الخلق بعين الحقارة وربما يحتهد بعضهم فى تحسين منظره كيلا ينظر اليه بعين الركاكة (وفرقة أخرى) تركوا المهم من العلوم واقتصروا على علم الفتاوى فى الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه وسموه الفقه وعلم المذهب وربما ضيعوا مع ذلك علم الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن عن الحرام والرجل عن

اشتغل بطاعة ربه قبل ان يصير الى مثل حالي هذا ودخلوا على المأمون في مرضه الذي مات فيه فاذا هو قد أمر خدامه ان يفرشوا تحته جل الدابة ويبسطوا عليه الرماد وصار يتمرغ عليه ويقول يامن لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ودخلوا على عتبة الغلام في مرض موته فقالوا كيف تجدك فانشد يقول

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي * غداة يقل الحاملون جنازتي * وعجل أهلي حفر قبري وصيروا

خروجي وتعجيل اليه كرامتي * كأنهم لم يعرفوا قط صورتي * غداة أتى يومي علي وليلتي

قال عمر بن عبد العزيز ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه دعا بلبن فشربه فخرج اللبن من طعنته فقال الله أكبر فجعل جلساؤه يثنون عليه خيرا فقال والله لوددت أني خرجت من الدنيا كفافا كما دخلت فيها ولو كان الى اليوم جميع ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول المطلع ولما حضرت الوفاة سلمان الفارسي بكى وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد الينا وقال ليكن بلغة احدكم من الدنيا كزاد الراكب وها أنا قد جمعت هذه الامتعة وأشار اليها فلما مات قوموها بخمسة عشر درهما ولما حضرت ابراهيم النخعي الوفاة بكى فقيل له في ذلك فقال اني أنتظر رسولا يأتيني من ربي لا أدري هل يبشرني بالجنة أو بالنار ولما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال ابكي على ذنوبي التي رأيتها في عيني هينة وهي عند الله عظيمة ولما حضرت محمد بن سيرين الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال أبكي على تفريطي في الايام الخالية وادناني الى النار الحامية ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال اللهم اني أذنبت فان غفرت لي فقد مننت وان عذبتني فقد عدلت وما ظلمت لكني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ثم قضى نحبه رضي الله عنه ولما حضرت عامر بن قيس الوفاة بكى وقال اني لم أبك جزعا من الموت ولا حرصا على الدنيا ولكني أبكي على عدم قضاء وطري من طاعة ربي وقيام الليل في أيام الشتاء ولما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال لغلامه اجعل رأسي على التراب فبكى الغلام قال ما يبكيك قال ذكرت ما كنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت على هذا الحال فقال اني سألت ربي أن أموت على هذا الحال ثم قال لقني يا أخي لا اله الا الله اذا الحال تغير ولا تعد على ذلك الا ان تكلمت بعده بكلام وكان عطاء بن يسار يقول وثب ابليس تجاه أحمد بن حنبل وقال يا أحمد خرجت من الدنيا وأنت آمن مني فقال له ما أمنتك بعد ودخل الحسن البصري على رجل وهو يجود بنفسه فقال ان أمرا هذا آخره لحقيق ان يزهد في أوله ولما حضرت أبا ذر الوفاة قال يا موت اخنق وعجل فاني أحب لقاء الله ودخل أبو الدرداء على محتضر فوجده يقول الحمد لله فقال له أصبت يا أخي ان الله اذا قضى أمرا أحب من عبده أن يحمده عليه (ودخل) سفيان الثوري على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده فقال لهما لا تبكيان فاني قادم على من هو أرحم بي منكما (ولما حضرت) معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على جهل من لم يثق باحد سواك ولم يرج غيرك ثم بكى حتى علا نحيبه ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظر الى أولاده وهم يبكون حوله فقال قد جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما جمع وتركتم عليه ما اجترم فما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى فقالوا له ما يبكيك فقال بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار انتهى فتأمل يا أخي نفسك فانك محتضر على الدوام ليس في بدنك نفس واحد يطلع أو ينزل وأكثر من الاستغفار آناء الليل وأطراف النهار فانك على شفا جرف هار والله يتولى هداك وهو يتولى الصالحين والحمد لله رب العالمين وعليه الاعتماد

(ومن أخلاقهم رضي الله عنهم) كثرة الاعتبار والبكاء والاهتمام بامر الموت اذا رأوا جنازة وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه اذا رأى أحدا يحمل جنازة يقول لها امض الحبر بك فانا على أثرك ماضون وكان مكحول الدمشقي يقول اذا رأى جنازة اغدوا فانا رائحون موعظة بليغة قليلة وغفلة سريعة يذهب الاول والآخر لم يعتبر وكان يظل كأنه لا عقل له مدة أيام وكان أسيد بن حضير يقول ما حدثتني نفسي قط عند رؤية الجنازة الا بما الميت صائر اليه وربما ترك الاكل والشرب أياما وخرج مرة في جنازة فلما ادخلوا الميت القبر غشي عليه فما

السعي الى السلاطين وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم من الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات وهؤلاء مغرورون من وجهين أحدهما من حيث العمل وقد ذكرنا وجه علاجه في كتاب الاحياء وان مثلهم كمثل المريض الذي تعلم الدواء من الحكماء ولم يعمله أو يعمله فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث انهم تركوا تزكية أنفسهم وتخليها واشتغلوا بكتاب الحيض والديات واللعان والظهار وضيعوا أعمارهم فيها وانما غرهم تعظيم الخلق لهم واكرامهم ووجوع أحدهم قاضيا ومفتيا وبطعن كل واحد منهم في صاحبه فاذا اجتمعوا زال الطعن والثناء في من

رجعوا به الى بيته الا في النعش وخرج مالك بن دينار في جنازة أخ له فبكى وقال والله لا تقر عيني حتى أعلم ما صار اليه أخي وكان الاعمش يقول كنا نشهد الجنائز ولا نعرف من يعزى لان الحزن قد عم الناس كلهم وكان ثابت البناني يقول كنا نشهد الجنائز فلا نرى الا متقنعا باكيا ومر ابراهيم الزيات على جماعة يترحمون على ميت فقال لهم شفقوا على أنفسكم خير لكم فان ميتكم قد جاوز ثلاث أثارؤية ملك الموت وذوق مرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة وحضر عمرو بن ذر جنازة رجل كان مسرفا على نفسه وتحاشى الناس أن يحضروا جنازته من شدة اسرافه فلما أدلوه في القبر قال له عمرو رحمك الله يا فلان صحبت التوحيد وعفرت وجهك بالتراب وان كانوا قالوا عليك انك مذنب كثير الخطايا فمن هو منا لم يذنب ولم يخطئ فبكى من كان حامل النعش فاعلم يا أخي ذلك واعتبر كما اعتبر هؤلاء وأكثر من البكاء والنحيب فان بين يديك من الاهوال ما لا يوصف والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الحزن والهم كلما تذكروا الموت وسكراته وخوف سوء الخاتمة حتى تزلزل عقولهم من شدة الالم وقد كان كعب الاحبار يقول لما أتى البشير الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب ما عندي شيء أكافئك به ولكن هون الله عليك سكرات الموت (قلت) قد تقدم عن بعضهم انه كان يقول لعلي أكره تخفيف طلوع روحي وانما أحب التشديد لانه آخر عمل يثاب عليه المؤمن فهاهنا في حق من يخاف عليه السخط اذا اشتد والله عليه والله أعلم وكان يقول مثل الموت كشجرة الشوك ادخلت في جوف ابن آدم فأخذت كل شوكة بعرق ثم اجتذبها رجل شديد الجذب فقطع ما قطع وأبقى ما أبقى وكان سلمان الفارسي يقول اذا رشح جبين المؤمن عند الموت وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهو في رحمة الله قد نزل واذا غط غطيط المخنوق وخمد لونه وأزبدت شفتاه فهو في عذاب الله قد نزل وكان الحسن البصري اذا حضر قبض روح أحد من اخوانه يمكث أياما لا يذوق طعاما ولا شرابا انما هو البكاء والنحيب وكان يقول ثلاثة لا ينبغي للمؤمن أن ينساهن الدنيا وتصرم أحوالها والموت وكان سفيان الثوري اذا ذكروا بين يديه الموت لا ينتفع به أحد أياما واذا سأله أحد عن شيء يقول لا أدري وكان شقيق الزاهد يقول قد خالف الناس في الستة أمورا قالوا ان الله تعالى تكفل بأرزاقنا ثم لم تطمئن قلوبهم الا بشيء يجمعونه عندهم وقالوا ان الآخرة خير من الاولى وتراهم يجمعون المال ولا ينفقونه فكأنهم لم يدخلوا الدنيا الا ليحملوا الذنوب وقالوا لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من ليس على باله موت ولما حضرت الوفاة عطاء السلمي نظر الى أصحابه وهم يدعون له بالتهوين فقال كفوا عن الدعاء والله اني أود ان روحي تتردد بين لهاتي وحنجرتي الى يوم القيامة خوفا مما أقدم عليه بعد الموت وكان يقول من أراد أن ينظر الى الارض بعد أهلها فلينظر الى منازل الحجاج حين يرحلون عنها وأنشد أبو العتاهية

تفنى وتبقى الارض بعد كمثل ما * يبقى المناخ وترحل الركبان

وكان الحسن بن عمران يقول الموت أشد من نشر المناشير ومن طبخ القدور ولو أن ألم شعرة واحدة من الميت وضع على أهل الدنيا لوجدوا من ذلك ألما يشغلهم عن الاكل والشرب ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما على باب دار فقال مالي أرى هذه الدار ساكنة بعد ان كانت ناطقة فاجابته امرأة من وراء الباب قد صار أهلها يتامى وأيامى فبكى الحسن حتى بل لحيته ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قالوا له انا لنرجو أن لا تمسك النار فقال والله انكم لجاهلون اني لاخشى ان أصير فحمة من فحم جهنم ودخل عليه جماعة وهو مطعون قالوا له استخلف ولدك عبد الله بعدك فانه عبد صالح فقال رضي الله عنه أما يكفي من آل الخطاب واحد يأتي يوم القيامة ويداه مغلولتان الى عنقه وكان ابن أبي مليكة يقول لما قبض الخليل عليه الصلاة والسلام رآه بعض ولده فقال يا أبت كيف وجدت الموت فقال ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجدت نفسي كأنها تنزع بالسلاسل وقد سألني ربي عن ذلك فاجبته بهذا فقال الله تعالى أما انا قد هونا عليك وكان ابن عباس يقول لما جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام ليقبض روحه قال يا موسى أشربت خمرا اليوم فقال

حبث العلم وذلك لانهم لا علم الا بذلك وانه المر المنجي وانما الموصل الى حب الله تعالى ولا حب الله تعالى الا بمعرفته ومعرفته ثلاث معرفة الذات ومعرفة الصفات ومعرفة الافعال وهؤلاء مثل من اقتصر على بيع الزاد في طريق الحاج ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى كما قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة الآية ومن هؤلاء من اقتصر علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصم ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طو

سبحان الله انى صائم فاستنكهه فقبض روحه فى نكهته فقيل له بعد موته كيف وجدت الموت يا موسى فقال كشاة يسلخ جلدها وهى حية وكان الربيع بن خيثم يقول تمنوا الموت فى هذه الدار بجهدكم قبل أن تصيروا الى دار تتمنوا الموت فيها فلا تعطونه يعنى النار وكان ابن سيرين اذا ذكروا الموت عنده مات كل عضو منه وكان كعب الاحبار يقول لما أحيا عيسى بن مريم سام بن نوح قال له عيسى منذ كم أنت ميت قال منذ أربعة آلاف سنة قال كيف وجدت الموت قال الى الآن لم تذهب عنى سكرته ولا حرارته (وقيل) لرابعة العدوية أتحبين الموت فقالت لو عصيت آدميا ما أحببت لقاءه خجلا منه فكيف وقد عصيت ربى عز وجل (وسمع) يحيى بن معاذ نائحة فى دار رجل من الاغنياء فقال ويح المغتر بالدنيا الى متى يسمعون صيحة الآخرة فى دورهم فلا ينتبهون وكان حامد اللفاف يقول من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط فى العبادة وقال وهب بن منبه لما مات موسى عليه الصلاة والسلام جاءت الملائكة فى السموات بعضهم الى بعض واضعى أيديهم على خدودهم وهم يقولون مات موسى كليم الله فأى الخلق لا يموت وكان رضى الله عنه يقول لا يموت عبد حتى يرى الملكين الكاتبين فان كان صحبهما بخير قالا له جزاك الله من صاحب خيرا فنعم الصاحب كنت فكم أحضرتنا معك فى مجالس الخير وكم شممنا منك الروائح الطيبة حال طاعتك الخالصة وان كان قد صحبهما بسوء قالا له لا جزاك الله عنا من صاحب خيرا فكم أحضرتنا معك حال معاصيك وكم شممنا منك رائحة النتن وكان رضى الله عنه يقول لا يقدر على رضا الله الا من يعلم ان الله تعالى يراه على الدوام (قلت) قد ذكر المحققون ان مراقبة الله تعالى مع الانفاس ليست من مقدور البشر فليتأمل ما هنا وكان سفيان الثورى يقول ما استعد للموت من ظن أنه يعيش غدا وكان يقول الطاعات تتفرع من ذكر الموت والمعاصى تتفرع من نسيانه فاعلم يا أخى ذلك وعليك بالوحدة ومجالسة العباد والزهاد والعلماء العاملين واياك ومجالسة الغافلين والراغبين فان مخالطتهم ظلمة على القلب وحجاب عن شهود أهوال يوم القيامة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) النظر الى الدنيا بعين الاعتبار لا بعين المحبة لها ولشهواتها كما قد درج عليه جمهور السلف الصالح رضى الله عنهم وقد جاء سعد بن أبى وقاص يوما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أين كنت يا سعد فقال كنت عند قوم فى البادية همهم اناث بطونهم وفروجهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبرك بما هو أعجب من ذلك فقال بلى فقال من عرف مثل هذا الذى أنكرت عليهم ثم فعل كفعلهم وكان سفيان الثورى رضى الله عنه يقول من أهمل الفكرة والعبرة فى الدنيا لم ينقص له عمل صالح (وقيل) لحاتم الاصم متى يكون أحدنا من أهل الاعتبار فى الدنيا فقال اذا رأى كل شئ فى الدنيا عاقبته الى الخراب وصاحبه يذهب الى التراب وكان يحيى بن معاذ يقول ليكن نظرك الى الدنيا اعتبارا وسعيك لها اضطرارا ورفضك لها اختيارا وكان حاتم الاصم يقول من خرجت من داره جنازة ولم يعتبر بها لم ينفعه علم ولا حكمة ولا موعظة وكان أحمد بن حرب يقول تعجب الارض من رجل يمهد مضجعه للنوم ويوطئ فراشه تقول له الارض يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلائك فى بلا فراش وتعجب ممن تشاجر مع أخيه فى قطعة منها تقول له الارض لم لا تتفكر فى أربابى قبلك فكم مضى من الناس رجل ملكها ولم يقم فيها وكان مالك بن دينار يقول كل من لم يعتبر ببصره وبصيرته من هذه الدار الى الدار الآخرة فهو محجوب القلب قليل العمل وقال ابراهيم بن أدهم كان ابراهيم التيمى يبول فى حصن داره فخرج ليلا من حجرته ليبول فيه فلم يزل شاخصا الى الصباح فقيل له فى ذلك فقال لما أردت ان أبول تذكرت أهل النار وما هم فيه لم يزالوا يعرضون على سلاسلهم وقيودهم الى الصباح فلم يأخذنى نوم (وكانت) فاطمة امرأة عمر بن عبد العزيز تقول والله ما سم عمر ولا قتل كما قيل وانما مات من خشية الله وخوف النار وكان ثابت البنانى يقول مر داود عليه السلام بتنور يوقد فتذكر النار الكبرى فاضطرب وصعق وكادت تتخلص اعضاؤه وأوصاله وكانوا يشدونها بالحبال حتى يقدر على أن يحركها فلا تزال كذلك مشدودة أياما وكان يقول فى أيام الحر الهنى لا صبر لنا على حر

الليل والنهار فى التفتيش فى مناقضات أرباب المذاهب والتطلع لعيوب الاقران وهؤلاء لم يقصدوا العلم وانما قصدوا مباهاة الاقران ولو اشتغلوا بتصفية قلبهم كان خيرا لهم من علم لا ينفع الا فى الدنيا ونفعه فى الدنيا التكبر وذلك ينقلب فى الآخرة نارا تلظى وأما أدلة المذهب فيشتمل عليها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيا أقبح غرور هؤلاء (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم المقولات المختلفة واشتغلوا بتعليم الطريق فى مناظرة أولئك وافحامهم واكثرهم على فرقتين احداهما ضالة مضلة

سمعك فكيف نصبر على جوارك وكان يزيد بن مرثد لا تزال عيناه تهملان بالدموع فقيل له في ذلك فقال لو اذن الله تعالى على أن يدخلني في ماء الحمام ان عصيته لكان يحق لي ان أبكي الدم فكيف وقد وعد من عصاه ان يحرقه بالنار ومر عيسى عليه الصلاة والسلام على مقبرة فسمع قائلا يقول كم من بدن صحيح ووجه مليح ولسان فصيح بين اطباق الثرى يصيح وكان أحمد بن حرب يقول ما رأيت أحمق من عقولنا نؤثر الظل على الشمس ولا نؤثر الجنة على النار فاعلم ذلك يا أخي واجعل تدارك الوجود عبرة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تحذيرهم الناس أن يتبعوهم على أفعالهم الرديئة نصحا للعباد في حياتهم وبعد مماتهم لئلا يلحقهم الاثم بسبب من اتبعهم على تلك الصفات الرديئة التي ربما تقع منهم في غفلة أو سهو وقد بلغنا ان السيل كشف عن قبر أيام اسكندر ذي القرنين من ذهب طوله عشرة أذرع وعرضه كذلك فكشفوا الغطاء فاذا في ذلك القبر شخص نائم على سرير قوائمه من ذهب وهو مغطى بالحرير وفي عنقه لوح من زبرجد مكتوب فيه اسم واجب الوجود وعلة العلل كل ما له ابتداء فله انتهاء قد ملكت الربع المسكون من الدنيا ألف سنة وبلغ خراجي كل يوم زنة تبرى هذا ذهبا وسخرلي الشمس والقمر والافلاك وأطاعني الريح والماء والنار والحديد ثم صعدت الى الجو العلوي وتركت هذا الجسد بينكم يتلاشى ليعتبر به من بعدي فلا تخاوف الاسيفي والباقي الله رب العالمين ذكره الغزالي ففي ذلك تحذير هذا الملك الناس من أن يتبعوه في الغفلة عن الموت اشتغالا بالدنيا وكان وهب بن منبه يقول دخل داود عليه السلام غارا من اغوار بيت المقدس فاذا فيه سرير عليه رجل ميت وعند رأسه لوح مكتوب فيه أنا دلان الملك ملكت الدنيا ألف عام وتزوجت ألف بكر وبنيت ألف مدينة وهزمت ألف جيش وهذا مصرعي فاعتبر وابي يا أهل الدنيا وكان الفضيل بن عياض يقول كم أراد عدو الانسان ان يضره فيصرفه الله عنه ولا يشعر ثم يقرأ قوله تعالى اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وكان أنس بن مالك يقول لا تذهب الايام والليالي حتى يكون سماع الشعر احب الى الناس من سماع القرآن وكان يحيى بن معاذ يقول عجبت من أقوام يعيبون على الصالحين المباح ولم يعيبوا على أنفسهم الذنوب القباح فترى أحدهم يقع في الغيبة والنميمة والحسد والحقد والغل والكبر والعجب ولا يستغفر من ذلك ثم ينكر على الصالحين لبس أحدهم الثوب المباح أو أكل الحلاوة أو السكر المباح وكان أبو حمزة البغدادي يقول لا تنظر والشكر العامة في العلماء اذا ماتوا ولكن انظر والى شكر الزهاد والعباد لهم وقال صالح المري يوما من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له فقالت امرأة وهل أغلق بابه تعالى قط فقال صالح امرأة عقلت وشيخ جهل وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يسب النبي والصالح الا أهل مدينته أو جيرانه لانه ينصحهم فيكرهونه ويسبونه وكان يحيى بن معاذ يقول اذا رأيت العالم في مكان من الاماكن التي تزرى به فلا تعجل باللوم عليه فربما كان احد زمنك في حضوره وأقل لوماتك على لومك (قلت) وسيأتي في هذا الكتاب ان من الصالحين من لا يفارق مواضع المعاصي يشفع في أهلها ويحوطهم من أن ينزل عليهم بلاء ولا ينبغي المبادرة بالانكار عليه الا بعد الفحص عن حاله والله أعلم (وكان) يحيى بن معاذ يقول اذا صادفت الناس مالا فقد صادف الذئب غنما في البرية وكان أبو الدرداء يقول لا تجعلوا عباد الله تعالى بلاء عليكم فقيل كيف ذلك قال يوقف أحدكم على نفسه العمل ثم لا يفي به وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول كل كلام الله يرجع معناه الى أن الآخرة خير من الاولى ولا ينبغي لاحد أن يشك في ذلك قال وكان حاتم الاصم يقول من أحب الدرهم فانه فقد أحبه للآخرة فاعلم ذلك يا أخي وقل اللهم لا تجعلنا عبرة لغيرنا وبصرنا بعيوبنا والحمد لله رب العالمين

(ومن اخلاقهم رضي الله عنهم) رؤيتهم نفوسهم أنهم من أفسق الناس وان مثلهم لا يستحق أن يجيب الله له دعاء ولذلك كان أحدهم يمتنع من ان يخرج مع الناس الاستسقاء ودفع الوباء وكان سعيد بن جبير يقول قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فلم يسقوا فقال الملك ان لم يرسل الله علينا السماء والا آذيته قيل كيف تقدر ان تؤذيه وهو الحق تعالى مستحيل عليه ان يكون في السماء لانه تعالى

والاخرى محقة أما غرور الفرقة الضالة فلغفلتها عن ضلالتها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة يكفر بعضهم بعضا وانما ضلوا من حيث انهم لم يحكموا شروط الادلة ومناهجها فرأوا الشبهة دليلا والدليل شبهة وأما غرور الفرقة المحقة فمن حيث انهم ظنوا بالجدل انه أهم الامور وأفضل القربات في دين الله وزعموا أنه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرب عند الله تعالى ولم يلتفتوا الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق ولم يطلب

منزه عن المكان والزمان قال اقتل اولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك له أذى فارسل الله تعالى عليهم السماء فضلا منه وحلما وقالوا لمالك بن دينار ألا تخرج معنا للاستسقاء فقال أخاف أن تمطر عليكم حجارة لاجلي وكان يقول انكم تستبطئون المطر وأنا أستبطئ الحجر وكان وهب بن منبه يقول خرج عيسى عليه السلام يستسقي فخرج فضجر ولم يسق فقال من أذنب منكم ذنبا فليرجع فرجع الناس كلهم الا واحدا فقال له أمالك ذنب فقال نعم نظرت مرة الى امرأة فلما رأت أدخلت أصبعي في عيني هذه فقلعتها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله القوم فدعا فجالت السماء لوقتها وامطروا وخرج موسى عليه السلام ثلاثة أيام يستسقي فلم يسق فاوحى الله اليه ان فيكم رجلا نماما فلا أستجيب لكم وهو فيكم فقال موسى يارب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى عليه السلام توبوا كلكم من النميمة فتابوا فسقوا الى الساعة وكان سفيان الثوري يقول قحط بنو اسرائيل سبع سنين حتى أكلوا الميتة والاطفال فكانوا يخرجون الى الجبال ويتضرعون فلا يجابون فاوحى الله الى موسى ان قل لهم لو عبدتموني حتى صرتم كالسوط البالي ما قبلت لكم دعاء حتى تردوا المظالم الى أهلها وأصاب بني اسرائيل مرة أخرى قحط فاستسقوا فلم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام كيف أستجيب لهم وقد خرجوا بابدان نجسة ورفعوا الى أكفا قد أكلوا بها الحرام حتى ملؤا بطونهم فلا يزدادون مني الابعدا وقطا فليتوبوا وأنا أرفع عنهم القحط وقحطوا مرة أخرى حتى أكلوا الكلاب والميتة وكانوا يستسقون فلا يسقون فاوحى الله تعالى الى موسى قل لهم لو مشيتم باقدامكم حتى تجثوا على ركبكم ويبلغ عملكم عنان السماء وتكل ألسنتكم من الدعاء فاني لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم فيكم باكيا حتى تردوا المظالم لاهلها فقال موسى لهم ذلك فقالوا نحن لا نحصي عدد المظالم حتى نردها فماتوا عطشا وجوعا فانظر يا أخي الى كثرة اتهام السلف أنفسهم واياك والمبادرة الى الخروج الى الاستسقاء الا ان كنت تظن ان الله غفر لك ذنوبك كلها فان لم تظن ذلك فتربص ثم تب الى الله تعالى واخرج والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة العفو والصفح عن كل من آذاهم بضرب أو أخذ مال أو وقوع في عرض أو نحو ذلك تخلقا باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صلى الله عليه وسلم كان لا ينتقم لنفسه وانما ينتقم اذا انتهكت حرمات الله وكان جعفر بن محمد يقول لان أندم على العفو أحب الي من أن أندم على العقوبة وكان حاتم الاصم يقول من عدم انصافك أن تبغض الناس اذا عصوا ربهم ولا تبغض نفسك اذا عصت ربها قلت المراد ببغض الانسان نفسه معاقبتها بالجوع والعطش وعدم النوم على فراش ونحو ذلك فيعاملها معاملة الشخص لمن يكره بالغضب وعدم الشفقة لا كمعاملة المحب لمحبوبه وقد قال الشيخ أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه دعوت نفسي الى العبادة مرة فابت فعاقبتها فمنعتها الماء سنة وكان المدايني يقول أقبح المكافأة المجازاة بالاساءة وكان التيمي يقول كثرة الاحتمال تورث المحبة قال وأدخلوا على ابن الزبير رجلا قد أحدث أي أذنب فدعا بالسياط ليضرب به فقال له الرجل اسألك بمن تكون يوم القيامة بين يديه أذل مني بين يديك الا عفوت عني فنزل ابن الزبير عن سريره وألصق خده بالارض وقال قد عفوت قلت ولعل تركه التأديب على من أقسم عليه لعذر شرعي كان خاف من اقامته مفسدة أعظم من اقامته التأديب عليه والله أعلم وسئل قتادة من أعظم الناس قدرا قال أكثرهم عفوا وسرقت امرأة مصحف مالك بن دينار وطلبته فجعل يتبعها أنا مالك بن دينار ذي الحجة وهاتي المصحف لا تخافي وكان أبو سعيد المقبري يقول من تمام العفو ترك مكافأة الظالم والترحم عليه وكثرة سؤال الله أن يعفو عنه ولما ضرب الامام مالك جعل ضاربه في حل من أول سوط ضربه به وكذلك بلغنا عن الامام أحمد لما ضرب وكان يقول وماذا على رجل أن لا يعذب الله أحدا بسببه وكان كعب الاحبار يقول من صبر على أذى امرأته أعطاه الله من الاجر ما أعطى أيوب عليه السلام ومن صبرت على أذى زوجها أعطاها الله تعالى من الاجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم رضي الله عنها وسيأتي أواخر هذا الكتاب بسط الكلام على هذا الخلق ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

منهم الدليل وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ضل قوم قط الا أوتوا الجدل (وفرقة أخرى) اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجاء والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق وهم مغرورون لانهم يظنون انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد اتصفوا بها وهم منفكون عنها الا عن قدر يسير لا ينفك منه عوام المسلمين وغرور هؤلاء أشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تبحروا في علم المحبة الا وهم من

*(ومن

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة تعظيمهم حرمة المسلمين ومحبة الخير لهم لانها من جملة شعائر الله تعالى وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير وكان عبد الله بن عباس يقول أفضل الحسنات اكرام الجليس وكان ينظر الى الكعبة ويقول ان الله حرمك وشرفك وكرمك والمؤمن أعظم حرمة عند الله تعالى منك وكان عكرمة رضي الله عنه يقول اياكم ان تؤذوا أحدا من العلماء فان من آذى عالما فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول المؤمن أكرم على الله تعالى من بعض الملائكة الذين عنده وقيل لحاتم الاصم لم كانت يد السارق المسلم تقطع في خمسة دراهم مع ان ديتها خمسمائة دينار فقال لهتكه الستر وفعله الجور وتركه الحرمة فتأمل يا أخي في نفسك هل عظمت حرمات المسلمين فضلا عن العلماء والصالحين كما ذكرنا أم احتقرتهم ووقعت في اعراضهم وصرت من الفاسقين بذلك فاستغفر الله

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) صبرهم على أذى زوجاتهم وشهودهم ان كل ما بدا من زوجة أحدهم من المخالفات له صورتها معاملة لربه فلما خالف ربه كذلك خالفته زوجته وهي قاعدة أكثرية لا كلية فتخرج الانبياء عليهم الصلاة والسلام من ذلك لعصمتهم وكان عوام السلف اذا لم يشهدوا ما ذكرناه صبروا على أذاها لشهودهم ان نفعها أكثر من ضررها وكانوا رضي الله عنهم يؤدون الى المرأة حقها على الكمال ولا يمنعهم مخالفتها لهم عن ذلك عملا بنحو حديث أدّ الامانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك وان كان على كل من الزوجين الحق للآخر كما هو مقرر في كتب الحديث والفقه وتقدم في الخلق قبله قول كعب الاحبار من صبر على أذى زوجته له أعطاه من الاجر ما أعطى أيوب عليه السلام وكان علي بن أبي طالب كرم الله وجهه يقول من جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها وكان الحسن البصري يقول أربعة من الشقاء كثرة العيال وقلة المال وجار السوء في دار الاقامة وزوجة تخون زوجها وكان سفيان الثوري يقول من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته ومن أدخل الدنيا بيته فقد تزوج ابنة ابليس ومن تزوج ابنة ابليس أكثر ابليس التردد الى بيته لاجل ابنته فاحذروا من التزويج قلت كلام سفيان رضي الله عنه في حق من تزوج بغير نية صالحة فان في الحديث من تزوج لله كفي ووقي لا بد من هذا الحمل ليخرج من تزوج من الانبياء والمحفوظين والاولياء والله أعلم وفي الحديث لولا ان الله ستر المرأة بالحياء لكانت لا تساوي كفا من تراب وكان علي بن أبي طالب يقول من سعادة المرء خمسة أشياء أن تكون زوجته موافقة وأولاده أبرارا واخوانه أتقياء وجيرانه صالحين ورزقه في بلده وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من صاحب غفلة ومن جار سوء ومن زوج يؤذي ولما ماتت زوجة مالك بن دينار لم يتزوج بعدها وكان يقول لو أني قدرت على طلاق نفسي لطلقتها وكان أحمد ابن حرب يقول اذا اجتمع في المرأة ست خصال فقد كمل صلاحها المحافظة على الخمس وطواعية زوجها ومرضاة ربها وحفظ لسانها من الغيبة والنميمة وزهدها في متاع الدنيا وصبرها عند المصيبة وكان عبد الله بن المبارك يقول من فتنة النساء التي حذر النبي صلى الله عليه وسلم منها أنهن يحملن على الازواج القطيعة للقرابة ويخرجونهم لادنى المكاسب الزائدة على فتنة الشهوة والميل وكان حاتم الاصم يقول المرأة الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة والمرأة المخالفة تذيب قلب صاحبها وهي ضاحكة وكان عبد الله ابن عمر يقول علامة كون المرأة من أهل النار أن تضحك لزوجها اذا أقبل وتخونه اذا أدبر وكان شقيق البلخي يقول لامرأته لو كان أهل بلخ كلهم مثلي وأنت علي ما قدرت على حفظ ديني وكان المدايني يقول شكا نبي من الانبياء الى ربه سوء خلق امرأته فأوحى الله اليه اني جعلت ذلك حظك من العقاب وكان عبد الملك بن عمير يقول اذا طعنت المرأة في السن تعقم رحمها واختل لسانها وساء خلقها واذا طعن الرجل في السن استجمع رأيه وذهبت حدته وحسن خلقه وكان حاتم الاصم يقول من علامة المرأة الصالحة أن يكون حسبها مخافة الله وغناها القناعة بقسمة الله وحليها السخاء بما تملك وعبادتها حسن خدمة الزوج وهمتها الى استعداد الموت وكان يقول كن مع زوج ابنتك أو أختك تقسم دينها بذلك ولا تكن مع ابنتك أو أختك على

الناجين عند الله وانهم مغفور لهم بحفظهم لكلام الزهاد مع خلوهم من العمل وهؤلاء أشد غرورا ممن كان قبلهم لانهم يظنون انهم يحبون في الله ورسوله وما قدروا على تحقيق دقائق الاخلاص الا وهم مخلصون ولا وقفوا على خفايا عيوب النفس الا وهم عنها منزهون وكذلك جميع الصفات وهم أحب في الدنيا من كل أحد ويظهرون الزهد في الدنيا لشدة حرصهم عليها وقوة رغبتهم فيها ويحثون على الاخلاص وهم غير مخلصين ويظهرون الدعاء الى الله وهم منه فارون ويخوفون بالله وهم منه آمنون ويذكرون بالله وهم له ناسون ويقربون الى الله

زوجها تفسد عليها دينها وشكا أبو مطيع البلخي الى أيوب بن خلف زوجته فقال له أيوب من لم يصبر على أذى زوجته كيف يدعي أن له درجة عليها وكان حاتم الاصم في بيته كالدابة المربوطة ان قدموا له شيأ أكل والا سكت وطوى وفي الحديث المرأة الصالحة كالغراب الأعصم وكان اياس بن معاوية يقول اثنان لا أدرى لهما دواء حاقن البول والمرأة السوء وسيأتي بسط هذا الخلق في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد درج السلف كلهم على الصبر على الزوجة وعدم مقابلتها أو أدبها الا لمصلحتها والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة الا بالله

(ومن أخلاقهم رضي الله عنهم) ترك طلب الرياسة حتى تجيء أحدهم وتقدمهم الناس على أنفسهم ويصير أحدهم يقول ما أنا بأهل للامامة مثلا فيقول الناس له بل أنت أهل لذلك وزيادة وقد كان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول لمن طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه وفاته علم كثير وكان يقول لا يطلب أحدكم الرياسة الا بعد مجاهدة نفسه سبعين سنة وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول اذا جعلكم الناس رؤسا فكونوا أذنابا وكان حجاج بن أرطاة يقول قد قتلني طلب الرياسة وحبها وكان الانطاكي يقول الرياسة رأس حب الرياسة معشوق النفس وقرة العين للشيطان وكان ابراهيم بن أدهم يقول كونوا أذنابا ولا تكونوا رؤسا فان الذنب ينجو والرأس يهلك وكان الفضيل بن عياض يقول ما أحب أحد الرياسة الا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميز هو بالكمال ويكره أن يذكر الناس أحدا عنده بخير ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه وكان سفيان الثوري يقول ترك الرياسة وترك محبة المرأة أمر من الصبر وكان ميمون بن مهران يقول اياكم ان تدعوا أحدا يمشي معكم أو خلف ركابكم اذا ركبتم لقضاء حاجة فان ذلك معدود من الفتنة للمتبوع والمذلة للتابع قال وأول من مشى معه الرجال يشيعونه من المسجد الى الدار الاشعث بن قيس فكان يركب والغلمان بين يديه فقال الناس قاتله الله من جبار فاياك يا أخي وحب الرياسة في شيء من أمور الدنيا أو ما يؤل اليها وسيأتي بسط ذلك في مواضع من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) نصح بعضهم بعضا فكان الكبير لا يتكدر من نصح الصغير له وبالعكس وهذا بخلاف ما عليه أهل الرعونات اليوم وقد نصحت أنا مرة شخصا من مشايخ هذا الزمان فهجرني الى ان مات وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول ما من شيء أحب الى الله من شاب ينصح شيخا وشيخ ينصح شابا وبذلك صار الشاب التائب حبيب الله وقال صلى الله عليه وسلم أوصيكم بالشباب خيرا فانهم أرق أفئدة ألا وان الله تعالى أرسلني شاهدا ومبشرا ونذيرا فحالفني الشباب وخالفني الشيوخ وأنشدوا في ذلك

ان الغصون اذا لاينتها اعتدلت * ولن يلين اذا لاينته الخشب

قال أنس وكان الشباب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتعبدون الا قليلا فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم زادوا في العبادة وقالوا انما كان أمان من نزول العذاب بنا في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب ذلك الامان وكان أحمد بن حرب يقول ينبغي للرجل أن يرتدع عن اللهو والمعاصي اذا بلغ الاربعين سنة واذا طلع الشيب في رأسه واذا حج الى بيت الله الحرام واذا تزوج فان الزنا بعد التزويج أقبح من كل قبيح قلت والمعنى انما ذكر يشتد قبحه على من تخلق بهذه الصفات لانها كانت مباحة لمن لم يبلغ الاربعين نظير ما قالوا يستحب للصائم ترك الغيبة وكان يحيى بن معاذ يقول ما أمر الانسان في هذه الدار ولو طال الا كنفس واحد في جنب عيش الجنة ومن ضيع نفسا واحدا يعيش به عيش الابد انه والله من الخاسرين وكان كعب الاحبار يقول الشاب المتعبد أحب الى الله من الشيخ المتعبد ومر رجل على حذيفة ابن اليمان وحوله فتيان جلوس فقال ما لهؤلاء الاحداث حولك فقال وهل الخير الا في الشباب أما سمعت قول الله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقوله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى قال لفتاه آتنا غداءنا وان الله لم يبعث نبيا الا وهو شاب وفي الزبور ما بلغ أحد سبعين سنة الا اشتكى من غير علة وكان محمد ابن حسان يقول لا أطالب من نفسك العمل في هذه السنة تمثل عملها في السنة التي قبلها لان الانسان كل يوم

وهم منه متباعدون ويدعون الصفات المذمومة وهم بها متصفون ويصرفون الناس عن الخلق وهم على الخلق أشدهم حرصا ولو منعوا عن مجالسهم التي يدعون فيها الناس الى الله لضاقت عليهم الارض بما رحبت ويزعمون ان غرضهم اصلاح الخلق ولو ظهر من أقران أحدهم من أقبل الخلق عليه ومن صلح على يديه لمات غما وحسدا ولو أتى واحد من المترددين اليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله اليه فهؤلاء أعظم غرورا وأبعد عن التنبيه والرجوع الى السداد (وفرقة أخرى) عدلوا عن المهم الواجب في الوعظ وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة الا من عصمه الله

فى نقص وقد قيل لشيخ كيف حالك فقال صار يسبقنى من هو معى ويدركنى من هو خلفى وصرت أنسى كل شئ سمعته من الخبر وصرت اذا قمت دنت منى الارض واذا قعدت تباعدت وصرت أبصر الواحد اثنين واسود منى ما كنت أحب انه يبيض وابيض منى ما كنت أحب انه يسود واشتد منى ما كنت أحب انه يلين ولان منى ما كنت أحب انه يشتد انتهى فتأمل يا أخى ماذكرته لك واستغنم شبابك ورقع مشيبك بكثرة الاستغفار فلعلك تجبر ما انصدع من دينك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله عنهم) حسن أدبهم مع الصغير فضلا عن الكبير ومع البعيد فضلا عن القريب ومع الجاهل فضلا عن العالم وقد قال تعالى لموسى وهرون فقولا له قولا لينا مع ان فرعون كان من أفسق الكفار وأجمعوا على أن علو الدرجات انما يكون بزيادة الادب والاصل فى الادب شهود النقص فى أنفسهم والكمال فى غيرهم عكس من كان قليل الادب وقد كان صلى الله عليه وسلم يكره الرجل أن يحد النظر الى أخيه وكان ميمون بن مهران اذا دعى الى وليمة جلس مع الصبيان والمساكين من الرجال وترك الاغنياء وكان سعيد بن عامر يقول من وصف انسانا بما ليس فيه لعنته الملائكة فقال له رجل يوما وهو لا يعرفه يا أصلع فقال له يا أخى ان كنت لغنيا عن لعن الملائكة لك وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه يقول اعلم الناس بالله أشدهم تعظيما لاهل لا اله الا الله وكان بكر بن عبد الله المزنى يقول اذا رأيت من هو أكبر منك فعظمه وقل انه سبقنى الى الاسلام والعمل الصالح واذا رأيت من هو أصغر منك فعظمه وقل فى نفسك انى قد سبقته الى الذنوب واذا أكرمك الناس فقل هذا من فضل الله على لا أستحقه واذا أهانوك فقل هذا بذنب أحدثته واذا رميت كلبا بارك بحصاة فقد آذيته وكان وهب بن منبه يقول لما أكثر بنو اسرائيل المسائل على موسى عليه الصلاة والسلام وأبرموه أوحى الله تعالى فى يوم واحد الى ألف نبى ليكونوا أعوانا له تسكرمة لموسى فمال الناس اليهم فوجد موسى من نفسه غيرة فاماتهم الله فى يوم واحد قلت غيرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام محمودة لخروجهم من حظ النفوس بالعصمة وليست اماتة الله تعالى لهؤلاء الانبياء عقوبة وانما ذلك لما سبق فى علمه تعالى من انتهاء آجالهم بعدم معاونتهم موسى عليه الصلاة والسلام وكان محمد بن واسع يقول لا يبلغ العبد مقام الاحسان حتى يحسن الى كل من صحبه ولو ساعة وكان اذا باع شاة يوصى بها المشترى ويقول قد كان لها معنا صحبة وكان حاتم الاصم يقول قد قلت أخلاق الرجال فى ثلاث تعظيم أخلاق الاخوان وستر معايبهم واحتمال أذاهم وكان يحيى بن معاذ يقول بئس القوم قوم ان استغنى بينهم المؤمن حسدوه وان افتقر أذلوه وما مشى صغير قدام كبير الا عوقب بحرمان الخيرات ومدحوا عند الفضيل بن عياض رجلا وقالوا انه لا يأكل الخبيص فقال وما ترك أكل الخبيص انظروا كيف صلته للرحم انظروا كيف كظمه للغيظ انظروا كيف عطفه على الجار والارملة واليتيم انظروا كيف حسن خلقه مع اخوانه وكان أحمد بن حرب يقول مثل الذى يعلم الناس الخير ويرشدهم اليه مثل من استأجر أجراء يعملون له بابدانهم وأموالهم الليل والنهار فى حياته و بعد مماته وسمع يحيى بن معاذ رجلا يتمنى مالا فقال له ماذا تصنع به فقال أجود به على المقلين فقال دع المقلين تكون مؤنتهم على الله لتصير تحبهم فانهم اذا صارت مؤنتهم عليك أبغضتهم وثقلوا على قلبك وكان يقول من تعظيم أخيك المسلم اذا مات له ميت فى بلد أخرى أن تسافر الى تعزيته وقد خرج أبو معاوية الاسود من الشام الى مكة ليعزى الفضيل فى ولده على ولم يخرج لحج ولا عمرة وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول من سره ان يظله الله تعالى من نار جهنم يوم القيامة فليكن بالمؤمن رحيما رقيق القلب وكان محمد بن المنكدر يقوم الليل واذا طلبت أمه انه يغمز رجلها الى الصباح يرى ذلك أفضل من صلاته قلت وقد قالوا مثل ذلك فى حق شيخ الانسان وكان كهمش بن الحسن يقول كنت أخدم أمى وأرفع القدر من تحتها فارسل الى سليمان ابن على بعشرة آلاف درهم وقال اشتر بها خادما يخدم امك فأبيت وقلت ان والدتى لم ترض غيرها لخدمتى وأنا صغير فكذلك لا أرضى غيرى لخدمتها وأنا كبير وكان مورق العجلى رضى الله عنه يفلى رأس أمه ولا يدع أحدا يفليها غيره وكان الحسن البصرى يقول فى قوله تعالى ولا تقل لهما أف قال اذا بلغا سن الكبر ولى من قذرهما ما كانا

فاشتغلوا بالطاعات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعدل طلبا للاغراب وطائفة اشتغلوا بطيارات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها وأكثر همهم فى الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر فى مجالسهم التواجد والزعقات ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا وأضلوا فان الاولين ان لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم وأما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الاغراض والغرور بالله بلفظ الطامات جراءة على المعاصى ورغبة فى الدنيا لاسيما اذا كان

بإيمان من قذرهما في الصغر فلا يقل لهما أف ولا ينهرهما ولا يمسك بأنفه من رائحة قذرهما كما كانا لا يمسكان أنفهما من رائحة قذره وسيأتي في هذه الأخلاق بسط الأدب مع الوالدين في مواضع وإن من نادى أباه أو أمه باسمهما فقد عقهما إلا أن يقول يا أبي أو يا أماه وإن مشى بين يدي والديه فقد عقهما إلا إن كان يميط الأذى بين يديهما كما قاله ابن عمر رضي الله عنه فتأدب يا أخي مع جميع إخوانك المسلمين لا سيما الفقراء والمساكين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة خوفهم من الله تعالى أن يختم لهم بسوء فيكونوا من الخلدين في النار وكان أحدهم يأخذه التفكر والحزن حتى يغيب عن الحاضرين وكان الحسن البصري رضي الله عنه إذا سمع بحديث آخر من يخرج من النار رجل يخرج بعد ألف سنة يقول يا ليتني كنت ذلك الرجل وقيل له يوما في ذلك فقال أليس يخرج من النار وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول ما أمن أحد على دينه يعني غالبا إلا سلبه وكان الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه يقول أكثر ما يسلب من الناس الإيمان عند الموت وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول إذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الإسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من الدنيا وقد هلك فيها خيارنا وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى يقول تطلع روح العبد على ما كان الغالب عليه قبل موته قال وقد دخلت على محتضر فكنت كلما أقول لا إله إلا الله يحسب الدراهم وكان مطرف بن عبد الله يقول إني لا أعجب ممن هلك كيف هلك وإنما أعجب ممن نجا كيف نجا وما من الله على عبد بنعمة أفضل من أن يميته على الإسلام وكان زيد بن أسلم يقول لو كان الموت بيدي لاذقته نفسي وأنا على الإسلام ولكنه ليس بيدي* وبكى سفيان الثوري مرة حتى غشي عليه فقيل له علام تبكي فقال بكينا على الذنوب زمانا ونحن الآن نبكي على الإسلام أي خوفا أن يذهب منا وكان يقول ربما يعبد الرجل الأوثان وهو في علم الله سعيد وربما يطيع وهو في علم الله شقي لحديث إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها الحديث وهذا هو الذي أذهل العقول وفي الحديث أصدق المؤمنين إيمانا أكثرهم تفكرا في الدنيا وأشد الناس فرحا في الجنة أكثرهم بكاء في الدنيا وكان يحيى بن معاذ يقول التفكر والاعتبار يخرجان من قلب المؤمن عجائب الحكمة فتسمع منه أقوالا ترتضيها الحكماء وتخضع لها رقاب العلماء وتعجب منها الفقهاء ويسارع إلى حفظها الأدباء وكان سفيان الثوري يقول خوف المؤمن وحزنه على قدر نور بصيرته وكان وجه محمد بن واسع كأنه وجه ثكلى فقدت ولدها وكان لا يراه أحد إلا زال من قلبه القسوة وكان يقول لا تعجب من الهالك الآمن بل من الناجي كيف نجا ... يهلك برؤيته قبل كلامه وكان وهيب بن الورد يقول أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام اغسل قلبك فقال يا رب الماء لا يصل إليه فكيف أغسله فقال اغسله بطول الهم والغم والحزن على ما فاتك مني وما يفوت وكان إبراهيم بن أدهم يقول إن الأسقام التي تصيب القلب أصلها من الذنوب كما أن الأسقام في البدن تنشأ من الأمراض وقد جعل الله تعالى لكل داء دواء فإذا اشتد حزن الرجل رجعت دموع عينيه إلى قلبه فأصلحت بدنه وقيل لإبراهيم ألا تخضب شيب لحيتك فقال الخضاب معدود من الزينة ونحن في مأتم وحزن ليلا ونهارا وقالوا لبشر بن الحرث ما لنا نراك مهموما فقال لأني رجل مطلوب من الحاكم بالحقوق وكان يقول كل حزن سوف ينقضي إلا حزن الذنوب فإنه يتجدد مع الأنفاس وكان حاتم الأصم يقول في قوله تعالى أن لا تخافوا ولا تحزنوا إنما يقال ذلك لمن طال خوفه وحزنه في الدنيا وأما من أذنب وبطر ولم يندم فلا يقال له شيء من ذلك وكان معاذ بن جبل يقول لا ينبغي لعبد أن يظهر الفرح حتى يجاوز جسر جهنم يعني الصراط وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يبكي ويقول تستريح البهائم والطيور والحيتان وأنا مرتهن بعملي وكان صالح ابن عبد الجليل رضي الله عنه يجمع عياله وأهله في كل يوم عيد ويجلسون فيبكون فقيل له في ذلك فقال إني عبد أمرني الله تعالى بطاعته ونهاني عن معصيته فلا أدري هل وفيت بهما أم لا وإنما يليق الفرح والسرور يوم العيد لمن كان آمنا من عذاب الله وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أتاني جبريل عليه السلام

الواعظ متزينا بالثياب والطيلسان والرداء وبعضهم بالقنوط من رحمة الله حتى يأيسوا من رحمته (وفرقة أخرى) منهم قنعوا بكلام الزهاد وأحاديثهم في ذم الدنيا فيعيدونها على نحو ما يحفظون من كلام من حفظوه من غير إحاطة بمعانيه فيظن الواحد منهم بذلك على المنابر وبعضهم يعظون الناس في الأسواق مع الجلساء ويظن أنه ناج عند الله وأنه مغفور له بحفظه كلام الزهاد مع خلوه من العمل وهؤلاء أشد غرورا ممن كان قبلهم (وفرقة أخرى) استغرقوا أوقاتهم في علم الحديث أعني في سماعه وجمع الروايات الكثيرة منه وطلب الأسانيد الغريبة العالية فهم أحدهم

قط الا وهو خائف يرعد من هيبة الله تعالى وكان وهب بن منبه يقول انما اتخذ الله ابراهيم خليلا لكونه كان شديد الخوف منه وكانوا يسمعون خفقان قلبه من مسيرة ميل وكان موسى بن مسعود يقول كنا اذا جلسنا عند سفيان الثوري فكأنما النار أحاطت بنا لما نرى عليه من شدة الخوف والجزع وكان الفضيل بن عياض يقول ان لله عبادا اذا ذكروا عظمة الله تقطعت قلوبهم في بطونهم ثم تندمل ثم تتقطع ثم تندمل ثم تتقطع ثم تندمل أبدا ما عاشوا وكان يقول خوف العبد من الله على قدر معرفته به وكان ابراهيم بن الحرث لا يرفع طرفه الى السماء أبدا خوفا وحياء من الله تعالى من حيث ان السماء قبلة الدعاء قالوا وكان الخوف كثيرا ما يغلب على سفيان الثوري ومالك بن دينار والفضيل بن عياض فيخرجون على وجوههم لا يدرون أين يذهبون وكان عمران بن حصين يقول والله اني لوددت أني رماد تسفيني الريح في يوم عاصف وكان اسحق بن خلف يقول ليس الخائف الذي يبكي ويمسح دموعه وانما الخائف من ترك فعل الامور التي يخاف أن يعذبه الله عليها وكان الحسن البصري يقول قرأت قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وصرت أرددها فاذا بهاتف يهتف ويقول كم تردد هذه الآية وقد قتلت أربعة آلاف من الجن لما سمعوها فلم يرفعوا طرفهم الى السماء حتى ماتوا (ووقف الفضيل بن عياض) في يوم عرفة قابضا لحيته يبكي من الزوال الى غروب الشمس وهو يقول واسوأتاه وان غفرت لي وكان حماد بن زيد لا يجلس قط الا مستوفزا فقيل له في ذلك فقال انما يجلس مطمئنا من كان آمنا من عذاب الله وأنا غير آمن من نزوله علي ليلا ونهارا وكان عمر بن عبد العزيز يقول لولا الغفلة لمات الخلق كلهم من خشية الله عز وجل وكان مالك بن دينار يقول والله لقد هممت أن أوصي أهلي اذا أنا مت أن يقيدوني ويغلوني ويدخلوني القبر كذلك كما يفعل بالعبد المجرم الآبق من سيده كيف يمني أحدكم نفسه بدخول الجنة والتنعم بالحور والقصور وهو مستوجب السعير والثبور وكان الفضيل بن عياض يقول والله اني لا أغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا لان كل هؤلاء يشاهدون أهوال يوم القيامة وانما أغبط من لم يخلق بعد وتقدم قول سفيان بن عيينة ينبغي للعبد أن يكون عند الله من أجل عبيده وعند نفسه من أشر العبيد وعند الخلق من وسطهم وكان فرقد السنجي يقول دخل بيت المقدس خمسمائة بكر نقص عليهن بعض الاحبار شيئا من أمور الآخرة فمتن جميعا في ساعة واحدة وكان لباسهن المسوح وكان عطاء السلمي رضي الله عنه يقول اللهم اني أسألك العفو والصفح ولا يتجرأ قط أن يقول اللهم أدخلني الجنة قال فرقد السنجي ودخلنا مرة على عطاء السلمي فوجدناه قد وضع خده على الارض في الشمس فنظرنا اليه فاذا مجرى دموعه في خديه قد انسلخ من البكاء ورأينا ما تحت خده من الارض قد صار طينا ووحلا وكان كثيرا ما يتلقى دموعه بيده ويرشها حوله حتى يظن الداخل ان ذلك ماء الوضوء وبلغنا انه مكث لم يرفع طرفه الى السماء أربعين سنة فرفع طرفه يوما فغشي عليه ووقع على بطنه فانفتق في بطنه فتق فلم يزل من ضنابه الى ان مات وكان اذا أصاب أهل بلده بلاء يقول هذا بذنوب عطاء لو أنه خرج من بلادهم لما نزل عليهم بلاء وكان غالب الليل يمس جلده مخافة أن يكون قد مسخ وكان يقول خرجنا مع عتبة الغلام فمر بمكان فسقط مغشيا عليه فلما أفاق قال هذا مكان عصيت الله فيه وأنا دون البلوغ وكان ذلك بعد ان صلى الصبح بوضوء العشاء نحو أربعين سنة هو وأصحابه حتى نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم حتى صارت كأنها قشور البطيخ الهندي وسيأتي في هذا الكتاب زيادة على ذلك وانه كان يغشى على أحدهم من البكاء وبعضهم يبكي بكاء الميت الى ان مات رحمه الله والحمد لله رب العالمين

•(ومن أخلاقهم رضي الله عنهم) مواظبتهم على قيام الليل صيفا وشتاء وورعهم تأكده عليهم كأنه فرض حتى قالوا كل فقير نام في الليل من غير غلبة فلا يجيء منه شيء في الطريق وقد أغفل هذا الخلق كثير من الفقراء فينامون في الليل على طراريح كما ينام العامة وأبناء الدنيا وبعضهم يدخل كل يوم الحمام فلا يخرج منه حتى تطلع الشمس من غير ضرورة بل ترفها وما أقبح الشيخ وهو ذاهب الى الحمام كل يوم بكرة النهار والعامة والمريدون يرونه وكان آخر من أدركت من فرسان الليل الشيخ محمد بن عنان كان ورده كل ليلة خمسمائة ركعة

أن يدور في البلاد ويروي من الشيوخ ليقول أنا أروي عن فلان ولقيت فلانا ومعي من الاسانيد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه منها انهم كحملة الاسفار فانهم لا يصرفون العناية الى فهم السنة وتدبر معانيها وانما هم مقتصرون على النقل ويظنون ان ذلك يكفيهم وهيهات بل المقصود من الحديث فهمه وتدبر معانيه فالاول في الحديث السماع ثم الحفظ ثم الفهم ثم العمل ثم النشر وهؤلاء اقتصروا على السماع ثم لم يحكموه وان كان لا فائدة في الاقتصار عليه والحديث في هذا الزمان يقرأه الصبيان وهم غافلون والشيخ الذي يقرأ عليه ربما يكون

وهي ورد المهدي على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام وكان الشيخ الصالح ذو الاحوال والكرامات الشيخ
فرج بناحية شان شلوت بالشرقية يحيي ليلة سيدي محمد هذا و يقول له أهلا براعي الصهيب لاجل كونه كان
مواظبا على قيام الليل وكان لا يتهجد ليالي الشتاء الا فوق السطح رضي الله عنه وفي الحديث عليكم بقيام الليل
فانه دأب الصالحين قبلكم ومقربة الى ربكم وتكفير للخطايا كم ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد
وقالت أم سليمان بن داود يابني لا تكثر النوم بالليل فان من نام الليل جاء يوم القيامة وهو مفلس من الحسنات وأوحى
الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني وفي الحديث ان الله تعالى
يباهي ملائكته بالعبد اذا قام يتهجد من الليل في الليلة الباردة و يقول انظروا الى عبدي خرج من تحت
لحافه وترك الدنيا وامرأته الحسنى يناجيني بكلامي أشهدكم أني قد غفرت له قاله نافع وكان عبد الله بن عمر
يقوم من الليل ثم يقول يانافع أسحرنا فيقول له لا فيقوم لصلاته ثم يقول يانافع اسحرنا فيقول نعم فيقعد فيأخذ
في الاستغفار حتى يطلع الفجر وكان الامام زين العابدين رضي الله عنه يقول نام يحيى بن زكريا عليهما السلام
ليلة عن ورده وكان قد شبع من خبز الشعير فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى لو اطلعت على جنة الفردوس اطلاعة
لذاب جسمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الحديد بعد المسوح وكان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه ربما مر على الآية في ورده من الليل فيسقط مغشيا عليه حتى يصير يعاد أياما كما يعاد المريض وكان رضي
الله عنه أيام خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا وانما هي خفقات برأسه وهو جالس وكان يقول اذا نمت في الليل
ضيعت نفسي وان نمت في النهار ضيعت رعيتي وأنا مسؤل عنهم وكان عبد الله بن مسعود يقوم للتهجد اذا
هدأت العيون فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح وكان سفيان الثوري اذا غفل عن نفسه فأكل
كثيرا يقوم الليلة كلها و يقول ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في تعبه في بقية الاحمال الشاقة وكان طاوس
رحمه الله يفرش فراشه من العشاء و يصير يتقلب عليه و يئن الى الصباح لا ينام وكثيرا ما كان يقوم من
العشاء الى الفجر شاخصا وكثيرا ما يمكث جالسا مطرقا الى الفجر لا يتكلم وكان يقول ان خوف جهنم أطار
نوم العابدين وكان السلف الصالح رضي الله عنهم يعرفون وجه من نام عن قيام الليل و يقولون ما رأيناك في
الحضرة الالهية وقد حضر فلان وفلان وفرقوا عليهم التحف وكان يعيب بعضهم على بعض النوم على فراش
وطيء له وكان بعضهم قعد على فراش حين قدم من سفر فنام عن ورده تلك الليلة فحلف أنه لا ينام على فراش
حتى يموت وكان عبد العزيز بن أبي داود يفرش له الفراش فيضع يده عليه و يقول ما ألينك ولكن فراش
الجنة ألين منك ثم يقوم الى صلاته فلا يزال يصلي الى الفجر وكان الفضيل بن عياض يقول اني لاقوم الليلة
فيطلع الفجر فيرجف قلبي وأقول جاء النهار بما فيه من الآفات وكان بشر الحافي وأبو حنيفة و يزيد الرقاشي
ومالك بن دينار وسفيان الثوري وابراهيم بن أدهم يقومون الليل كله على الدوام الى ان ماتوا وقالت امرأة
لبشر الحافي ألا تستريح لك في الليل ساعة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قام حتى تورمت قدماه
وقطر منهما الدم مع ان الله تعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام أنا ولم أعلم أن الله غفر لي ذنبا
واحدا وكان الحسن البصري يقول ما ترك أحد قيام ليلة الا بذنب أذنبه فتفقدوا انفسكم كل ليلة عند الغروب
وتوبوا الى ربكم لتقوموا الليل وكان كثيرا ما يقول انما يثقل قيام الليل على من أثقلته الخطايا وكان
أبو الاحوص يقول أدركنا العلماء والعباد وهم لا ينامون الليل وكنت اذا طفت بدار أو بمسجد في الليل سمعت
فيه دويا كدوي النحل فما بال هؤلاء أهل زماننا يأمنون مما كان أولئك يخافون منه وكان صلة بن أشيم
رضي الله عنه يصف قدميه للصلاة من العشاء الى الفجر ثم يقول اذا فرغ من صلاته يارب أجرني من النار فان
مثلي لا ينبغي له سؤال الجنة وقال رجل لابراهيم بن أدهم اني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء فقال له
لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل فان وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف والعاصي
لا يستحق ذلك الشرف وكان عتبة الغلام يقول اذا توضأ من الليل قبل أن ينتصب للصلاة اللهم اني قد جعلت
نفسي ملأ أطبق من المعاصي والتبلغ حتى استحقيت الخسف والمسخ ودخول النار وها أنا أريد أن أقف بين

غافلا حتى يصحف الحديث ولا يعلم و ربما نام و يروى عنه الحديث وهو لا يعلم وكل ذلك غرور وانما الاصل في استماع الحديث أن يسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحفظه كما سمعه و يؤديه كما حفظه فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فان عجز عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعه من الصحابة أو من التابعين فيصير سماعه منهم كسماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن يصغي و يحفظ و يرويه كما حفظه حتى لا يشك في حرف واحد منه وان شك فيه لم يجز له ان يرويه أو يعلم به و يخطئ به أن أخطأ أو حفظ الحديث يكون بطريقين

يديك خلف كل عارض على وجه الارض وجاه أن تقطر لاحدهم فيصيبني شئ من المطر وكان الحسن بن صالح يقوم الليل هو وجارية له فباعها لقوم فلما صلت العشاء افتتحت الصلاة فما زالت تصلي الى الفجر وكانت تقول لاهل الدار كل ساعة تمضي من الليل يا أهل الدار قوموا يا أهل الدار صلوا فقالوا لها نحن لا نقوم الى الفجر فجاءت الى الحسن بن صالح وقالت بعتني لقوم ينامون الليل كله وأخاف أن أكسل من شهود ذلك منهم فردها الحسن اليه حتى باعوها وفاء بحقها وكانت رابعة العدوية تتوضأ كل ليلة وتتطيب وتقول لزوجها ألك حاجة فان قال لا قامت الى الصباح وكانت تقول أول الليل الهي نامت العيون وغارت النجوم وأغلقت ملوك الدنيا أبوابها وبابك لا يغلق فاغفر لي ثم تصف قدميها للصلاة وتقول وعزتك وجلالك هذا موقفي بين يديك الى الصباح ما عشت وكان سفيان الثوري يقول عليكم بقيام الليل ولو ركعتين وكان ثابت البناني يصلي الليل كله ويقول لاهله قوموا فلو كان قيام الليل أهون من مكابدة أهوال يوم القيامة وكان أبو الجويرية يقول صحبت الامام أبا حنيفة لا أفارقه ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الارض في ليلة منها قالوا ولم يكن لابي حنيفة فراش في الليل وكان سفيان الثوري يقول ما رأيت أعبد من أبي حنيفة ولا أزهد ولا أورع منه وكان الفضيل بن عياض يقول بلغنا أن الله تعالى يقول حين يتجلى من الليل أين المدعون لحبي في النهار أليس كل محب يحب الخلوة بحبيبه فها أنا الآن مطلع على أحبابي يكلموني على الحضور ويخاطبوني على المشاهدة وغدا أقر أعينهم في جنتي وكان المغيرة بن حبيب يقول رمقت عيناي ليلة مالك بن دينار وقد انتصب بين يدي الله تعالى من العشاء قابضا على لحيته فما زال يبكي ويقول يارب ارحم شيبة مالك الى ان طلع الفجر قال ورمقت عبد الواحد بن زيد شهرا فرأيته لا ينام من الليل شيأ وكان يقول لاهل الدار كل ساعة مضت من الليل يا أهل الدار انتبهوا فما هذه دار نوم عن قريب يأكلكم الدود وكان صهيب العابد رقيق الامر أنه بالبصرة وكان يقوم الليل كله فقالت له سيدته يوما ان طول القيام بالليل يضرك في خدمتك بالنهار فقال لها ماذا أصنع واذا ذكرت جهنم طار نومي وكان أزهر بن مغيث رضي الله عنه يقول رأيت ليلة حوراء من أجمل النساء فقلت لها لمن أنت فقالت لمن يقوم الليل في ليالي الشتاء وكان العلاء بن زياد يقوم الليل كله فقالت له امرأته ألا تستريح لك لحظة فأطاعها فأتاه آت في منامه وأخذ بمقدم شعر رأسه وقال قم فصل ولا تضع حظك من عبادة ربك فقام فوجد تلك الشعرات واقفة فلم تزل واقفة حتى مات ونام ابراهيم بن أدهم ليلة في بيت المقدس فسمع صوتا من جانب الصخرة يقول قيام الليل يطفئ لهب النار ويثبت الاقدام على الصراط فلا تتساهل في قيام الليل فما تركه بعد ذلك حتى مات فاعلم ذلك يا أخي واعمل به والحمد لله رب العالمين

(الباب الثاني في جملة أخرى من الاخلاق)

(فمن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة هضمهم لنفوسهم بحيث يصير أحدهم يتبرك بتلميذه ويحمله الجهلة ولا ينظر الى كونه أعلم من مريده أو أكثر عملا منه بطريقه الشرعي اذا كان لا يخشى عليه فتنة بذلك قد بلغنا أن الامام الشافعي رضي الله عنه لما أرسل قاصده للامام أحمد بن حنبل بانه سيقع في محنة عظيمة ويخلص منها سالما يعني مسئلة هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق فلما أخبره القاصد نزع الامام أحمد له قميصه سرورا بقدوم رسول الشافعي فلما رجع الرسول بالقميص وأخبر الشافعي به قال له هل كان هذا القميص على جسده من غير حائل قال نعم قال فقبله الامام الشافعي ووضعه على عينيه ثم صب عليه الماء في اناء وعركه فيه ثم عصره ووضع غسالته عنده في قارورة فكان كل من مرض من أصحابه يرسل له شيأ من تلك الغسالة فاذا مسح به جسده شفي من مرضه لوقته فانظر يا أخي تواضع الامام الشافعي مع الامام أحمد مع كونه من تلامذته وهذا يدلك على أن القوم مع كثرة أعمالهم الصالحة كانوا رضي الله عنهم لا يرون نفوسهم على أحد من المسلمين عكس ما عليه المتمشيخون في هذا الزمان وكان آخر من أدركته يعتقد في تلميذه ويتبرك به ويرسل له الارمد والمريض ليرقيه الشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد السروي رحمهما الله تعالى فكان الشيخ محمد بن عنان يرسل من يريد العامل بنصه الى الشيخ يوسف الحريثي رحمه الله وكان الشيخ محمد السروي يرسله الى

أحدهما بالقلب مع الاستدامة والذكر والثاني يكتب ما يسمع ويصحح المكتوب ويحفظه كيلا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظه للكتاب أن يكون في خزانته محروسا حتى لا تمتد اليه يد غيره أصلا ولا يجوز أن يكتب سماع الصبي والغافل والنائم ولو جاز ذلك لجاز أن يكتب سماع الصبي في المهد وللسماع شروط كثيرة والمقصود من الحديث العمل به ومعرفته وله مفهومات كثيرة كالقرآن وروي عن أبي سفيان بن أبي الخير المهني انه حضر في مجلس زاهر بن أحمد السرخسي فكان أول حديث روى قوله صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام

الشيخ على الحديدى رحمه الله مع ان الشيخ يوسف والشيخ على المذكورين من تلامذة هذين الشيخين فرضى الله تعالى عن الصادقين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الغيرة على ذكر الله تعالى أن يذكره أحد وهو غافل وذلك كقصد الوالدة بالذكر تنويم ولدها اذا سهر تنبه فى الليل فان ذكر الله يجل عن مثل ذلك وقد قال بعض الصالحين يوما لمريض قل يا لطيف وهو غافل عن كونه بين يدى الله تعالى فعاتبه ربه عز وجل على ذلك فى المنام وقال له قد جعلت ذكر اسمى لعبا ولهوا انتهى فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) ان يكون أحدهم هينا لينا ينقاد للصغير كما ينقاد للجمل وفى الحديث الذى فيه الامر بتسوية الصفوف ولينوا فى يد اخوانكم وفى القرآن العظيم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك اذا علمت ذلك فاعلم ان من جملة لين الفقراء ان أحدهم اذا دخل على جماعة يذكرون الله تعالى كذكر الاعجام أو المغاربة أو الشناوية أو المطاوعة أو الرفاعية مثلا أن يذكر معهم كهيئتهم فى الصورة بطريقه الشرعى وكذلك يوافقهم فى ذكرهم الذى لقنوه حين دخلوا فى الطريق من نفى أو اثبات ولا يقول ان هذه الكيفية ليست طريقة شيخنا كما يقع فى ذلك كثير من الناس فيفوتهم الاجر ويقع منهم الجفاء وغلظ الطبع فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة الجوع بطريقه الشرعى وان لم يجدوا شيأ حلالا يأكلوه طووا الايام والليالى وقد جربوا فوجدوا النور كله والخير فى خلو الباطن حتى قالوا فى المثل السائر فى الطبل انما كان صوته قويا جهوريا لكونه خالى الجوف وقد قالوا ينبغى للعالم أن لا يشبع قط لاسيما أيام التأليف وذلك لئلا يحجب عن كمال الفهم فى القرآن والحديث والفقه وغير ذلك وذلك لان فهم الشبعان يكون ضعيفا ومن شك فليجرب وقد أدركنا جماعة كثيرة من الفقراء كانوا رضى الله عنهم على قدم الصدق فى الجوع حتى كان أحدهم لا يدخل الخلاء الا كل سبعة أيام مرة حياء من الله تعالى أن يكثر تردده للخلاء وهو مكشوف العورة وقد انتهى أمر سيدى الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى الى ان صار يتوضأ فى كل اثنى عشر يوما مرة وقد كان سيدى على النبهاوى المشهور بالدويب رحمه الله تعالى يأمر كل من لقيه بالجوع ويقول انه سلاح المؤمن وصاحب الجوع ان لم يطع الله لم يعصه لعدم وجود داعية تدعوه الى المعاصى وممن صام الدهر كله أخى الشيخ عمر النبتيتى المكشوف الرأس وولد عمه الشيخ عبد القادر المكشوف الرأس أيضا وصار كل منهما فى غاية النورانية وعلو الهمة رحمهما الله تعالى فاتبع يا أخى سلفك فى ذلك ولا تأكل الا بعد جوع شديد وهو أن تشتعل امعاؤك وتصير تلذعك لعدم وجود طبيعة تشتغل بطبخها فاعلم ذلك يا أخى واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) اذا علموا بالقرائن عدم اخلاص من يتعلم منهم العلم أن يدوموا على تعليمه ولكن يتوجهوا الى الله تعالى فى المعاملة باصلاح النية فيؤجرون هم وإياه ولا يتركون تعليمه فان ذلك مراد الشارع وذلك لان العلم يحمل لامرين للعمل به ولاحياء الشريعة به فصاحبه مأجور على كل حال اما أجرا كاملا أو أجرا ناقصا وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول ما من حامل علم الا وهو يعمل به ولو فى حق نفسه اذا ارتكب المعاصى لانه يتوب ويندم اذا وقع فيها فلولا علمه بالحكم ما اهتدى لكون ذلك ذنبا ولا تاب منه فقد عمل هذا بعلمه من تلك الحيثية وان كان من ارتكب المعاصى لم يعمل بعلمه على مصطلح الناس فافهم فالعلم نافع لصاحبه على كل حال ولم يزل علم كل انسان أكثر من عمله فى كل عصر والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عزمهم على العمل بعلم كل عالم رأوه لا يعتنى بالعمل بما علم فيعملون بعلمه ثم يجعلون ثواب ذلك فى صحائف هذا العالم ويطلبون أجرهم من الله تعالى من باب المنة والفضل كما انهم اذا قرؤا فى علم من العلوم يجعلون ثواب ذلك للمؤلف ولا يراحمونه فى ذلك لان ثواب كل قول لقائله فافهم

المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفينى هذا حتى أفرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا هو سماع الناس (وفرقة أخرى) اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة واغتروا به وزعموا انهم قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين والسنة بعلم النحو واللغة فافنوا أعمارهم فى دقائق النحو واللغة وذلك غرور عظيم فلو عقلوا لعلموا ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره فى لغة العرب كالمضيع عمره فى لغة الترك والهند وغيرهم وانما فارقتهم من أجل ورود الشرع وكفى من اللغة علم الغريبين فى الكتاب والسنة ومن النحو ما يتعلق بالكتاب والسنة وأما التعمق فيه

ولكن

ولكن هذا الامر لا يتخلق به الا من كان أشفق على المؤمنين من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بسطنا الكلام على ذلك في كتابنا المنن الكبرى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) مخالطتهم لمن كان عدوا لهم في السر ويدعي محبتهم ظاهرا وإيهامهم أن أحدهم صدقه في دعواه المحبة له ولم يلحق لما عنده من عدم الصدق ولا يكذبونه قط في دعواه وكذلك لا يمتنع قط من تقريبه اذا طلب منا القرب فان ذلك يزيده عداوة وتعظيما للفتنة لكن يحتاج هذا المخالط للعدو الى حفظ جوارحه من سائر المخالفات لان العدو ربما كان قصده من المخالطة اطلاعه على عورة أخيه ليصير يهجوه بذلك في المجالس أيام ظهور عداوته له كما هو واقع كثيرا فليكن المخالط لعدوه على حذر ولا يخالط الامن يعتقد فيه الصداقة والمحبة فان البعد من العدو أولى لكل من لم يكن عنده كمال سياسة وكثرة دين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) رؤية محاسن الناس والتعامي عن مساويهم حتى ان أحدهم لا يكاد يرى في أخيه المسلم عيبا يهجوه به أبدا ويصير الناس كلهم عنده صالحين فعلم أن الصالحين لا يعادون أحدا لحظ نفس وانما الناس هم الذين يعادونهم حسدا وعدوانا فان قيل ان صاحب هذا المقام يقل نفعه لاصحابه من حيث عدم النصح والتحذير من المنكر فيصير هذا مرتكبا المعاصي على الدوام ولا يهتدي لتحذيره عنها العلم شهود عاقبته اذ حمله على المحامل الحسنة فالجواب أنه يهتدي التحذير بالالهام الصحيح بواسطة رابطته به أو بقياسه على نفسه ويقول كما انى أرتكب المعاصي مثلا فكذلك أخي قد لا يخلو منها فات ما جاز في حق جاز في حق غيري ومعلوم عند القوم ان ذكرهم نقائص اخوانهم لا يكون الا على وجه التحذير دون التشفي لبراءتهم من مثل هذا الفعل لان الكامل يكنى عند القوم أبا العيون فكل شئ عنده عين يراه بها فيشهد سلامة أخيه من النقائص كالرياء والنفاق ونحوهما بعين ويحتاط له كاحتياط من يتهمه بالنقائص فعلا أو تقديرا بالعين الاخرى ويحذره منها بالعين الاخرى والله أعلم

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة شكرهم لله تعالى اذا كثر حسادهم وأعداؤهم ثم كثرة استغفارهم بعد ذلك فيشكرون الله تعالى على تلك النعمة التي حسدهم الناس عليها ويستغفرونه عز وجل من حيث انه لولا وجودهم ووجود النعمة التي عليهم ما وقع أحد في حسدهم المحرم فاستغفارهم المذكور انما هو تورع من حيث الازم النعمة والا فوجود النعمة ليس بيدهم ويسمى هذا استغفار الاكابر وكذلك كثرة استغفارهم لمن يحسدهم ورحمتهم له وشفقتهم عليه لكونه أهلك دينه بكثرة حسده لهم فيقول أحدهم اللهم اغفر لحاسدينا فانهم لما عندهم من الضيق لا يحتملون رؤية النعم التي علينا دونهم ولو اتسعت نفوسهم لم يقعوا في حسدنا وهذا الخلق لا يكاد يتخلق به الا القليل من الناس بل غالبهم يتمنى لحاسده كل سوء والله أعلم

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انصافهم لكل من سعى لهم عند الاكابر والامراء في تحصيل رزقة أو جوالى أو هدية ونحو ذلك فيقاسمونه بالنصف أو الربع بقدر ما يرونه يرضيه لاسيما ان وصف أحدهم بالصلاح والزهد والورع حتى أعطوه ما أعطوه فان ذلك من باب النصب والتلبيس فلا ينبغي للشيخ أن يشح عليه بما يطلبه من ذلك لانه معدود من كسب ذلك الناصب حقيقة فالاولى له عدم أخذ شئ منه مطلقا الا بطريق شرعي وقد كثر النصب في أهل هذا الزمان فصار أحدهم يوقف النقيب مثلا ينصب له عند الامراء أو مشايخ العرب ثم اذا أتاه به يختص به ولا يعطي النقيب الذي نصب وتعب شيأ وذلك حيف عظيم وقد رأيت بعضهم رفع الشيخ الى الحاكم وذكر فيه العجر والبجر حتى قال القاضي وجماعته للشيخ انك يا رجل طماع عظيم فاياك يا أخي ان تظن في مشايخ العصور المتقدمة أنهم كانوا كذلك فتسيء بهم الظن بل كانوا على جانب عظيم من الزهد والورع فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عملهم بالسنة اذا خطبوا امرأة فيرون منها الوجه والكفين قال بعضهم ويكون ذلك بغير شهوة لانها ليست بمحل الاستمتاع بها الآن ولكن الجمهور على خلافه لاذن الشارع

الى درجة لا تتناهى فهو فضول مستغنى عنه وصاحبه مغرور (الصنف الثاني) من المغرورين أصحاب العبادات والاعمال والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلاة ومنهم من غروره في تلاوة القرآن ومنهم من غروره في الحج ومنهم من غروره في الجهاد ومنهم من غروره في الزهد ومنهم فرقة أهملوا الفرائض واشتغلوا بالنوافل وربما تعمقوا فيها حتى خرجوا الى السرف والعدوان كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضوء فيبالغ ولا يرضى الماء المحكوم بطهارته في الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى أكل الحرام قدر الاحتمالات القريبة بعيدة وربما أكل

له في النظر ولا يتعلل أحدهم بالحياء فان في ترك النظر مفاسد وحصول شرور واذالم تحب ثم اذا رأى أحدهم المخطوبة لا يرى منها الا بقدر الحاجة فان علم من نفسه الطغيان فلينظر دون القدر المأذون فيه أو يفوض أمره الى الله تعالى أو يأذن لامرأة يثق بها تنظر هاله بحكم النيابة فعلم ان من ترك النظر وتعلل بالحياء فهو جاهل بالسنة تابع للطبع وان حياءه الذى تعلل به طبيعي لا شرعي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة أدبهم مع من علمهم سورة أو آية من القرآن وهم أطفال فلم يزل أحدهم يتأدب مع من علمه السورة أو الآية أو الباب من العلم حتى انه لا يقدر يعرج عليه أبدا كما ولا يتزوج له مطلقة ولو صار من مشايخ الاسلام أو من مشايخ الطريق ومن جملة أدبهم معه أيضا افتقاده بالهدايا والكسوة له ولعياله ومن يلوذ به اكراماله وكذلك من اخلاقهم عدم البخل على الفقيه الذى يعلم أطفالهم القرآن ولا يستكثرون عليه شيأ يعطونه له من الدنيا وقد حكى عن ابن أبى زيد القيرواني صاحب الرسالة رحمه الله تعالى انه أعطى فقيه ولده لما علمه حزبا من القرآن مائة دينار فقال له الفقيه أنا يا سيدي ما عملت شيأ استحق به هذا كله فقال لا تقل الشيخ ولده من عنده الى فقيه آخر وقال هذا رجل مستهين بالقرآن (قلت) وقد عملت أنا بهذا الخلق بحمد الله تعالى مع فقيهي الشيخ حسن الحلبي رحمه الله تعالى فكنت أكسوه هو وأولاده الى ان مات ولم أر انني قمت بواجب حقه رحمه الله وقد كنت مارا يوما مع الشيخ شمس الدين الدمياطي رحمه الله تعالى في سنة ثمان عشرة وتسعمائة فرأى الشيخ رجلا أعمى تقوده ابنته فنزل الشيخ من على دابته وقبل يده وما شاه طويلا فلما رجع سألته عنه فقال هذا رجل قرأت عليه وأنا صبي شيأ من القرآن فلا أقدر أمر عليه وأنا راكب مع ان الشيخ شمس الدين المذكور كان قد أعطى من الجاه والاعتقاد والعلم والصلاح عند الملوك فمن دونهم مالم نر أحدا أعطى مثله من أقرانه حتى انى رأيته بين القصرين يوما والناس يزدحمون عليه لتقبيل يديه ومن لم يصل اليه نشر رداءه وحذفه عليه حتى يصيب من ثياب الشيخ ثم يصير يقبل ذلك الرداء كما يفعل الناس ذلك بكسوة الكعبة حين تمر عليهم بالقاهرة فرضي الله تعالى عن أهل الادب فاعلم ذلك واقتد بهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم شهودهم في نفوسهم ان لهم نوافل من العبادات ولو قاموا حتى تورمت أقدامهم والغالب ونذلك كالجابر لبعض النقص الحاصل في فرائضهم اذ النوافل حقيقة انما تكون لمن كملت فرائضه كما أشار اليه قوله سبحانه وتعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك فذكر تعالى انها نافلة له لكمال فرائضه صلى الله عليه وسلم اذ هو معصوم من النقص في عباداته كما ذكره الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله في الخصائص وغيره أيضا وان قدر ان أحدا من الاولياء أتى بعباداته على الكمال فذلك بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأيت في كلام بعض العلماء ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تعرض على الله تعالى صلاة أحد الا بعد تكملتها له من نوافله أدبا مع الله تعالى وقد فعل جماعة الملوك مثل ذلك فمن كان ببدنه عاهة مثلا فلا يعرضونه على السلطان أبدا صيانة له ان يقع بصره على ناقص وان حدث ذلك في وزير أو دفتردار أو نحوهما عزلوه واستنابوا غيره وما جعله الناس أدبا مع الملوك فهو أدب مع الله تعالى فان الشرع قد يتبع العرف في كثير من المسائل كما هو معلوم فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم استشراف نفوسهم الى هدية أحد جاء من الحجاز أو من الشام مثلا فلا يحدث أحدهم نفسه بان فلانا سيهدى الى شاشا أو مداسا أو فاكهة أو نحو ذلك أبدا بل هم غافلون عن مثل ذلك وكذلك اذا أهدوا هم الى أحد جاء من السفر المذكور شيأ ابتداء لا تحدثهم أنفسهم بانه سيكافئهم على ذلك بل هم غافلون عن ذلك بالكلية وليس ذلك من باب سوء الظن بأخيهم انما هو من باب ترك الطمع فهو وان لزم من ظنهم بأخيهم انه لا يكافئهم سوء الظن فليس ذلك مقصودا لهم ولا يؤاخذ الشخص الا بما قصده وقد كان سيدي على الخواص رحمه الله تعالى اذا سمع أحدا يذكر أشعب الطماع وانه كان يفتش على الفتات يترحم عليه و يقول انه كان حسن الظن بغيره جزاه الله تعالى خيرا يعنى انه محمود في ظنه الخير

الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان أولى بدليل عبر الصحابة رضي الله عنهم فقد توضأ عمر رضي الله عنه من ماء في جرة نصرانية مع احتمال الطهور والنجاسة وكان مع هذا يدع أبوابا من الحلال خوفا من الوقوع في الحرام (وفرقة أخرى) غلبت عليهم الوسوسة في نية الصلاة فلا يدعه الشيطان يعقد نية صحيحة بل يوسوس عليه حتى تفوته الجماعة وربما أخرج الصلاة عن الوقت وان تم تكبيرة الاحرام يكون في قلبه تردد في صحة نيته وقد يتوسوس في التكبير حتى يغير صفة التكبير لشدة الاحتياط و يفوته الاستماع للفاتحة

بالجيران وان لزم منه العامع فافهم واعلم انه ينبغى لك اذا أرسلت هدية وعلمت من أخيك المكافأة عليها لما هو عليه من المعروف ان تخبره بذلك على لسان القاصد وتقول له قل لاخى فلان ان هذا أمر لا يستحق مكافأة عليه وقد أقسم عليك أخوك بعدم المكافأة فيه جبرا للخاطر وذلك لاجل ان يستريح من تعب المكافأة ولو لحظة وقد أرسلت مرة لاخى الشيخ شمس الدين البرهمتوشى رحمه الله تعالى هدية قليلة فارسل الى أضعافها فعلمت بذلك كرمه وأنه لكن لا يخفى ان البداءة بالهدية مطلوبة شرعا لا سيما الى بينهما صداوة فى الصدر لعبرتهاد وا تحابوا وخبر الهدية تذهب وحر الصدر أى غشه وشؤمه فابدأ بالهدية يا أخى بطريقها الشرعى واحذر من استشراف نفسك الى هدية ممن جاء من سفر او الى مكافأة ممن أهديت أنت اليه ومتى خالفت ذلك فقد خرجت عن طريق سلفك فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) ان يشددوا فى العزومة على الضيف فانه لا يأكل بعد ذلك الا رزقه الذى قسمه الله له وقد كان الشيخ عبد الحليم بن مصلح رحمه الله تعالى يحلف على الضيف انه لا يأكل عند أحد غيره مادام فى بلده فكان الضيف بعد ذلك لا يأتيه الا نادرا وقد قلت له مرة فى ذلك فقال لى قد استفدنا فى التشديد على العزومة بياض الوجه ولم يأكل الا ما قسم له ولو أنى لم أشدد فى العزومة لربما أكل عندى على رغم أنفى وأكون مذموما عند الله وعند الخلق وقد فعلت أنا بذلك مع أولاد سيدى الشيخ محمد الشناوى وأولاد الشيخ عبد الرزاق البخارى رحمهما الله تعالى لما أقاموا عندى مرة نحو ثلاثة أشهر فكنت أغضب منهم اذا أكلوا عند غيرى وكان يحصل لهم بذلك انشراح قلب ويزول ما كانوا يتوهمونه من حصول ثقل عندى أو حصول ثقل منهم فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة ورعهم فى أمر الطعام والشراب حتى ان أحدهم كان لا يأكل الا بعد ان يرى سبعة أيد قد تداولت على ذلك الطعام أو ثلاثة أيد فى الحل فان لم يجدوا ذلك طووا حتى يجدوا حلالا يناسبهم وقد كان أخى الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى من آخر من رأيته من المتورعين فكان لا يأكل من طعام الا ان تداولت عليه سبعة أيد فى الحل وكان ان لم يجد طعاما على هذا الحكم طوى الايام المتوالية حتى تأكل الامعاء بعضها ويخاف على عقله ودينه فهناك يأكل كالمضطر وكان رحمه الله تعالى يعرف تداول تلك الايدى من طريق الكشف وقد من الله تعالى على باقتفاء أثره لكن بتداول ثلاثة أيد فقط ثم ان حصل عندى شك فى ذلك تقايأته وتارة يطلع هو بنفسه فالحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) تفقد نفوسهم كل ساعة ليخرجوا منها صفات المنافقين ويدخلوا فيها صفات المؤمنين لانها عكسها فمن جملة صفات المؤمنين ما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله عز وجل التائبون العابدون الى آخر الآية ومنها قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الخ ونحوهما من الآيات وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفى حديث آخر لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره بوائقه قالوا وما بوائقه يا رسول الله قال غشه وظلمه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اذا رأيتمونى زغت عن الطريق فقوموني وانصحونى فان المؤمن لا يكون الا ناصحا لاخيه وقد جمع يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى جملة من صفات المؤمن فى بعض رسائله فقال ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الخير قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول كثير البر رحيم وصولا وقورا شكورا كثير الرضا من الله اذا ضيق عليه الرزق حليما رفيقا باخوانه عفيفا شفوقا لا لعانا ولا سبابا ولا عيابا ولا مغتابا ولا نماما ولا عجولا ولا حسودا ولا حقودا ولا متكبرا ولا معجبا ولا راغبا فى الدنيا ولا طويل الامل ولا كثير النوم والغفلة ولا مرائيا ولا منافقا ولا بخيلا هشاشا بشاشا لا غماسا ولا جساسا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ويغضب لله زاده تقواه وهمته عقباه وجليسه ذكراه وحبيبه مولاه وسعيه لاخراه وذكر نحو ثلاثمائة وصف وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول لو نبت للمنافقين أذناب ما وجد المؤمنون أرضا يمشون عليها يعنى لكثرتهم وكان حذيفة رضى الله عنه يقول

ويفعل ذلك فى أول الصلاة ثم يتغفل فى جميعها ولا يحضر قلبه ويغتر بذلك ولم يعلم أن حضور القلب فى الصلاة هو الواجب واغتاغره ابليس وزين له ذلك وقال له ذلك الاحتياط تتميز به عن العوام وأنت على خير عند ربك (وفرقة أخرى) غلبت عليهم الوسوسة فى اخراج حروف الفاتحة من مخارجها وكذلك سائر الاذكار فلا يزال يحتاط فى التشديدات والفرق بين الضاد والظاء لايهمه غير ذلك ولا يتفكر فى أسرار فاتحة الكتاب ومعانيها ولم يعلم انه لم يكلف الخلق فى تلاوة القرآن بتحقيق مخارج الحروف الا بما جرت به عادتهم فى الكلام وهذا غرور عظيم ومثلهم من حمل الرسالة الى

كان الرجل يتكلم بالكلمة الواحدة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها منافقا وانى لاسمعها من أحدكم فى المجلس الواحد عشر مرات وهو لا ينتبه لها وفى الحديث المنافق همته فى الطعام والشراب والمؤمن همته فى الصيام والصلاة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول قوة المؤمن فى قلبه وقوة الكافر والمنافق فى يده وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من علامة المؤمن ان يفعل الطاعات ومع ذلك يبكى ومن علامة المنافق ان ينسى العمل ثم يضحك وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول المؤمن يزرع نخلا ويخاف ان يثمر شوكا والمنافق يزرع شوكا ويطلب ان يثمر رطبا اه فاعلم ذلك يا أخى وفتش نفسك قبل موتك وابك عليها ان وجدت فيها اخلاق المنافقين وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم امساك الدينار والدرهم فى بداية أمرهم ثم جمعهما للانفاق فى نهاية أمرهم وذلك لان الشخص فى بداية أمره فى الطريق حكم الطفل الرضيع فيحتاج عند الفطام الى وضع الصبر ونحوه على الثدى ليصير يكره الرضاع من اللبن الذى يضره فاذا وقتنا كراهية مصالك صار هو يكره شرب اللبن وتعافه نفسه وكذلك الفقير فى حال نهايته يصير يعاف الدنيا وهناك يكون الكامل فى امساكه لها العفيف بها نفسه عن سؤال الناس وينفق منها فى سبيل الله كما أمره الله وعلى هذا التقدير يتنزل قول من نهى من السلف ومن أمر بامساكها وقد كان مسلم التحات رحمه الله يقول لما ضرب الدينار والدرهم وضعهما ابليس على جبهته وقبلهما وقال من أحبكما فهو عبدى حقا (قلت) لابد من استثناء من أحب الدنيا للانفاق من هذه الاخلاق والله أعلم لانه اطلاق فى محل تفصيل وقد كان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى لا يمسك بيده دينارا ولا درهما ويقول والله لجراب بعر أحب الى من جراب ذهب وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول لا يكمل مقام الفقير الا برفض الدنيا وعدم تقديم نفسه فيها على اخوانه الا ان يكون احوج منهم وقد طلب رجل صحبة ابراهيم بن أدهم رحمه الله فقال له بشرط ان لا تكون أحق بمالك منى فقال لا طاقة لى على ذلك ثم ذهب وفى التوراة حرام على قلب محب الدنيا أن يقول الحق وكان يحيى ابن معاذ رحمه الله تعالى يقول اعلموا ان الدرهم عقرب فمن لم يحسن رقيته فتسلمه بيده فقيل له وما رقيته قال ان يؤخذ من حله ويوضع فى محله وقد كان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول الدراهم أزمة المنافقين يقادون بها الى المهالك وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول لا يكون الرجل صالحا حتى يتساوى عنده الذهب والتراب وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول من انشرح لدخول الدنيا عليه فهو منافق يعنى بذلك من تظاهر للناس بالزهد فى الدنيا وأما من لم يتظاهر بذلك فلا والله أعلم وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يضع الدرهم فى كفه ويقول أف لك من درهم لا تنفعنى الا ان خرجت عنى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اذا دخل الدرهم الحرام من الباب خرج الحق من الكوة فقيل له فان سدت الكوة فقال يخرج من حيث يأتى ملك الموت وكان العلاء بن زياد رحمه الله يقول لا يكمل العالم الا ان عف عن الدنيا وعن النساء وقد كان سفيان الثورى رحمه الله كثيرا ما ينشد قوله

انى وجدت فلا تظنوا غيره * ان التورع عند هذا الدرهم

فاذا قدرت عليه ثم تركته * فاعلم بان تقاك تقوى المسلم

اه فاحذر يا أخى من فضول الدنيا واقتد بسلفك الطاهر فى الزهد تسلم من آفاتها والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) محبتهم لتقديم مريدهم خدمة الله تعالى على خدمتهم فاذا دعوا أحدا الى حاجتهم ولم يأت لاشتغاله بتلاوة القرآن مثلا أو بذكر الله تعالى كان ذلك أرجح عندهم من حاجاتهم ولو كانت ضرورية كطحن القمح وطبخ الطعام ونحو ذلك وهذا الخلق لا يعمل به الا من خلص من رعونات النفس وصحت له محبة مرضاة الله تعالى حتى صار يقدمها على جميع أهوية نفسه وقد كان لى وردفى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فطاب لى الذكر ليلة واستمريت فيه حتى فاتنى وردى فى الصلاة

مجلس السلطان وأمر أن يؤدى اعلى وجهها فاخذ يؤدى الرسالة ويتانق فى مخارج الحروف ويعيدها مرة بعد أخرى وهو مع ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فهذا لاشك أنه تقام عليه السياسة ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل (وفرقة أخرى) اغتروا بتلاوة القرآن فيهدروا به هدرا ويختمون فى اليوم والليلة ختمة وألسنتهم تجرى به وقلوبهم تتردد فى أودية الامانى والتفكر فى الدنيا ولا تتفكر فى معانى القرآن لتنزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند أوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه ويتلذذ به من حيث

على النبي صلى الله عليه وسلم تحملت بعد ذلك منه عليه الصلاة والسلام سماعه منه فلما أصبحت أمرضت ذلك على شيخنا سيدي على الخواص رحمه الله تعالى فقال لي لا ينبغي التحمل منه صلى الله عليه وسلم لا جل ذلك فانه صلى الله عليه وسلم يحب ربه سبحانه وتعالى أكثر من نفسه بيقين فلا ينبغي ان يتوهم فيه صلى الله عليه وسلم انه يتكدر منك لاجل ذلك بل هو صلى الله عليه وسلم افرح بذكر الله عز وجل من الصلاة عليه على ان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لابد فيها من ذكر الله تعالى اهـ والله أعلم وكذلك ينبغي ان يكون الشيخ ينشرح لاشتغال المريد بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما ينشرح اذا صار المريد يقول اللهم ارحم شيخي واغفر له ونحو ذلك لكون النبي صلى الله عليه وسلم أحب الى كل شيخ من نفسه ومن أهله فافهم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقديم اعمال الآخرة دائما على اعمال الدنيا فيقدم أحدهم ورده بعد صلاة الصبح على سائر مهماته كما يقدم التهجد في الليلة الباردة على نومه تحت اللحاف وعلى ذلك درج السلف الصالح كلهم رضي الله عنهم فمن أصبح وهمته الدنيا فهو خارج عن طريقهم وقد رأيت مرة شيخنا أراد التنزه في بستان فترك ذلك اليوم الورد وصلاة الصبح مع الجماعة وكانت عمامته صوف وعذبة فقلت له يا أخي لو لبست لك عمامة مخطاطة وثوبا مخططا مما يلبسه العياق وصليت الصبح في جماعة وقرأت الورد لكان ذلك أفضل لك عند الله تعالى فلم يرد جوابا وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من لم تكن عنده تسبيحة أو تهليلة واحدة خير من الدنيا وما فيها فهو ممن آثر دنياه على آخرته وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ومن خطب الدنيا طلبت منه دينه كله في صداقها لا يرضيها منه الا ذلك وكان سيدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى يقول الدنيا ابنة ابليس فمن خطبها كثر تردد أبيها اليه فان دخل بها أقام عنده بالكلية (قلت) المراد بخطبته الدنيا عشقها والشغف بها أي امساك الفاضل منها عن حاجته لغير غرض شرعي فعلم ان من أراد ان ابليس لا يسكن عنده مع تزويجه ابنته فقد رام المحال ولذلك كان يتوسوس في الصلاة والوضوء والنيات كلها كثير من الناس الذين يحبون الدنيا بقلوبهم والحمد لله رب العالمين

المعنى لا من حيث التلاوة فمن قرأ كتاب الله في اليوم والليلة مائة مرة ثم ترك أوامره ونواهيه يستحق العقوبة وربما كان له صوت طيب فهو يقرأ ويتلذذ به ويفتخر باستلذاذه ويظن ان ذلك تلذذ بمناجاة الله سبحانه وسماع كلامه وهيهات ما أبعد ما ظنه

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم خوفهم من ضياع ذريتهم من بعدهم ولذلك كانوا ينفقون كلما دخل يدهم من الدنيا ولا يدخرون شيأ ولو انهم خافوا على ذريتهم الضياع لحكم عليهم الحرص والبخل والشح وخرجوا عن صفات القوم وفي الحديث الولد مبخلة مجبنة أي يدع أباه بخيلا جبانا عن الجهاد وغيره وفي الحديث أيضا مالك ما قدمت ومال وارثك ما أخرت وكان الحسن البصري رحمه الله يقول أنفق يا ابن آدم ولا يغرنك من حولك من هذه السباع الضارية ابنك وحلائلك وكلالتك وخادمك فان ابنك مثل الاسد ينازعك فيما في يدك ليختص به دونك فلا هو يتصدق به عنك ولا هو يدعه في يدك لتنفق منه في مرضاة الله تعالى وأما حلائلك فهن مثل الكلبة في البصبصة والهرير وأما كلالتك فوالله الدرهم يصل اليهم بعد موتك أحب اليهم من حياتك وأما خادمك فمثل الثعلب في الحيل والسرقة فلا تطلب المحبة من هؤلاء وتنشر مالك لهم وتوقر ظهرك فانهم انما هم معك على غلالة فاذا وضعوك في اللحد رجعوا الى بيوتهم فبخروا الثياب وعانقوا النساء وأكلوا وشربوا وبطروا بمالك وأنت المحاسب بذلك وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول أنفقوا ولا تخشوا الضيعة على أولادكم فانهم ان كانوا مؤمنين فان الله يرزقهم بغير حساب وان كانوا فاسقين فلا تساعدوهم على الفسق بأموالكم وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى ينفق كلما دخل يده أولا فأولا فلامته امرأته على ذلك فقال لها لان اذهب بخير وأترككم بشر أحب الي من ان اذهب بشر وأترككم بخير وكان محمد بن يوسف رحمه الله يقول أنفق على أخيك الصالح فانه خير لك من ولدك وذلك لانه يدعو لك وأنت بين أطباق الثرى حتى ربما تخرج من قبرك وليس عليك ذنب بدعائه وأما ولدك فانهم يقتسمون مالك ويتسونك ولا يرون لك فضلا عليهم ويقولون ان الله تعالى جعل لنا ذلك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يقتني في بيته شيأ سوى الحصير والمصحف والابريق وقد أعطاه شخص مرة ركوة جديدة فلما أصبح

أعطاها مالك لشخص من أصحابه وقال له خذها يا أخي فانها أشغلت قلبي خوفا ان يسرقها أحد من بيتي وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول دخلت يوما على أخ لي أزوره فرأيت عينيه قد غارتا من الجوع فأخرجت له درهمين وقلت له خذهما واشتر لك بهما شيأ تقتات به يقويك على العبادة فأبى ان يقبلهما وقال في قدرة الله تعالى ان يقويني على عبادة هذه الليلة بلا طعام ولا شراب واني أخاف ان آخذهما منك فيبيتا عندي فأموت ولم أشتر بهما شيأ وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يجد وافى بيته دينارا ولا درهما قال ولما حضرت الوفاة محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى أنفق ماله كله فقالوا له هلا ادخرت شيأ منه لذريتك فقال ادخاره لنفسي أولى وأما ذريتي فادخرت لهم فضل ربي وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول يخاف أحدنا من فضيحة الدنيا وفقرها ولا يخاف من فضيحة الآخرة وفقرها مع ان فقر الشخص من الاعمال الصالحة في الآخرة يكون به أشد خجلا من الناس فبئس ما فعلنا وكان يقول ان هم النفقة والاكل والشرب قد منع قلوب الغافلين عن كل خير ولدرهم واحد يتصدق به العبد في حياته خير له من ألف دينار بعد موته وكان المدايني رحمه الله تعالى يقول توريث الاولاد الادب خير لهم من توريث المال لان الادب يكسبهم المال والجاه والمحبة للاخوان ويجمع لهم بين خيري الدنيا والآخرة وأما المال فانه يعدم سريعا ويصيرون لا دنيا ولا آخرة وقد جربنا المال الموروث غالبا فوجدناه لا خير فيه ولا بركة لكونه ليس هو بكسب الوارث وربما كان المورث بخيلا به على ورثته وغيرهم فاعلم يا أخي ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) زيارتهم لقبور المسلمين كل قليل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة وهذا الخلق قل من يعمل به الآن من الناس وان وقع انهم دخلوا تربة فليس في دخولهم اعتبار وانما ذلك الامر عادي كزيارتهم الميت في أول جمعة أو عند تمام الشهر خوفا من تغير خاطر أهل الميت مثلا لاسيما ان كان لهم عليهم حق في زيارتهم والده أو والدتهم وهو غرض آخر أجنبي عما قلناه وكان آخر من رأيته عاملا بهذا الخلق سيدي الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى يزور القرافة كل يوم جمعة فكان يزور من عرفه من الاموات ومن لم يعرف وكان عندما يرى القبور يبكي ويقول الذكر الوارد في ذلك ثم يقول ما منهم أحد الا وهو يشتهي ان يصلي ركعتين أو يقول لا اله الا الله ولو مرة واحدة فاغتنموا اعماركم وكان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى اذا زار المقبرة يبكي ويقول ليت شعري بأي اعمالكم اغتبطتم واستبشرتم ثم يصرخ كما يصرخ الثور وكان هشام الدستوائي رحمه الله تعالى اذا زار المقابر ورجع الى داره يمكث أياما لا يستضئ بسراج ويقول أتذكر ظلمة القبر وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يزور قبور آبائه من بني أمية ويقول كأنكم يا آبائي لم تشاركوا أهل الدنيا في لذة ولا نعيم وكان يقول ما أحسن ظواهر هذه القبور وانما الدواهي في بواطنها وقد رأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يضحك في المقابر فقال له أما يكفيك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكره ذلك وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول ان الميت يفتن في قبره سبعة أيام ولذلك استحبوا التصدق عنه تلك المدة مساعدة له حتى يلقن حجته وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول مررت على مقبرة فرأيت شخصا خارجا من قبره وهو يتلهب نارا من فرقه الى قدمه فقال لي يا عبد الله اسقني ماء فلا أدري أعرفني باسمي أم ناداني كما ينادي الرجل من لا يعرفه فأردت ان أسقيه فقال لي الموكل به لا تسقه ولا زال يضربه بالسوط حتى رجع الى قبره فانطبق عليه وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى كثيرا ما يخرج بعد العشاء الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الصباح ويرجع وكان يقول يا أهل المقابر متم فوا موتاه وعاينتم أعمالكم فوا عملاه اه وقدم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يوما على مقبرة ففرش رداءه وصلى ركعتين هنالك فقيل له في ذلك فقال تذكرت أهل القبور وقد حيل بينهم وبين العبادة فأحببت ان أتقرب الى الله تعالى بركعتين بينهم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ان أعمالكم تعرض على موتاكم فتارة يسرون وتارة يحزنون وكان كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك ان أعمل عملا تخزى به أمواتي بين الاموات وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا حضر دفن ميت يكاد

صوته فلو أدرك لذة كلام الله ما تشاغل الى صوته وطيبه ولا تعلق خاطره به ولذة كلام الله انما هي من حيث المعنى فهو في غرور عظيم (وفرقة أخرى) اغتروا بالصوم وربما صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم في ذلك لا يحفظون ألسنتهم عن الغيبة ولا

يغشى عليه و يقول والله ان أمر اهذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله و يخاف من آخره * واعلم يا أخى انه ليس من أخلاق القوم حفر قبورهم فى حال حياتهم أدبا مع الله سبحانه وتعالى فى قوله عز وجل وما تدرى نفس بأى أرض تموت أى وتدفن ولكن قد بلغنا ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى حفر قبره بدير سمعان هو وقتيانه بجعل يحفر والفتيان ينقلون التراب حتى فرغ من حفره فدفن فيه يوم السابع وكذلك قد بلغنا عن رجلين من بنى خولان أنهما حفرا قبريهما بباب القرافة بمصر ونقشا اسميهما على لوح رخام هناك وانهما يشهدان ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد قرأته أيام سياحتى ولم يكن أحدهم يبنى على قبره قبة ولا يعمل له مقصورة ولا يزخرف له حائطا ولا يجعل له فى طبقات قبته قربة بخلاف ما حدث من بعض متصوفة زماننا وربما كان من مال بعض الظلمة فاحذر أيها الاخ الصالح من مثل ذلك فقد قالوا كم من ضريح يزار وصاحبه فى النار وقد رأيت شيخا من مشايخ العجم باع كتبه وثيابه وأمتعة داره وعمل له قبة وتابوتا وسترا وشخاشيخ ونحو ذلك صرف عليها جملة كثيرة ثم كتب على بابها يقول

قف على الباب خاضعا * واحسن الظن وارتج
فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وصار كل من رأى تلك القبة وتلك الكتابة يضحك على ذلك الفقير و يقول انه خاف ان لا يعتنى به أحد بعد موته فعمل هو ذلك حتى يقال شيخ وهذا كله غرور وفتح باب للاستهزاء بالصالحين فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) عدم غفلتهم عن ذكر الله تعالى وعن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل مجلس جلسوه عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يجلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم ترة أى تبعة ونقصا يوم القيامة وأيضا عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها اه وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول قد خفف الله تعالى علينا بقوله عز وجل اذكرونى أذكركم ولم يخص مكانا دون مكان ولو انه تعالى عين لنا مكانا نذكره فيه لكان الواجب علينا السعى له ولو كان مسيرة مائة سنة كما صنع فى دعاء الناس الى الكعبة فله الحمد والمنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرتم الخلق فى مجالسكم فاذكروا الله تعالى فان ذكره دواء لداء ذكر الخلق وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يشترط على من يريد مجالسته ان لا يغفل عن ذكر الله سبحانه وتعالى وكان عطاء السلمى رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لمن ظلم نفسه ان يذكر الله تعالى الا بعد التوبة والاستغفار فان الله تعالى يلعن الظالم اذا ذكره مادام مصرا (قلت) وهو يريد ما ذهب اليه القوم من التوبة كلما أرادوا ان يذكروا ربهم عز وجل احتياطا لنفوسهم ولاحتمال ظلمهم لها ولو بارتكاب مكروه أو غفلة أو خاطر مذموم ونحو ذلك اه والله أعلم وكان داود الطائى رحمه الله تعالى يقول كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة الا نفس الذاكرين وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول ان أولى الناس بالله من افتتح المجلس بالذكر وكان ثابت البنانى رحمه الله تعالى يقول انى لاعرف متى يذكرنى الله تعالى فقيل له وكيف ذلك قال اذا ذكرته سبحانه وتعالى ذكرنى قال تعالى فاذكرونى أذكركم وكان أبو المليح رحمه الله تعالى اذا ذكر الله تعالى يحصل له طرب و يقول انما طربى بذكر الله تعالى لى فانه سبحانه وتعالى يقول فاذكرونى أذكركم وكان اذا مشى فى طريق وهو غافل عن ذكر الله تعالى رجع ثانيا وذكر الله تعالى فيها ولو مرحلة و يقول انى أحب أن تشهد لى البقاع التى أمر فيها كلها يوم القيامة وقد كان داود عليه الصلاة والسلام يقول اللهم اجعلنى من الذاكرين لك واذا رأيتنى جاوزت مجالس الذاكرين الى مجلس الغافلين فاكسر رجلى فانها نعمة تمنك على وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول حادثوا القلوب بذكر الله تعالى فانها سريعة الغفلة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول واعجبا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه وهو أشد وقد كان بشر بن منصور رحمه الله تعالى يقلل من مجالسة الناس و يقول الاجتماع بالناس محل الغفلات والله ما جلس عندى أحد

خواطرهم عن الرياء ولا بطونهم عن الحرام عند الافطار ولا من الهذيان بأنواع الفضول فهؤلاء تركوا الواجب واتبعوا المندوب وظنوا أنهم يسلمون وهيهات انما يسلم من أتى الله بقلب سليم مغرورون أشد الغرور (وفرقة أخرى) اغتر

الاوراد وترك مجالسته أفضل لانها تصير شبرا الى ولده انتهى فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم وضع جنبهم في الارض الا عند العجز عن الجلوس وعلمهم بالقرائن ان الله سبحانه وتعالى يسامحهم بمثل ذلك وكان آخر من أدركته على هذا القدم سيدي الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى فانه أخبر أصحابه ليلة وفاته انه له سبعا وعشرين سنة ما وضع جنبه الى الارض وكذلك سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله وقد كان على هذا القدم من السلف عمر بن عبد العزيز و بشر الحافي ومحمد بن اسمعيل البخاري والامام أحمد بن حنبل والامام أبو حنيفة ورابعة العدوية والاوزاعي وجماعة ذكرناهم في الطبقات رضي الله عنهم وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا غلبه النوم يقوم فيجول في الدار و ينشد قوله

وكيف تنام العين وهي قريرة * ولم تدر في أي المحلين تنزل

وكذلك كانت رابعة العدوية وشعوانة وفاطمة الرملية رحمة الله عليهن كن يقلن نخاف ان نؤخذ على بغتة فعلم ان كل من ادعى الصلاح ونام في الاسحار بلا عذر فهو كاذب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) رقة قلوبهم وكثرة بكائهم على تفريطهم في حقوق الله تعالى لعل الله ان يرحمهم وكان على هذا المقام الامام أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعمر بن الخطاب وأبو الدرداء رضي الله عنهم وكان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان في وجهه من مجرى الدموع وكذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وكذلك كان لعمر بن عبد العزيز و يزيد الرقاشي والفضيل بن عياض و بشر الحافي ومعروف الكرخي رضي الله عنهم وكان يزيد الرقاشي رحمه الله اذا دخل بيته يبكي واذا قدم اليه الطعام بكى واذا جلس اليه اخوانه بكى وأبكاهم و يقول وهل خلقت النار الا لمثلي وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله طول ليله يبكي و يجول في داره و يصرخ الى الصباح وكثيرا ما يقع مغشيا عليه وكان يصلي في سطح غرفته فيبكي في سجوده حتى تجري دموعه وتتقاطر من الميزاب على النائمين تحته حتى كانوا يظنون انها سحابة مارة مطرت عليهم وقد كانت رابعة العدوية رحمة الله عليها تبكي وترش دمعها حولها حتى كان يطين الداخل اليها ان ذلك من ماء الوضوء وكان ابن السماك رحمه الله تعالى اذا حمي مجلسه وتباكى الناس يذكر لهم بكاء داود عليه الصلاة والسلام وبكاء سفيان الثوري وداود الطائي والفضيل بن عياض وعمر بن عبد العزيز وأضرابهم فيستصغر الناس عند ذلك بكاءهم وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول لان أبكي من خشية الله حتى تخرج من عيني قطرة واحدة أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب وأما غلظ القلب وكان علي رضي الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان وعمش العيون وذبول الشفاه أي من كثرة سهرهم و بكائهم وجوعهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ليس البكاء بكاء العين انما البكاء بكاء القلب فان الرجل قد تبكي عيناه وقلبه قاس لان بكاء المنافق يكون من رأسه لا من قلبه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول البكاء عشرة أجزاء فواحد منها لله تعالى والتسعة كلها رياء فاذا جاء ذلك الجزء الذي لله تعالى في السنة مرة واحدة نجا صاحبه من النار ان شاء الله تعالى (قلت) لا يكمل مقام الرجل في البكاء الا ببكاء عينيه وقلبه وأما الباكي بأحدهما فناقص لا سيما ان كان له أتباع فان بكاءه بالقلب لا يذوقه أتباعه فيحتاج الى بكاء العين ضرورة وان كان مقامه قد ارتقى عن ذلك والله تعالى أعلم وقد بكى رجل رياء في مجلس صلة بن اشيم فرحمه الناس فقيل له في المنام خذ أجر بكائك ممن احببت الى ان يرائيا كباوكان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى اذا بكى يردد الدمع في عينه و يقول انه أبقى للكمد وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا بكى بكت زوجته وعياله وخدمه ولا يدرون لم ذلك البكاء وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول الذنوب تطمس القلوب ولا يزيل ذلك الا البكاء وقد بكى شعيب بن حرب رحمه الله تعالى في مجلس طاوس رحمه الله تعالى حتى أبكى الناس وظن انه فعل أمرا عظيما فقال له طاوس اعلم يا أخي انه لو بكى معك أهل السماء وأهل الارض لاجل ذنب واحد فعلته لكان ذلك قليلا فكيف تظن أن ذنوبك تمحى لبكائك وحدك وقد قيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى الا تأتيك بقارئ يسمعك القرآن

بالحج من غير خروج من المظالم وقضاء الديون واسترضاء الوالدين وطلب الزاد الحلال وربما ضيعوا الصلاة المكتوبة في الطريق وربما عجزوا عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يؤخذ منهم ولا يحترزون في الطريق من الرفث والفسوق وربما

فقال

فقال الشكلاء لاتحتاج الى ناشر وكان الضحاك رحمه الله تعالى يبكي كل عشية حتى يغشى عليه و يقول انى لا أدرى ما صعد اليوم من عملى الشيع هل غفر لى أو هو باق فى صحيفتى حتى أقف عليه غدا وكان مكحول الدمشقى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكى فابكوا ولا تظنوا به الرياء فانى ظننت ذلك مرة برجل فحرمت البكاء سنة اه فعلم ان كل من ادعى الصلاح ولم يبك بقلبه عند سماع القرآن فهو كاذب لان قسوة القلب تنافى اخلاق الصالحين فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) ظنهم بنفسهم الهلاك بسبب تقصيرهم فى الطاعات فضلا عن وقوعهم فى المعاصى و يقولون الرجا فى الله سبحانه وتعالى ان يعفو عنا هو تحصيل الحاصل وانما الشأن فى ظن أحدهم ان الله تعالى يؤاخذه على النقير والقطمير ليخف وقوفه للحساب يوم القيامة فان من لم يحاسب نفسه هنا يطول وقوفه للحساب هنالك نسأل الله تعالى اللطف وقد كان عبد الرحمن بن هرمز الاعرج رحمه الله تعالى يقول فتشوا انفسكم فيما هى عليه من القبائح فان كل أحد يحشر غدا مع جنسه فمن وقع فى سائر المعاصى فهو مع كل قوم يحشر وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يعاتب نفسه و يوبخها و يقول لها ان المنادى ينادى يوم القيامة يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا اعرج معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا اعرج معهم ثم ينادى يا أهل خطيئة كذا قوموا فتقوم يا اعرج معهم فاراك يا أعرج تقوم مع كل طائفة وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الفقير حتى يكون ليلا ونهارا كان أهوال القيامة نصب عينيه لاجل ان يستعد لها من هذه الدار وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول من أراد هدو السر فى القبر فلا يجعل له سريرة يفتضح بها يوم القيامة وما دام له سريرة سيئة فالرعب لازمه الى ان يبعث من قبره مرعوبا ولذلك كان لقمان عليه السلام يقول لابنه يا بنى كما تنام كذلك تموت وكما تستيقظ كذلك تبعث فاعمل عملا صالحا لاجل ان تنام وتستيقظ كالعروس ولا تعمل سوأ فتنم وتستيقظ مرعوبا كالمجرم الذى طلبه السلطان ليسفك دمه وكان اويس القرنى رحمه الله يقول استعمل الخوف فى هذه الدار فانه أنجى لك من العذاب وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول اعمل لنفسك ولا تعول على غيرك من صاحب او شيخ فان لكل منهم يومئذ شأنا يغنيه وصف أعمالك من الرعونات فان نورها يوم القيامة على قدر اخلاصك فيها واعلم انه لا يستضىء منافق فى نور مؤمن كما لا يستضىء الاعمى بنور البصير وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول من اغلق بابه وعصى الله تعالى واستحيا من المخلوقين دونه عز وجل حاسبه الله تعالى حسابا شديدا و بعثه توبيخا منكرا ثم تنظر اليه نظر الغضب و يقول للملائكة خذوه فيبتدره ألف ملك او يزيدون و يسحبونه على وجهه قال فيتفتت فى أيديهم فانظر يا ابن آدم هل وقعت فى ذلك وتشفع بانبياء الله ورسله عسى ان ينظر لك لاجل من استشفعت بهم وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول لنفسه كيف بك يا ربيع اذا حملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وقد كان أبو عمران الجونى رحمه الله تعالى يقول ان البهائم اذا رأت ما يصنع ببنى آدم يوم القيامة تقول الحمد لله الذى لم يجعلنا من بنى آدم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول لا تكن ممن يفضحه الميزان والحساب يوم القيامة فقد بلغنى ان أهل الجمع يعضون كلهم أناملهم خجلا وحياء من الله تعالى كل واحد حزنه على قدر ما فرط فى جنب الله وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول يسهل الله تعالى على العبد طلوع روحه بقدر ما ذاق من النصص فى مرضاة الله تعالى فقلت له يا سيدى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام أكثر الناس بلاء ومع ذلك فقد ورد أن أحدهم يشدد عليه المرض وغيره فقال تشديد المرض على الاكابر قد يكون لتعظيم الاجور لا لعلاقة ذنوب فتجذبهم البلابل لا يعجز جلهم على ذلك و بعضهم يصعب عليه طلوع روحه لاجل تلامذته فيريد عدم الخروج من الدنيا حتى يكملهم و يرشدهم الى كمال مقام المعرفة مع محبته لقاء الله تعالى أيضا فلما تجاذب عنده الامران حصل بذلك صعوبة طلوع الروح ولولا ما عنده من كمال الشفقة على تلامذته لكان أسرع الناس خروج روحه طلبا للقاء الله تعالى اه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول سال بنو اسرائيل عيسى صلى الله عليه وسلم

جمع بعضهم الحرام فانفقه على الرفقاء ... وهو يطلب به الرياء والسمعة فيعصى الله فى كسب الحرام أولا وفى انفاقه للرياء ثانيا ثم يبالغ الى الكعبة و يحضرها بقلب ملوث برذائل الاخلاق و الصفات وهو مع ذلك انه على خير من ربه

ان يحيي لهم سام بن نوح عليهما الصلاة والسلام فقال ارونى قبره فذهبوا به اليه فوقف على قبره وقال يا سام قم باذن الله تعالى قال فقام حيا واذا برأسه ولحيته بيضاء فقال له عيسى يا سام انك قد مت وشعرك أسود فقال سام نعم ولكني لما سمعت النداء ظننت انها القيامة فلذلك شابت رأسي ولحيتي الآن فقال له عيسى كم لك من السنين ميت فقال خمسة آلاف سنة والى الآن لم تذهب عني حرارة طلوع الروح وقد كان عيسى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر يوم القيامة بين يديه يصيح كصياح الثكلاء ويقول لا ينبغي لابن مريم ان يسكت عند ذكر القيامة وكان وهيب المكي رحمه الله تعالى يقول كيف ينبغي لاحد ان يضحك في الدنيا وهو يعلم ان بين يديه يوم القيامة صرخات وجولات ووقفات يكاد الانسان ان تنقطع مفاصله من شدة الرعب والخوف وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في قوله تعالى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال هو من طلوع شمس يوم السبت الى نصف النهار فلا ينتصف النهار حتى يفرغ الخلائق من الحساب ويستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من وجد في نفسه داعية للتفرج في البساتين والنوم مع النساء الحسان في الفرش الوطيئة ولبس الثياب الفاخرة فهو غافل عن أهوال يوم القيامة الا أن يكون من كمل الاولياء الذين لا يشغلهم عن الله تعالى شاغل في الدارين فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الاعتناء ببناء الدور ونحوها ثم ان وقع ان أحدهم بنى دارا اقتصر منها على ما يدفع الضرر ومن غير زخرفة وذلك لعدم وجود ما يكفي ذلك من الحلال وعدم طول أمل فلا يدعهم قصر أملهم يفعلون ذلك وقد بنى سيدي أحمد الزاهد رحمه الله تعالى جامعه وداره بطين وطوب وسقف ذلك بالجريد فعلم ان كل من ادعى الصلاح وبنى البناء المحكم فرحا بالدنيا فهو كاذب في دعواه لا سيما من ادعى الانقطاع الى الله تعالى فان ذلك لا يليق به بحال الا ان كان رصد ذلك على جهات بر وصدقة ونحو ذلك فيكون الباعث له على احكام البناء دوام الصدقة بعد موته كما وقع لسيدي مدين وسيدي أبي العباس الغمري واضرابهما رحمهما الله تعالى فلا حرج على مثل ذلك اهـ وقد مر سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رحمه الله على شخص يبني دارا ويحكمها فانشد يقول

أتبني بناء الخالدين وانما * مقامك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوما يقتضيه رحيل

وممن أدركته على هذا القدم شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى كان يعيب على الفقير اذا رآه يبني دارا ويقول له ان الذي تصرفه على هذا البناء لا تلحق تسكن به ولما بنى أخي أبو العباس رحمه الله بيتا في جامع البشير صرف عليه سبعمائة دينار فزجره الشيخ وقال له لو سكنت باجرة لكفاك العشر مما صرفته في هذا البناء وكنت تتصدق بالباقي ثم مات أخي أبو العباس بعد سبع سنين أو نحو ذلك وكان الشيخ رحمه الله تعالى يقول اذا عمر الفقير بيتا من أموال اخوانه فمن الاولى له نصحهم في عدم صرفهم مالهم في ذلك وارشادهم الى ما يكون أثقل في ميزانهم يوم القيامة هذا وانهم سالوه في ذلك فكيف لو فعلوا ذلك عن سؤال منه تعريضا أو تصريحا وقد درج السلف الصالح كلهم على عدم الحرص وطول الامل حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما اشترى وليدة الى شهر فصار صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر والله ان اسامة لطويل الامل ثم قال صلى الله عليه وسلم والله ما رفعت قدمي وظننت اني أضعها حتى أقبض ولا فتحت عيني وظننت اني أغمضها حتى أقبض ولا لقمت لقمة وظننت اني أسيغها حتى أقبض وفي رواية حتى أغص بالموت وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من جاع وقصر أمله لم يجد الشيطان سلطانا على قلبه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يا ابن آدم انما أنت أيام فبكل يوم يمضي فقد مضى بعضك وقد أقام والصلاة مرة بحضرة معروف الكرخي رحمه الله تعالى فقدموه ان يصلي بهم فابى وقال أخاف ان أموت في الصلاة فاشوش على الناس صلاتهم فعزموا

مغرور *(وفرقة أخرى)* أخذت في طريق الحسبة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وينكر أحدهم على الناس ويأمرهم بالخير وينسى نفسه واذا أمرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر منكرا او أنكر عليه أحد غضب وقال أنا المحتسب فكيف تنكر علي وقد يجمع

عليه فقال بشرط ان لا أصلي بكم صلاة أخرى فقال له معروف عند ذلك تأخر يا أخي فانك رجل مخلط تخاف
أولا تلتة ونت في الصلاة ثم تحدث نفسك انك تعيش الى صلاة أخرى ثم قدم غيره فصلى بالناس وكان داود
الطائي رحمه الله تعالى يقول من لازم من طال أمله أن ينسى العمل غالبا ويسوف بالتوبة وكان الحسن
البصري رحمه الله تعالى يقول من شأن قصير الامل أن يظن في كل شيء أكله انه لا يخرج من بطنه الا على يد
الغاسل بعد موته وان ما جمعه لا ينتفع به الا غيره ومتى ظن خلاف ذلك فهو طويل الامل وكان أبو عثمان
النهدي رحمه الله يقول ان عمري الآن مائة وثلاثون سنة فما من شيء الا وتغير على الا أملي فاني أجده كما هو
فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا مطلقة الزهاد لا تنقضي
عدتها منهم أبدا وكل من طلق الدنيا تزوجته الأخرى على الفور وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله
تعالى يقول لا يسلم انسان منا من طول أمله لكن كل بحسب مقامه فاهلاهم من كان أمله نفسا واحدا فطول
الامل من رحمة الله لكل أحد ولولاه ما هنأ أحدا منهم العيش وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول
مكتوب على ظهر الحوت في البحر وعلى ظهر النواة من التمر هذا رزق فلان بن فلان لا يأكله غيره ومع ذلك
فالحريص يجتهد ويخاف على رزقه ان يأخذه غيره فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الشفقة على المسلمين الطائع والعاصي وعلى سائر الحيوانات
والعمل على حصول عدم نقص دين أحد بسببهم وهذا من أشرف أخلاقهم ولا يقدر على العمل به الا من
نور الله تعالى بصيرته وكان أشفق على الناس من أنفسهم بحكم الارث لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وهناك يرغب الناس في القرب منه حتى ربما زادوا في الدار المجاورة له أكثر من المجاورة لاهلهم وكان عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما يقول زاد في ثمن الدار اذا كان جارها طلق الوجه حلو اللسان وقد كان أبو مسلم
الخولاني رحمه الله تعالى من المبالغين في التخلق بالرحمة حتى انه ربما كان يمر بالقوم فلا يسلم عليهم ويقول
أخاف أن يحتقروني فلا يردوا علي السلام فيأثموا بسببي وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله يقول اذا علمت
من الناس الوقوع في عرضك اذا رأوك فلا تجتمع بهم رحمة لهم الا في أوقات الصلاة وكان أبو عبد الله
المغاربي رحمه الله تعالى يقول من لم ينظر العصاة بعين الرحمة فقد خرج عن الطريق وقد كان معروف
الكرخي رحمه الله تعالى اذا رأى عاصيا دعا له بالمغفرة ورجا له الرحمة ويقول ان الله تعالى أرسل محمدا صلى
الله عليه وسلم وبعثه لنجاة الناس والرحمة لهم والشيطان لعنه الله بعث لاهلاكهم والشماتة فيهم قال ومر
على معروف رحمه الله قوم في زورق في الدجلة وبين أيديهم الخمر ونحوه فقيل له ألا تدعو الله على هؤلاء القوم
العصاة فقال اللهم كما فرحتهم في الدنيا ففرحهم في الآخرة فقالوا له انما سألناك ان تدعو عليهم وها أنت
تدعو لهم فقال معاذ الله ان أدعو على مسلم وان الله تعالى لا يفرحهم في الآخرة الا ان تاب عليهم في الدنيا
وغفر لهم وهذا من حسن سياسته رحمه الله وكان ابراهيم التيمي رحمه الله لا يدعو قط على من ظلمه ويقول
يكفيه ما حل عليه من وزر ظلمه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا نزل بقناعة دار ورفقة وناموا يسهر
يحرس متاعهم الى الصباح من غير علمهم بذلك وقد روى ان موسى عليه الصلاة والسلام قال يارب دلني على
أحب الخلق اليك فقال الله تعالى ياموسى أحب الخلق الي من اذا سمع بان أخاه المؤمن شاكته شوكة تحزن
لها كأنما شاكته هو اه وكان سالم بن أبي الجعد رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جلس يوما في الظل وأصحابه رضي الله عنهم في الشمس فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد
تجلس في الظل وأصحابك في الشمس أي عاتبه صلى الله عليه وسلم على ذلك تشريعا لامته وكان أبو عبد
الله بن عون رحمه الله تعالى يقول أول ما يرفع من هذه الامة الرحمة والشفقة وقد كان سفيان الثوري رحمه
الله تعالى اذا حصل لاحد من المسلمين أمر يهتم به سفيان حتى ربما يبول الدم من شدة الحصر وكان الحسن
البصري رحمه الله تعالى يقول من علامة الابدال كثرة الشفقة والرحمة لعامة المسلمين وكان معروف الكرخي
رحمه الله تعالى يقول من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد اللهم أصلح أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد كتبه الله

الناس في المسجد ومن تأخر
عنه اغلظ عليه في القول
وربما عرض له الرياء
والسمعة والري باسقو علامته
انه لو قام بالمسجد غيره عبرا
عليه ومنهم من يؤذن
ويظن انه يؤذن لله ولو جاء
غيره وأذن في وقته
قامت عليه القيامة ..
لم آخذ حتى وزوجته .

من الابدال اه فاعلم ذلك يا أخي واقتد بسلفك الصالح والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) موافقة الفقهاء اذا أنكر شيأ من أحوال أهل الطريق أو أمرهم بشيء ولا يقيم أحدهم عليه الحجة الا ان علم انه يرجع الى قوله وذلك لان الفقيه في دائرة لا يعرف غيرها فاذا قال ان القطب مثلا أو البدل أو الوتد لا حقيقة له فقل له نعم واقصد بذلك انه ليس له حقيقة عنده واذا قال ان الاولياء قد انقرضوا ولم يبق منهم أحد فقل له صدقت أي على معتقده وكذا ان قال الخضر لا وجود له فقل له نعم لا سيما ان أتى بكلام أحد ممن ينكر ذلك كابن تيمية وقد خالف جماعة هذا الخلق وخالف الفقيه فوقع بينهم شرور وقذف أعراض وسب الطائفة وهاكذا كان الاشياخ السابقون وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا جلس اليه فقيه وأراد ان يبحث معه في علم يقول له قال الامام الغزالي كذا وكذا فقلت له في ذلك فقال انما نقل لهؤلاء الفقهاء عن الغزالي لانه من دائرتهم في الاصل قبل التصوف ولو أني نقلت لهم شيأ عن أحد ممن ليس هو من دائرتهم لما قبلوه منا (قلت) ومما يدل على وجود الابدال قوله صلى الله عليه وسلم ان بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صوم ولا صلاة وانما دخلوها بسخاوة النفوس والنصح للامة وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول الابدال بالشام والنقباء بالعراق والنجباء بمصر وقد سئل الامام أبو عبد الله بن ماجد الجريري رحمه الله تعالى أيكون من النساء أبدال قال نعم وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لولا الابدال لخسفت الارض بمن فيها ولولا الصادقون لفسدت الارض ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم ولولا السلطان لاهلك الناس بعضهم بعضا ولولا الحمقى لخربت الدنيا ولولا الريح لانتن ما بين السماء والارض وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما من نبي الا وله نظير من أمته اه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة رياضة نفوسهم حتى يصير أحدهم ينظر الذي عليه ببادئ الرأي دون الذي له فاذا سمع نحو قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون يرى نفسه جاهلا و يرى جميع أقرانه علماء ببادئ الرأي وانه لا يستوي مع واحد منهم ولا يقاربه في مقام ولا حال عكس ما يتبادر الى الذهن لا سيما ذهن من لم يجاهد نفسه فاعلم ذلك واعمل عليه تجد فيه راحة عظيمة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة عملهم على رقة الحجاب حتى يروا كل شيء في الوجود حيا و يعاملونه معاملة الاحياء فلذلك كانوا لا يعد أحدهم له خلوة يعصي الله فيها أبدا لانه يرى كل شيء ناظرا اليه بعينه فيستحيي منه و يصير يعامله بما يستحقه من الادب وذلك لان كل أحد يعلم ان المكان الذي عصى الله تعالى فيه لا بد أن يشهد عليه بين يدي الله يوم القيامة فاذا عصى في محل فقد عرضه لوجوب الشهادة عليه ولو ذكر أحدهم كلاما قبيحا يكاد أن يذوب من شدة الحياء و يود ان الارض ابتلعته ولا كان تلفظ بذلك وهذا خلق غريب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انهم لا يطلبون من الله تعالى اجابة دعائهم في حق أنفسهم أو في حق أحد من الخلق الا ان كان أحدهم مستقيم القلب مع الله تعالى الاستقامة الممكنة في حقه بحيث لا يصيره سريرة يفتضح بها في أحد الدارين أو فيهما فيأتي الاجابة من بابها وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول من أراد ان لا يرد له دعاء فليكن على قدم الملائكة عليهم الصلاة والسلام في عدم العصيان وقد كان أبو نجيح رحمه الله تعالى يقول لو أن المؤمن لم يصر به عز وجل لكان اذا أقسم على الله تعالى أن يزيل له الجبل لاجابه وكان خالد الربعي رحمه الله تعالى يقول كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى جالسا في ظل الكعبة يوما فقام اليه رجل وقال يا أبا اسحق ما علامة المستقيم فقال له علامته لو أومأ الى جبل أبي قبيس ان زل عن مكانك لازاله الله تعالى له قال فعند ذلك تحرك أبو قبيس للزوال فاومأ اليه ابراهيم أن قف فانه لم أعنك بهذا فوقف وقد بلغنا عن الجنيد رحمه الله تعالى أنه كان يقول شهد شخص على الوليد و راعى الوليد

من يتقيد امام مسجد و يظن انه خير وغرضه أن يقال انه امام مسجد كذا وكذا وعلامته انه لو قدم غيره وان كان أورع منه وأعلم ثقل عليه ذلك (وفرقة أخرى) جاوروا بمكة والمدينة واقتدوا بهما ولم يراقبوا قلوبهم ولم يطهروا ظواهرهم و بواطنهم و ربما كانت

اللهم ان كان كاذبا على فامته الساعة قال فانكب الرجل على وجهه ولا زال يضطرب حتى مات في الوقت وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول نعم الرب ربنا عز وجل لو انا أطعناه في كل ما أمرنا ما ابتلانا في كل ما سألناه سبحانه وتعالى قال وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يوما جالسا تحت قنطرة في بلد تسمى مرو الروذ فوقع رجل من أعلى القنطرة فقال ابراهيم اللهم أمسكه في الهواء حتى يأتي من ينقذه من الهلاك قال فوقف في الهواء حتى أتاه الناس فأنزلوه سالما اه وضرب رجل من أعوان الولاة مالك بن دينار بالسوط فقال مالك اللهم اقطع يده فقطعت يد الرجل من الغد ومر عليه وهي معلقة قال وكذب رجل على مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى فقال مطرف اللهم ان كان كاذبا فأمته الساعة قال فوقع الرجل ميتا في الحال والناس ينظرونه فتعلق الناس بمطرف وأحضروه الى والي البصرة وقصوا عليه القصة فلما سمع الوالي ذلك قال ان هي الا دعوة رجل صالح صادفت منية الرجل والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) أن لا يدعي أحد منهم محبة أحد الا بعد أن يعرض على نفسه مقاسمته في ماله واذا أصابه بلاء في جسده يتألم كما يتألم المصاب فان طابت النفس بما ذكر فليقل له اني محب والا فليكف عن الكذب فانه نفاق وهذا الخلق قل من يتخلق به الآن وقد تخلقت أنا به في حق بعض أصحابي دون البعض فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) رحمة العصاة وعدم ازدرائهم وفداؤهم بأنفسهم حتى يود أحدهم ان جلده يقرض بالمقاريض ولا يعصي أحد منهم ربه وكانوا يرون كثرة الشفقة على العصاة أفضل من الدعاء عليهم وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله يقول من لم يجد عنده رحمة للعصاة فليدع لهم بالتوبة والمغفرة فان من أخلاق الملائكة عليهم الصلاة والسلام انهم يستغفرون لمن في الارض وكان زهير بن نعيم رحمه الله تعالى يقول وددت والله ان جلدي يقرض بالمقاريض ولا يعصي أحد ربه تبارك وتعالى وكان حبيب العجمي رحمه الله تعالى اذا قرأ آية فيها ان الله غضب على قوم يبكي عند قراءتها و يقول يارب انك قد أدخلت قلبي الرحمة لهم فان شئت فاغفر لهم وان شئت عذبني عنهم (قلت) ولعل مراده رحمه الله بالرحمة التي دخلت قلبه فتح باب سؤاله ربه أن يرضى عنهم لا التحجير على الحق تعالى في غضبه عليهم فان الكامل من شأنه أن يغضب لغضب الحق و يرضى لرضاه عز وجل وقد كان حبيب هذا رحمه الله معدودا عند التابعين ممن غلبت عليه أحوال الفقراء وأرباب الاحوال لا يقتدى بأفعالهم عند أهل الطريق فان الله تعالى أرحم بعباده من حبيب هذا والله أعلم وكان منصور بن محمد رحمه الله تعالى يرحم الرجل أن يأمره بأمر و يقول أخاف أن يخالف أمري فيأثم و يقع في العقوبة وأكون أنا السبب وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول لولا أن يأثم الناس في لقلت ان من يغتابني و يذمني أحب الي ممن يمدحني لان المادح لي قد يكذب وقد كان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول من لم يرحم الرجل السوء فهو أسوأ حالا منه ومن ذكر عنده رجل صالح فلم يجد لذكره حلاوة فهو رجل سوء وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا سمع بقوم ظلموا في بعض أقطار الارض يمرض لاجلهم حتى يصير يعاد كما تعاد المرضى فاذا قيل له قد فرج الله عنهم يزول مرضه لوقته وقد كان ثابت البناني رحمه الله تعالى اذا سأله أحد حاجة يصير لا يصلي صلاة الا دعا له في سجوده حتى تقضى حاجته وقد رد شريك رحمه الله تعالى نملة فارسية رآها في سفرته من مقدار أربعة فراسخ رحمة لها وكان رحمه الله تعالى يفت الخبز للنمل و يذر لهم الدقيق على بيوتهم وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يشتري العصافير الصغار التي تمسكها الاطفال ويرسلها الى عشها وكذلك الامهات يرسلها الى أولادها اذا صيدت (قلت) وليس هذا من باب تسييب السوائب وانما كان الغرض رحمة الام او الولد والله أعلم وكان معاوية اذا سأله أحد في حاجة فقضى بعضها يحس بتخفيف الهم بقدرها من شدة ارتباطه باخوانه رحمه الله تعالى اه ففتش يا أخي نفسك هل وجدت شيا من ذلك لاجل اخوانك وابك على نفسك حيث لم يكن لك نصيب في مقام الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) القناعة بالموجود وعدم طلبهم الزيادة في الدنيا من مطعم أو مشرب

قلوبهم متعلقة ببلادهم ومنازلهم وتراهم يفتخرون بذلك و يقولون جاورت بمكة كذا وكذا سنة وهذا مغرور لان الاقوم له أن يكون في بلده وقلبه متعلق بمكة وان جاور فليحفظ حق الجوار فان جاور بمكة حفظ حق الله وان جاور بالمدينة حفظ حق النبي صلى الله عليه

أوملبس أومركب أو منكح أومسكن أوغير ذلك وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول خرج الغنى والعز يجولان يطلبان من يقيمان عنده فلقيا القانع فاستقرا عنده وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يأكل الخبز بالملح أو الخل ويقول من رضي من الدنيا بمثل هذا لم يزل نفسه لناس وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من لم يقنع بخبز الشعير في هذا الزمان ابتلى بالذل والهوان وقد استأذنه مرة شخص في جمع المال فقال له من جمع المال ابتلى بخمس خصال طول الامل وشدة الحرص وكثرة الشح ونسيان الآخرة وقلة الورع وقد كان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول من طلب الغنى بالقناعة فقد أصاب الطريق ومن طلبه بالمال فقد أخطأ الطريق وقد ادركت بحمد الله تعالى من أصحاب هذا المقام خلقا كثيرا منهم شيخنا شيخ الاسلام زكريا وشيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمرى والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ على النبتيتي والشيخ على البحيرى والشيخ محمد بن عنان والشيخ محمد المنير والشيخ محمد العدل وغيرهم رضي الله عنهم ورأيتهم يفتون الخبز اليابس في الماء ويكتفون به وكان الشيخ تاج الدين الذاكر رحمه الله تعالى يقول ليس القناعة بان يأكل الشخص كلما وجد من غير كلفة وانما القناعة ان يكون عنده المال الكثير والطعام ومع ذلك لا يأكل الا كل خمسة أيام أكلة صغيرة أو ثلاثة أيام وقد كان سيدى على الخواص رحمه الله اذا أكل لا يجاوز تسع لقم ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه واللقيمات من الثلاث الى التسع وقوله صلى الله عليه وسلم حق وصدق فمن آمن به صلى الله عليه وسلم الايمان الكامل كفته التسع لقم ولا يحتاج الى زيادة عليها وقد سمعته رحمه الله مرة يقول من لم يكتف بالتسع لقم في اليوم والليلة فهو لم يؤمن الايمان الكامل لقوله صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم الخ (قلت) وينبغي حمل ذلك على غير أصحاب الاعمال الشاقة أما أصحابها كالحراث والحصاد والتراس والنوتي والفاعل ونحوهم فلا يكفيه مثل ذلك الا ان كانت تصير قوته ملكية وغلبت روحانيته على جثمانيته كما قلع جبريل عليه الصلاة والسلام مدائن قوم لوط عليه الصلاة والسلام ورفعها الى نحو السماء حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ونباح الكلاب كما ورد مع ان جبريل عليه الصلاة والسلام لا يأكل ولا يشرب فافهم والحمد لله رب العالمين

*(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) *شدة عملهم على رقة حجابهم حتى يصير أحدهم يرى الآخرة ونعيمها بين قلبه وذلك ليصح زهده في الدنيا ويتفرغ للآخرة الا من حجب رؤية الآخرة فيعد عليه الزهد في الدنيا وكان عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول من أراد ان يزهد في الدنيا من غير ان يرى الآخرة بين يديه فقد رام المحال وكان أبو واقد الليثي رحمه الله تعالى يقول لقد كابدنا الاعمال فلم نجد في أعمال الآخرة عملا أبلغ من الزهد في الدنيا وقد سمع مالك بن دينار رحمه الله تعالى رجلا يقول لو أعطاني الله تعالى في الجنة بيتا من خيرا لرضيت به فقال له مالك ليتك يا أخي زهدت في الدنيا كما زهدت في الجنة وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما طلب سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ملكا لا ينبغي لاحد من بعده الا ليتحقق بمقام الزهد لان الزهد مع وجود الدنيا أعظم ممن كان زهده فيها مع الفقد وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لو حلف حالف ان الزاهد في الدنيا خير الناس لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول لو أوصى رجل بمال الى أعقل الناس لصرفته الى الزاهد في الدنيا اه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول يحشر الناس كلهم عراة الا الزاهد في الدنيا وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول الزاهد الصادق يقيم زهده بفعله والمتطفل يقيم زهده بقوله من غير فعل وقد قال رجل لسفيان ابن عيينة رحمه الله تعالى أشتهى ان أرى عالما زاهدا في الدنيا فقال له تلك ضالة لا توجد الآن لان الزهد لا يكون الا في الحلال المحض وأين يوجد ذلك حتى ان الانسان يزهد فيه (قلت) ان الحلال موجود والمقامات موجودة ولكن حلال كل انسان ومقامه على قدر حاله ولذلك طلب الشارع صلى الله عليه وسلم منا ان نأكل حلالا ونتأسى به في الاخلاق والمقامات ولولا وجود الحلال وامكان الترقي لبطلت الاحكام الشرعية من قرون

وسلم ومن يقدر على ذلك وهؤلاء مغرورون بالظواهر فظنوا أن الحيطان تحجبهم وجهلت وربما لم تسمح نفسه باللقمة يتصدق بها على فقير وما أصعب المجاورة في حق الخلق فكيف بمجاورة الخالق وما أحسن مجاورته بحفظ جوارحه وقلبه (وفرقة

متعبد فيقام الامن يأكل حلالا ويخاف الله عز وجل ويزهد ويتورع ولكن على قدر حظه ونصيبه فلعل قوله لم يوجد الحلال على سبيل المبالغة والله أعلم وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول من كان أكثر الناس زهدا في الدنيا فهو أكثرهم علما صالحا اه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من ادعى الزهد في الدنيا ثم غضب عن ينقصه عند أهلها فهو كاذب في دعواه وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ليس شئ أقطع لظهر ابليس من الزهد في الدنيا وكان ابن السماك رحمه الله يقول قد صار الزهد في الدنيا مذكورا في الكتب ولا تعدله عاملا وقد سئل يونس بن عبيد رحمه الله تعالى عن غاية الزهد في الدنيا فقال هو عدم الراحة فيها بالكلية (قلت) وممن أدركته من رجال هذا المقام شيخنا سيدي على الخواص والشيخ عبد الله الفيومي المدفون بتربة الامير يشبك خارج مصر والشيخ على المقنى بالصالحية بمصر والشيخ شمس الدين السمنودي والشيخ محمد المنير والشيخ أبو الحسن الغمري والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود وشيخنا الشيخ أمين الدين امام جامع الغمري فكل هؤلاء رضي الله عنهم كانت الدنيا في أيديهم لا في قلوبهم وكانوا لا يردون سائلا ولو طلب عمامة أحدهم أعطاها له وقد لقي الشيخ محمد المنير رحمه الله تعالى شخصا هرب جماله في طريق الحج فأعطاه خمسمائة دينار فلما وصل الرجل الى مكة أتاه بعوضها فأبى الشيخ أن يأخذها وقال له اني لم أعطها لك وأخذ بدلها مع انه لم يكن بينهما معرفة قبل ذلك فانظر يا أخي في فقراء زمانك هل يفعل أحد منهم مثل ذلك مع صاحبه الا كيد في طريق الحج من غير رجوع عليه مع ان أحدهم ربما يقول أو يظن ان الشيخ محمد المنير دونه في المقام فابك على نفسك في تخلفها عن مقامات الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) سرعة المبادرة للاحرام خلف الامام ان كان ذلك تعظيم لامر الله عز وجل ان يتهاون أحد منهم في تأخيره لكن لا لعلة ثواب ولا للذة مجالسة الحق عز وجل في تلك الصلاة فان المبادر لاجل ذلك انما هو ساع في حظ نفسه بخلاف من كان الباعث له على تلك المبادرة تعظيم أمر الله سبحانه وتعالى وعدم التهاون به ولذلك لما أمر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالاختتان ولم يجد الموسى اختتن بالقدوم فقيل له هلا صبرت حتى تجد الموسى فقال ان تأخير امر الله عز وجل لعظيم فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) هوان الدنيا عندهم وشدة بغضهم لها عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا بنين وللآخرة بنين فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا وقد روى الطبراني وغيره عن أنس رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فوجدته يدفع شيأ بيديه فقلت يا رسول الله ما هذا الذي تدفعه فقال الدنيا تطاولت لي فقلت لها اليك عني وفي الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة قوم فرأى شاة ميتة فمسك باذنها وقال أترون هذه هانت على أهلها قالوا من هوانها عندهم ألقوها يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها وفي حديث آخر لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى يقول تجئ الدنيا يوم القيامة تتبختر في زينتها فتقول يا رب اجعلني لاحسن عبادك دارا فيقول الله تعالى لا أرضاك له اذهبي يا لاشئ كوني هباء منثورا وفي رواية فيقول لها اذهبي الى النار فتقول يا رب ومن يحبني معي فيقول لها ومن يحبك فتأخذهم جميعا الى النار وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول يوقف من يعظم الدنيا بين يدي الله فيقال له هذا الذي عظم ما حقره الله فيسقط لحم وجهه من الخجل فمن ادعى انه يحب الله تعالى وهو يحب الدنيا فهو كاذب لان من شرط المحب ان يكره ما كره محبوبه وان الله يكره الدنيا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان الله تعالى يقول ان أهون ما أنا صانع بالعالم اذا آثر شهوته على طاعتي ان احرمه لذيذ مناجاتي وقد كان وهب بن منبه رحمه الله يقول لاصحابه تعالوا بنا نتوب من الذنب الذي ترك الناس التوبة منه فيقولون وما هو فيقول حب الدنيا وسوف يحب الدنيا رجال حتى يعبدوها ويعبدوا

أخرى) زهدت في المال وتقشفت من الطعام والباس بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنوا أنهم أدركوا رتبة الزهاد وهم مع ذلك راغبون في الرياسة والجاه والرياسة اغا تحصل باحد اشياء اما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد تركوا أهون الامرين

أهلها وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من لم يجعل حب الدنيا من الكبائر فقد أخطأ الطريق وذلك لان الكفر ينبني على الرغبة في الدنيا (قلت) وذلك لان سبب الكفر بالله تعالى عصيان ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام حسدا أو كبرا وكلاهما من حب الدنيا والله أعلم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اتقوا السحارة التي تسحر قلوب العلماء وتلهيهم عن الله تعالى يعني الدنيا وهي اسحر وافتن من سحر هاروت وماروت لان ذلك يفرق بين المرء وزوجه وهذا يفرق بين العبد وربه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يرون الدنيا عندهم كوديعة يؤدونها الى صاحبها ليس لهم فيها ملك ولذلك ذهبوا الى الآخرة خفافا وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول كل الخبز الحاف وأنت خائف من الدنيا واياك ان تعد نفسك بعد ذلك انك من الزاهدين فان صغير الدنيا يجر الى كبيرها من حيث لا يشعر العبد وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول انما اكثر القوم من ذكر الله تعالى لتبعد عنهم الدنيا فانهم اذا ذكروا الله بعدت واذا تفرقوا عن الذكر أخذت باعناقهم فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) استحياؤهم من كثرة ترددهم الى الخلاء وذلك بدوام الجوع الشرعي مع الجدة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم يشد الحجر على بطنه الشريف من الجوع قالت عائشة رضي الله عنها ولو شاء صلى الله عليه وسلم لاكل ولكنه كان يؤثر على نفسه (قلت) قد كان له صلى الله عليه وسلم مقام آخر اكمل من هذا وهو انه كان يبدأ بنفسه ولا يجوع الا اضطرارا لان الكامل من شأنه ان يوفي طبيعته حقها لانه مسؤل عنها فما جاع صلى الله عليه وسلم اختيارا وآثر على نفسه الا ليقتدى به في ذلك فافهم وكان عبد الرحمن بن أبي نعيم رحمه الله لا يأكل الاكل خمسة عشر يوماً أكلة فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فدعا ثم أمر به فوضع في بيت واغلق عليه الباب خمسة عشر يوما ثم فتح عليه فاذا هو قائم يصلي وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يطوي الاسبوع فكان لا يأكل الا يوم السبت وكان الامام أبو حنيفة رضي الله عنه مقللا في الاكل جدا كان يأكل كما يأكل الطير في القلة ولم يكن في بيته الا الحصير وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول أحلى ما تكون لي العبادة اذا ألصقت بطني بظهري فان الحكمة كالعروس تطالب البيت الخالي تنام فيه لتخلو فيه بصاحبها وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لا تجمعوا بين ادمين فانه طعام المنافقين وقد رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا قد تدلت جلدة بطنه فعلاه بالدرة وقال ان هذه تشبه جلدة بطن كافر وكان رضي الله عنه اذا رأى رجلا يشتري اللحم كثيرا يضربه بالدرة ويقول له أما علمت ان لهذا اللحم ضراوة كضراوة الخمر وقد كان الامام الاوزاعي رحمه الله تعالى يدخل الخلاء كل شهر مرة فصار يدخل في الشهر مرتين فكانت أمه تقول لاصحابه ادعوا لعبد الرحمن فانه قد صار مبطونا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول والله قد استحييت من ترددي الى الخلاء كل ثلاثة أيام مرة وكذلك كان الامام مالك بن أنس والامام البخاري رضي الله عنهما وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار أمتي الذين يأكلون مخ الحنطة والله لقد خلطت دقيقي بالرماد واكلته مدة حتى ضعف جسدي ولو انفت ولو ضعف جسدي ما تركته أبدا وكان سفيان الثوري وابراهيم بن أدهم رضي الله عنهما اذا لم يجدا طعاما حلالا استفا الرمل الخمسة عشر يوما أو اكثر وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول بت عند الحجاج بن فرافصة رحمه الله احد عشر يوما فما رأيته ذاق طعاما ولا شرابا ولا نام لشيء سوى الصلاة اه فان قيل انما ذكرتموه في هذا الخلق من الطي أكثر من ثلاثة أيام لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيدتم هذا الخلق أولا بالجوع الشرعي فما وجه الزيادة على ثلاثة أيام فاجاب بعضهم بقوله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رحمة على أمته وكان يقول اقدروا القوم باضعفهم مع انه صلى الله عليه وسلم قد ورد أنه كان يواصل الصوم فيحتمل ان هؤلاء القوم الذين جاعوا تلك المدد الطويلة كانوا من الورثة له صلى الله عليه وسلم ويحمل نهيه صلى الله عليه وسلم عن الوصال على من لم يطق ذلك فنهاه عن

وبادروا الى أعظم المهلكات لان الجاه أعظم من المال ولو ترك أحدهم الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب وهؤلاء مغرورون ظنوا انهم من الزهاد في الدنيا وهم لم يعلموا معنى الدنيا وربما يقدم الاغنياء على الفقراء ومنهم من يعجب بعمله ومنهم من

ان

أن يعذب نفسه لئلا تصير نفسه تكره العبادة وقد بلغنا أن أبا عقال المغربي رحمه الله تعالى كان يأكل في كل سنة أشهراً كلة وقد سمعت سيدي عليا المرصفي رحمه الله يقول قد وقع لسيدي عيسى بن نجم المدفون بساحل بحر البرلس رحمه الله تعالى انه مكث سبعة عشر سنة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام وهو على وضوء واحد اهـ وقد أجاب أيضا بعض المحققين ان هؤلاء الذين كانوا يطوون تلك المدد الطوال أن أحدهم كان يتناول نحو الزبيبة ونحو القطرة من الماء ليخرج بذلك عن الوصال المنهي عنه وذلك هو الظن بهم والله أعلم وقد أجمع القوم على ان الجوع من أعظم أركان الطريق حتى قالوا اذا طلب المريد الاكل بعد خمسة أيام فمروه بالكسب فانه لا يصح منه في الطريق وكان أبو عثمان الحيري رحمه الله تعالى يقول كنت أمكث السنة كاملة في بداية أمري وسياحتي لا يخطر الاكل على بالي الا ان حضر بين يدي اهـ فانظر يا أخي جوع علت همته كلا شيء بالنسبة لجوع هؤلاء القوم رضي الله عنهم مع ان جوعهم لم يخرج عن السنة كما تقرر لقوتهم عليه وما نهي عن الجوع بالاصالة الا لخوف الضرر على النفس وكان سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى يقسم عقله وقوته ومعرفته الى سبعة أجزاء فكان لا يأكل حتى يذهب من كل واحد ستة و يقول لولا أخاف الهلاك كنت لا آكل حتى تفنى السبعة أجزاء فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقديمهم السلامة على الغنيمة من حيث رفض الدنيا وفراغ يدهم منها فكانوا يقدمون فراغ يدهم من الدنيا على جمعها وانفاقها في سبيل الله تعالى خوفا أن يمنعوا منها حقها حتى كان أحدهم يقول يا طالب الدنيا لتبر بها تركك لها أبر وأبر وكان الجنيد رحمه الله يقول تجريد العبد من الدنيا أفضل من جمعها وانفاقها وقد كانوا اذا قيل لاحدهم خذ هذه الدراهم ففرقها على المساكين يأبى ذلك ويقول ان من جمعها أولى بتفرقتها وربما يكون فيها حرام وشبهة فتكون الهناءة للفقراء والتبعة على من فرق وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان من تفرغ لعبادة ربه أفضل ممن تركها وسعى على عياله وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ان بينكم و بين القوم بعدا أقبلت عليهم الدنيا ففروا منها وأدبرت عنكم فتبعتموها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول تجرع مرارة الدنيا أشد من تجرع مرارة الصبر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة وأولاده كأنهم يتامى وقد بلغنا أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر ليلة على شخص نائم والناس قائمون يصلون فقال له قم فصل فقال له اني قد عبدت الله تعالى بأفضل العبادة فقال له عيسى وما هي قال قد عبدت الله بأفضل العبادة وهو أني زهدت في الدنيا فقال له عيسى نم فقد فقت العابدين ومن أدلة القوم في هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما على أهل الصفة رضي الله عنهم فقال أيكم يحب أن يغدو كل يوم الى بطحان فيأتي بناقتين كوماوين فقالوا كلنا يحب ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لان يترك أحدكم ذلك ثم يذهب الى المسجد فيتعلم آيتين من كتاب الله خير له من اثنين وثلاث خير من ثلاث وأربع خير من أربع ومن اعدادهن من الابل اهـ ولكل مقام رجال ومن شأن الشارع أن يرغب كل أحد فيما أقامه الله تعالى فيه لئلا تتعطل المراتب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اذا رأوا شخصا انقطع عن الناس في الجبل مثلا ثم رأوه صار ينزل الناس و يحضر ولائمهم و يزور أمواتهم أن لا يحملوه على علة فاسدة كأن يقولوا عنه انه لا يقدر على الوحدة التي شهر نفسه بها أو يقولوا انه يفعل ذلك مع الناس لاجل أن يصيروا يحضروا مواله أو نحو ذلك بل يجب حمله على أنه يفعل ذلك لمصالح يعلمها الله من باب حسن الظن وحسن الخلق مع اخوانه المسلمين فاياك يا أخي أن تظن في أحد من عباد الله المنقطعين في تربة أو جبل سوءا اذا رأيت أحدهم خالط الناس وتقول ان هذا قد انقطع عن الناس فما له وخالطهم بل الواجب أن تظن به خيرا فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم اهتمامهم بأمر الرزق وانشراح صدورهم اذا لم يبت عند أحدهم دينار ولا درهم وكانوا يكرهون ادخار قوت غد واذا وقع ان أحدهم ادخر قوت الغد أو الجمعة أو الشهر

يؤثر الخلوة والعزلة وهو من شروطها الخ ومنهم من يعطى له المال فلا يأخذه خيفة أن يقال بطل زهده وهو راغب في المال والناس خائف من ذمهم ومنهم من شدد على نفسه في أعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة مثلا ألف ركعة ويختم القرآن وهو

أو نحو ذلك كان ذلك على اسم الصالح لا على اسم نفسه تسكينا للاضطراب الذى ربما يقع فى قلب العائلة اذا لم يكن عندهم شئ يأكلونه فربما وقع أحدهم فى سوء الظن بربه عز وجل وقال بعضهم ربما ادخر القوت الذى علم من طريق كشفه أنه رزقه ولا يصح لأحد غيره أن يتناول منه شيأ ولكن قد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من كمال العارف اذا اطلع على أن الشئ الفلانى من رزقه أن لا يخزنه بل يصبر حتى يأتيه فى الوقت الذى جعله الله تعالى فيه ايثارا لفراغ اليد من الدنيا على اسما كها اذ لا فائدة للادخار اه وقد سمعت الشيخ عليا النبتيتى البصير رحمه الله تعالى يقول من شرط من يجتمع بالخضر عليه السلام من الاولياء أن لا يدخر قوت غد فمن خبأ قوت غد لم يجتمع به ولو كان على عبادة الثقلين قال ومن شأن الخضر عليه السلام ان يأتى العارفين فى اليقظة والمريدين فى المنام لان المريد لا يقدر على صحبته يقظة فلذلك يأتيه منا ما يعلمه الآداب التى يجهلها وقد كان أبو عبد الله اليسرى أحد رجال الرسالة رحمه الله تعالى يجتمع به يقظة وعادته طويلا ثم انقطع منه بعد ذلك فى اليقظة وصار يأتيه فى المنام قال فسألته عن سبب انقطاعه عنه يقظة فقال له نحن لا نصحب من يخبأ رزق غد وأنت قد قلت لزوجتك فى الوقت الفلانى خذى هذا الدرهم فاجعليه على الرف الى غد فقال أبو عبد الله صحيح ذلك ولكنى تبت الى الله تعالى من الادخار قال وبعد ذلك لم يأته فى اليقظة الى أن مات كما أخبر عن نفسه فى مرض موته رحمه الله تعالى وكان اويس القرنى رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله من عبد عملا وهو يهتم بأمر رزقه اذ المهتم بأمر رزقه متهم لله عز وجل والمتهم لربه لا يرفع له عمل (قلت) قد يهتم العبد لرزقه ويسعى فى طلبه بكل وجه اهتماما بأمر الله تعالى بالكسب لا شكا فى أنه يضيعه وعلى مثل ذلك يحمل كلام اويس رضى الله عنه (وقد قيل) مرة لابى يزيد البسطامى رحمه الله تعالى أنت من أين تأكل وتشرب فقال من حيث يرزق الله الذبابة والبعوضة أفتراه يطعمها وينسى ابا يزيد قال وصلى خلف امام مدة فسأله الامام يوما وقال له انى أراك لا تكسب فمن أين تأكل فقال له أبو يزيد دعنى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك فانك لا تعرف الله تعالى ولا تصح صلاة من لم يعرف الله سبحانه وتعالى (قلت) وهذا لا ينافى حديث صلوا خلف كل بر وفاجر لان الحديث ورد فى سد باب الخروج على الائمة وهذا فى مقام الكمال للامام واعلم أن دليل القوم فى عدم الادخار ما روى أن شخصا أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث طوائر فاطعم خادمه طائرا منها فلما كان الغد أتته بها فقال صلى الله عليه وسلم ألم انهك أن ترفعى شيأ لغد فان الله يأتى برزق كل غد اه فامتحن نفسك يا أخى لعدم ادخارك شيأ لغد فان رأيتها مضطربة فقل لها ليس لك فى مقام الصالحين نصيب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) اختيارهم الشدة والبلاء على النعمة والرخاء لان بذلك يدوم توجههم الى الله تعالى ومن أحب الله أحب ما يقربه اليه ويذكره به وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول من لم يعد البلاء نعمة والرخاء مصيبة فليس هو بفقيه وقد دخل جماعة على مالك بن دينار رحمه الله تعالى وهو جالس فى بيت مظلم وفى يده رغيف فقالوا له يا مالك الا سراج ألا شئ تضع عليه الرغيف فقال دعونى فانى والله نادم على ما مضى وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول من وسع الله عليه فى الدنيا ولم يخف أن يكون ذلك مكرا به فقد أمن مكر الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول من وجد كل ليلة كسرة يابسة يأكلها فليس هو بفقير انما الفقير من لم يجد شيأ وقد كان الربيع بن أنس رحمه الله تعالى يقول ان البعوضة تحيا ما جاعت فاذا شبعت سمنت واذا سمنت ماتت وكذا ابن آدم اذا امتلأ من الدنيا مات قلبه وكان حفص بن حميد رحمه الله يقول اجمع العلماء والفقهاء والحكماء والشعراء على ان كمال النعيم فى الآخرة لا يدرك الا بنقص النعيم فى الدنيا اه واعلم أن من أدلة القوم على هذا الخلق ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى بسمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ اه فعلم أن الكاملين ينظرون الى أهوال يوم القيامة من هذه الدار فذلك هو الذى منعهم لذة الاكل والشرب والنوم والجماع وغير ذلك فافهم والحمد لله رب العالمين

فى جميع ذلك لاعتباره مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الرياء والكبر والعجب وسائر المهلكات وربما يظن ان العبادات الظاهرة ترجح بما كفة الحسنات وهيهات ذرة من ذى تقوى وخلق واحد من خلق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملا بالجوارح

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) إذا سألهم أحد في حاجته وفي حارته شيخ من مشايخ عصرهم أن يردوا صاحب تلك الحاجة الى ذلك الشيخ الذي هو في حارته ويحسنوا اعتقاد صاحب تلك الحاجة فيه حتى قضى الله له الحاجة حاجته فقد أساؤا الأدب مع ذلك الشيخ وقد كان ذلك دأب شيخنا سيدي علي الخواص كان رحمه الله تعالى إذا جاءه أحد وسأله في حاجة يقول له أنت من أي حارة فاذا أخبره قال له ارجع الى شيخ حارتك فان الله تعالى لم يجعله في حارتك الا ليحمل هموم أهلها فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انشراح صدورهم إذا صرف الله تعالى عنهم الدنيا وذلك لأنهم يحبون الله ورسوله ومن أحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كره الدنيا ضرورة لأنها تشغل عن كمال العبادة فلذلك كان من أكرم أخلاقهم انقباض قلوبهم من اقبال الدنيا عليهم وتأمل يا أخي لما كان الصحابة رضي الله عنهم أكثر الناس محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان أكثرهم يمسي ويصبح وليس عنده دينار ولا درهم وقد دعا صلى الله عليه وسلم لأهل بيته رضي الله عنهم لشدة محبته لهم ومحبتهم له فقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وذلك ليكون العبد مقبلا على الله تعالى لا يعوقه عنه عائق لا سيما ان كان ليس عنده صبر على الجوع مثلا فانه يصير مقبلا على الله تعالى ليلا ونهارا بسأله قوته لا يفتر عن ذلك وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول الدنيا سجن المؤمن وأعظم أعماله في السجن الصبر وكظم الغيظ وليس للمؤمن في الدنيا دولة وانما دولته غدا في الآخرة وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة فيعيش كدودة الخل في الخل وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من حبس الله عنه الدنيا ثلاثة أيام وهو عنه راض وجبت له الجنة وكان عبد الله بكر المزني رحمه الله تعالى يقول ان الله عز وجل ليجرع عبده المؤمن ويذيقه مرارة الدنيا محبة فيه كما تجرع المرأة ولدها الصبر لأجل العافية اهـ ومن أدلة القوم في هذا الخلق ما ورد أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني أحبك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول ما زالت الدنيا علينا عسرة كدرة حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فصبت علينا الدنيا صبا أي لأنا كنا ببركته صلى الله عليه وسلم في حماية من الدنيا فلما توفي النبي صلى الله عليه وسلم ذهبت تلك الحماية ودخل علينا النقص وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول اذا ترقى العبد في مقامات العرفان صارت الدنيا تزداد منه نفرة ولو أنه طلبها لما أجابته وذلك لعدم رؤيتها محلا من قلبه تمكث فيه اهـ فعلم أن من علامة من ادعى الفقر كذبا أن يزداد من أمتعة الدنيا وزينتها كلما طعن في السن فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة الفرح في الدنيا كلما حيل بينهم وبين الوصول الى شهواتهم فيها فيقولون لولا ان الله تعالى يحبنا ما حال بيننا وبين ما يحجبنا عنه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قال لي معلمي عبد الله الرازي رحمه الله تعالى ان أردت القرب من الله تعالى فاجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام حرام على قلب أحب الشهوات أن أجعله اماما للمتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول أميتوا الشهوات في أنفسكم ولا تميتوا أنفسكم في الشهوات فان من جعل شهوته تحت رجليه فر الشيطان من ظله كما أن من جعلها في قلبه ركبه الشيطان فصرفه كيف شاء بتسليط الله تعالى وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الجنة ترجع عملتها الى شيئين الراحات والشهوات ولا يدخل أحد الجنة الا بترك الراحات والشهوات في الدنيا وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول سيأتي على الناس زمان يكون همة أحدهم بطنه ودينه هواه وسيفه لسانه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ابست الدابة الجموح بأحوج الى اللجام من نفسك وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما عالجت شيئا أشد من نفسي مرة معي ومرة علي وكان يقول كفوا أنفسكم عن الشهوات قبل أن تخاصم بعضكم بعضا ومن أدلة القوم في هذا الخلق قول النبي صلى الله عليه وسلم حفت

ثم قد يفتر بقوله من يقول له انك من أوتاد الأرض أو من أولياء الله وأحبابه فيفرح بذلك ويظهر له تزكية نفسه ولو شوش يوما واحدا مرتين أو ثلاثا لكفر وجاهد من فعل ذلك به وربما قال لمن سبه لا يغفر الله لك أبدا (وفرقة أخرى) حرصت على النوافل ولم

الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقد ورد أنه قدم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة سويق اللوز فرده وقال هذا طعام المترفهين في الدنيا وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول ما زاد على لون واحد فهو طعام الفساق اه وسيأتي زيادة على ذلك في محله ان شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم التغالي في الثياب بل كانوا يلبسون ما وجدوا من الحلال ولو خشنة واذا لبس أحدهم جبة أو عمامة صوف لا يتغالى في ثمنها عكس ما عليه فقراء هذا الزمان فربما تكون جبة أحدهم أو عمامته الصوف أغلى ثمنا من ثياب التجار اللهم الا أن يكون أحدهم ممن لا تدبير له مع الله تعالى فهذا يلبس ما شاء من المباح وقد كان حاتم الاصم وأصحابه رضي الله عنهم لا يلبسون من الدنيا الا ما خلق من الثياب وصارت فيه رقع كثيرة وقد كان أويس القرني رضي الله عنه يلتقط الخرق من المزابل ثم يخيطها بعد غسلها ويلبسها وكان ابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى يلبس الجبة السوداء حتى تنشق عليه وقالوا له مرة كم لهذه الجبة عليك فقال تسع سنين ما نزعتها قط وقد كان الحسن البصري رحمه الله يلبس الثوب حتى يتسخ جدا فاذا قيل له ألا تغسل ثوبك يقول الامر أعجل من ذلك وقد قال علي بن أبي طالب لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان أردت اللحوق بصاحبيك فرقع قميصك واخصف نعلك وقصر أملك وكل دون الشبع وقد كان أبو ذر رضي الله عنه بيته خال من المتاع ليس فيه سوى المطهرة التي يتوضأ منها فقيل له يوما ألا تجعل في بيتك متاعا فقال انه بيت لا بد عنا ننتقل فيموات لنا بيتا آخر سننقل اليه صالح أعمالنا ان شاء الله تعالى وكان أبو ادريس الخولاني رحمه الله تعالى يقول لاصحابه لا تعتنوا بغسل ثيابكم طالبا قلب نقي في ثوب دنس أحب الى الله تعالى من قلب دنس في ثوب نقي (وكان عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه يقول كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أخشن منكم ثيابا وأرق قلوبا وسيأتي زمان يكون أهله أرق ثيابا وأخشن قلوبا وكان أبو عبيدة رضي الله عنه يقول رب مبيض لثيابه مدنس لدينه وقد قيل مرة لابي سليمان الداراني رحمه الله تعالى ألا تسرح لحيتك فقال له اني اذا لفارغ القلب وقيل لابراهيم بن ادهم رحمه الله تعالى ألا تخضب لحيتك فقال الخضاب زينة وما نحن من أهلها الآن وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول ربما أريد أن اغسل ثوبي فافكر في قلبي فاتركه وكان يغسل ثوبه بالاشنان فقط دون الصابون وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى لا يزيد على العباءة صيفا وشتاء ليلا ونهارا وكان أبو اسحق السبيعي رحمه الله تعالى يقول كانت طيالس الناس قبل يومهم ولم يكن يلبس الطيلسان على عمامته الا شهر بن حوشب فقط رحمه الله وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول ما شبهت الناس اليوم في المساجد وعليهم الطيالسة الا بيهود خيبر اه (قلت) المطلوب من الطيلسان على الرأس انما هو كف النظر عن فضول النظر للعطفات وغيرها وليس هو بكبير أمر وانما الشأن أن يلبس على قلبه طيلسانا يمنعه أن يمد بصره الى شيء من شهوات الدنيا قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم ولكل مقام رجال والله أعلم وقد كان عروة بن الزبير رضي الله عنهما يقول رأيت رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج به الى الوفود طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر فكان عند الخلفاء بعده صلى الله عليه وسلم حتى خلق كانوا يلبسونه يوم العيدين وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول يا قارئ مالك والطيلسان انما ينبغي لك مدرعة صوف وعصا كراع تفر من الله الى الله وتشوق الخوانك الى الله وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول رأيت سفيان الثوري رحمه الله تعالى في طريق مكة فقومت ما عليه من الثياب حتى نعله فوجدت ذلك يساوي درهما واحدا وأربع دوانق واعلم يا أخي ان دليل القوم في هذا الخلق قوله صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان والبذاذة لبس الخلق من الثياب فلا يبالي الشخص بأي ثوب لبس والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم اسرافهم في الحلال اذا وجدوه وذلك لان الحلال غريب في كل زمان بحسب تفاوت أهله في المقام فربما كان حلالا عند قوم وغير حلال عند قوم آخرين وقد كان السلف يقدمون كسب الدراهم الحلال على سائر مهماتهم وذلك لانهم من أبناء الآخرة يقينا والاعمال

يعتام اعتدادها بالفرائض فترى أحدهم يطرح بصلاة الضحى وصلاة الليل وأمثال هذه النوافل ولا يعد لصلاة الفرض لذة ولا تغيرا من الله تعالى لشدة حرصه على المبادرة بها في أول الوقت وينسى قوله صلى الله عليه وسلم ما تقرب المتقربون

الاخروية الخالصة لاتقع على يدى من أكل حراما وشبهات فان من أكل حراما نشأ عنه فعل الحرام ومن أكل شبهة نشأ منه فعل الشبهة حتى لو أراد من أكل الحرام أن يطيع الله لما قدر على ذلك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ما تم اليوم أقل من درهم طيب ولو وجدناه لاستشفينا به مرضانا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول دين الرجل حيث رغيفه من حل وان أهل بيت يوجد على ما أنتم الآن رغيف من حل لغرباء فى هذا الزمان وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول كسب الحلال أشد على المؤمن من نقل جبل الى جبل وقد كان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول ان لم يرد العبد الحلال فى زمانه كالميتة للمضطر والا هلك وقد سمع الحسن بن على رضى الله عنهما شخصا يقول اللهم ارزقنى حلالا صافيا فقال له ياهذا سل ربك رزقا لايعذبك عليه فان الحلال الصافى انما هو رزق الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا مايعمل الى آخر النهار فاذا أعطوه أجرته نظر اليها وقال لاصحابه انى أخاف ان أكون لم أبذل قوتى كلها التى طلبها منى صاحب الزرع ثم يتركها ويذهب طاويا تلك الليلة وكان يرى الحضور مع الله تعالى فى عمل الحرفة شرطا للعمل وكل شئ عمله بلا حضور ولا يأخذ له أجرة وكان سعد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لا أعرف اليوم بقى من الحلال الا مايشربه الرجل من الدجلة أو النيل بكفه قال وطلب رجل الحلال فما وجده الا الحشيش الذى على حافات الانهار فصار يأكل منه حتى اخضر جلده ثلاثين سنة فاذا هو بهاتف يقول له الآن قد صفا لك أكل الحلال وخلصت من الحرام قال وامتنع بعضهم من الاكل مما يدخل ايدى بنى آدم ثم ذهب الى البرية يأكل من حشيشها فنودى فى سره هب انك تتورع من اليوم فما تفعل فى القوة التى اكتسبتها حتى مشيت الى هنا فانظر من أين حصلتها (وقد سئل مالك بن دينار) رحمه الله تعالى عن نبيذ الجرار فقال السائل ويحك أنظر الى التمر من أين هو قبل ان ينبذ فى الماء وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول رأيت عابدا يقوم الى الصلاة بثقل فنظرت فاذا هو من صدم صفاء أكله ولو انه أكل حلالا لم يحصل له ثقل وكان سفيان الثورى رحمه الله اذا ذهب الى وليمة أخذ معه رغيفا يأكل منه فاذا قال له صاحب الوليمة هلا تأكل من خبزى ياسيدى يقول له انك تدرى خبزك من أين هو وأنا أدرى خبزى من أين هو فكل واحد يأكل مما يدرى (قلت) وممن ادركته من أصحاب هذا المقام سيدى الشيخ محمد بن عنان كان رحمه الله تعالى اذا دعى الى وليمة يأخذ معه رغيفا يأكل منه اذا نصب السماط وقد سئل سفيان الثورى عن فضل الصف الاول فقال انظر رغيفك من أين هو فكله وصل فى أى صف شئت ولا حرج عليك وكان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول لايقبل الله صلاة العبد وفى جوفه شئ من الحرام وكان السرى السقطى رحمه الله تعالى يقول النجاة فى ثلاث سبيل الهدى وكمال التقى وطيب الغذاء وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول لو صمت وصليت حتى صرت مثل هذه السارية ما ينفعك ذلك الا بعد ان تنظر مايدخل جوفك واعلم ان دليل القوم فى هذا الخلق قوله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وهو خطاب للرسل وقد صرح فى الحديث بان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين اه ومن أدلتهم أيضا ما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايكتسب عبد مالا من حرام فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيؤجر عليه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لايمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو الخبيث بالطيب اه فانظر يا أخى الى معاملتك فى هذا الزمان وعليك بالجوع المفرط واياك ان تأكل من طعام أمير أو مباشر أو قاض ضلا عن أطعمة الظلمة والمكاسين من غير تفتيش فانك تتهم فى دينك ولو كان على رأسك عمامة صوف وجبة ولك مذبة فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الوصايا من بعضهم لبعض وقبولهم المواعظ وشكرهم الواعظ وعدم رؤية أحدهم فى نفسه انه قام بواجب حق من نصحه ولو أحسن اليه مدى الدهر وذلك لان الامور الاخروية لاتقابل بالاعراض الدنيوية وقد قال رجل للحسن البصرى رحمه الله تعالى أوصنى فقال له أعز أمر الله حيثما كنت يعزك الله حيثما كنت وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى

بأفضل من أدائها افترضه الله عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتفق على الانسان فرضان أحدهما يفوت والآخر لا يفوت أو فرضان أحدهما ضيق وقته والآخر متسع

أوصني فقال له احذر أن تكون ممن يخالط الصالحين ولا ينتفع بهم أو يلوم المذنبين ولا يجتنب الذنوب أو ممن يلعن الشيطان في العلانية ويطيعه في السر وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أوصني فقال له هل مات والدك قال نعم فقال له قم عني فان من يحتاج الى من يعظه بعد موت والده لا تنفعه موعظة وقال رجل لمحمد بن واسع رحمه الله أوصني فقال له كن ملكا في الدنيا والآخرة قال كيف ذلك قال ازهد في الدنيا فقال له الرجل زدني قال له اجعل نفسك ذنبا واجلس الى الناس ولا تجعل نفسك رأسا وتطلب منهم أن يجلسوا اليك وقد دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما على عابد وقال له جئتك لاجل أن تعظني فقال له العابد لو علمت انك ممن يخاف الله تعالى لوعظتك فغشي على عمر من كلامه وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول رأيت أبا العباس الخضر عليه السلام بالمدينة المشرفة فقلت له أوصني فقال اياك يا عمر أن تكون وليا لله تعالى في العلانية وعدوا له في السر وقال رجل لعيسى عليه الصلاة والسلام عظني يا روح الله فقال له الى كم يعظ أحدكم ولا يتعظ لقد كلمتم الواعظين شططا وتعبا (وقال رجل) للحسن البصري رحمه الله تعالى اوصني فقال له لا تذنب فتلقي نفسك في النار مع انك لو رأيت أحدا يلقي برغوثا في النار لانكرت عليه وأنت تلقي نفسك في النار كل يوم مرات كثيرة ولا تنكر عليها (وقال رجل) لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى أوصني فقال له اترك فضول النظر توفق للخشوع واترك فضول الكلام توفق للحكمة واترك فضول الطعام توفق للعبادة واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك واترك الخوض في ذات الله توفق من الشك والنفاق وقال رجل لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى اوصني فقال لا تحسد أحدا فانه ان كان من أهل النار فكيف تحسده على دنيا فانية يصير بعدها الى النار وان كان من أهل الجنة فاتبعه في أعمالها واغبطه عليها فان ذلك أولى من حسدك له على الدنيا (وقال رجل) للحسن البصري رحمه الله تعالى عظني فقال واعجبا من ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف (وقال رجل) لابي الدرداء رضي الله عنه اوصني فقال له اذكر يوما تصير السريرة فيه علانية (وقال رجل) لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى اوصني فقال له اياك أن تتكبر أو تأكل شيئا من أموال الناس بغير حق فان من تكبر على الناس ذل ومن اغتنم أموال الناس افتقر (وقد سمع الحسن البصري) رحمه الله تعالى مرة رجلا يقول المرء مع من أحب فقال له لا يغرنك يا أخي هذا القول فانك لن تلحق بالابرار الا ان عملت بمثل أعمالهم فان اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم في الجنة لتخلفهم عنهم في الاعمال ومخالفتهم لهم ثم قال واعجبا من قوم أمروا بالزاد ونودوا بالرحيل وهم جلوس يضحكون فان من كان الليل والنهار مطيته فهو يسار به وان لم يسر (وكان شقيق البلخي) رحمه الله تعالى يأمر أصحابه بالتهيؤ كل وقت للموت ويقول ربما يتهيأ الواحد منا خمسين سنة للموت ولا يصح له تهيؤ انما التهيؤ لمن زهد في الدنيا كعمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه كان يقول للموت كل يوم صباحا ومساء يا ملك الموت خذني أي وقت شئت اه ومن أدلة القوم في هذا الخلق قوله صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك اه فاعلم ذلك يا أخي وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انهم لا ينصحون ولا يوصون الا من علموا منه بالقرائن قبول النصح والوصايا منهم وأما من علموا منه انه تتحرك نفسه اذا نصحوه ونحو ذلك فالاولى الاعراض عنه وتأخير ذلك حتى يجد أحدهم طريقا يباشره بها ويدخل اليه منها وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لا تنصح أحدا الا ان علمت منه القبول والا فربما أعقبك ذلك النصح ضرر الاذية واياك ان تطلب الرياسة على أحد في هذا الزمان فان كل أحد قد عد نفسه أبا فلان واياك ان تقتدي بكل أحد فان الاهواء قد انتشرت انتشارا عظيما واياك ان تفشي سرك الى أحد فان الامانة قد ارتفعت (قلت) وقد صدق رحمه الله فانه وقع لي اني نصحت مرة شيخا من مشايخ العصر بانه لا يأكل من بيوت الظلمة وكان ذلك بيني وبينه فمكث سبع عشرة سنة لا يكلمني وما صالحته الا بجهد عظيم فكيف حالي معه لو كنت نصحته في الملأ لعله كان يسعى في قتلي فاعلم ذلك يا أخي واعرف

وقسم فان لم يحفظ الترتيب كان مغرورا ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى فان المعصية ظاهرة وانما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض كتقديم الفرائض كلها على النوافل وتقديم فروض الاعيان على فروض

زمانك

زمانك وانصح اخوانك بسياسة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقليل أعمالهم في عيونهم من حيث كسبهم لها ولو كانوا على عبادة الثقلين فكانوا لا يرون انهم قاموا بذرة واحدة من حقوق الله عز وجل وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه الشريفتان وتقطر منهما الدم فقالوا له تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا وقد كانت ام مسروق رحمها الله تقول كان مسروق رحمه الله يصلي حتى تنتفخ ساقاه من طول القيام حتى كنت أجلس خلفه أبكي رحمة له وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم أشح على دينه وعمره من أحدكم على ديناره ودرهمه وكان عمر بن عتبة رحمه الله تعالى يخرج الى المقابر كل ليلة فيصلي فيها من العشاء الى الفجر ثم يرجع فيصلي الصبح في المسجد وكان يقول لاهل المقابر اذا أقبل عليها يا اخواني قد طويت صحائفكم وكان أويس القرني رحمه الله تعالى يحيي الليل كله في سجدة واحدة فكان لا يرفع رأسه حتى يحس بعظمه قد ذاب من شدة البكاء بين يدي ربه عز وجل قال ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يهنأ بأكل ولا شرب ولا نوم حتى مات قال ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لا يضع جنبه الى الارض أبدا وانما كان يغفل وهو جالس في بعض أوقات وكان مجاهد رحمه الله يقول لعباد أهل زمانه أنتم لستم عبادا ولكنكم متلذذون بالعبادة ولقد أدركنا أقواما كانوا اذا بلغ أحدهم أربعين سنة طوى فراش النوم حتى يموت رضي الله عنهم وكان كهمس بن الحسن رحمه الله تعالى يصلي كل يوم ألف ركعة فما يفرغ منها حتى يصير يزحف من الضعف ثم يقول لنفسه بعد ذلك قومي لهذه العبادة الاخرى يا مأوى كل شر فلما ضعف آخر عمره كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكي ويقول يا ويلي من ربي عز وجل وقد نقصت نصف عبادتي وقد كان أويس القرني رحمه الله تعالى اذا غلبه النوم انتبه فزعا مرعوبا ثم يقول اللهم اني أعوذ بك من عين نوامة ونفس لوامة وبطن لا تشبع وكان ابن الجويرية رحمه الله تعالى يقول صحبت أقواما كابدوا الليل فما رأيت أحسن مكابدة من أبي حنيفة رضي الله عنه أقمت عنده ستة أشهر فما رأيته وضع جنبه الى الارض في ليلة من الليالي وكان ابن مقاتل رحمه الله يقول صلى أبو حنيفة رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة وفي رواية أربعين سنة وفي رواية سبعا وأربعين سنة وفي رواية خمسين سنة ولعل كل واحد أخبر عنه بما في زمنه وكان يوسف بن خالد رحمه الله تعالى يقول كان أبو حنيفة رضي الله عنه يحيي نصف الليل فقط فمر يوما على قوم فسمعهم يقولون هذا يحيي الليل كله وأشاروا اليه فقال أراني أوصف بما لا أفعل ثم قام الليل كله من ذلك الوقت حتى مات وكان أبو مطيع رحمه الله تعالى يقول لم يكن لابي حنيفة رضي الله عنه فراش في الليل انما كان يغفل وهو جالس غفلة يسيرة وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أورع من أبي حنيفة ولا أعبد منه رضي الله تعالى عنه وكان أبو مسهر رحمه الله تعالى لا يضع جنبه الى الارض لا ليلا ولا نهارا لدوام شهوده انه في حضرة ربه عز وجل وكانت وسادته ركبته فكان ينام لحظة يسيرة بين الظهر والعصر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ما منعني النوم الا خفت أن ينزل علي العذاب وأنا نائم ولو قدرت أن لا أنام ما نمت أبدا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو أدركت سبعين رجلا من أهل بدر رضي الله عنهم لو رأوكم لقالوا هؤلاء مجانين ولو رأوا ما فعله الناس اليوم لقالوا هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب أو ليس لهم في الآخرة من نصيب وكان أحدهم لا يخرج من بيته الا لوضوء وصلاة الجماعة في المسجد وكان المغيرة رحمه الله تعالى يقول لزمت مالك بن دينار رحمه الله تعالى ليلة فتوضأ بعد العشاء ثم قام يريد أن يصلي فقبض على لحيته وصار يبكي ويتضرع الى الفجر ولم يقدر يركع شيأ وقد كان أحدهم يحن الى الليل اذا أقبل ليخلو فيه بحضرة ربه عز وجل ويتكدر من النهار اذا أقبل خوفا من الناس أن يشغلوه عن عبادة ربه وكانوا قد بلغوا من العبادة الغاية القصوى بحيث لو قيل لاحدهم ان القيامة تقوم غدا لا يجد زيادة على ما هو فيه وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى كثيرا ما يصلي العشاء ثم يضطجع الى الصباح ويقول ان خوف النار لم يدعني هذه الليلة أنام ولا أصلي ولا أتكلم ثم يقوم

الكفايات التي لا قائم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان على ما دونه وتقديم ما يفوت مثل تقديم حق الوالدة على الوالد وتقديم نفقة الابوين على الحج وتقديم الجمعة اذا حضر وقتها على العيد وتقديم

الصلاة الصبح بوضوء العشاء وكان شداد بن أوس رحمه الله تعالى كأنه حبة قمح في مقلاة الى الصباح ويقول ان خوف النار منعني أن أنام أو أصلي أو أتكلم هذه الليلة (قلت) انما تخاف الأكابر من النار لما فيها من الحجاب عن الله تعالى لا لذاتها لانهم لا يخافون الا من الله تعالى وحده كما ان من أحب الجنة من الاكابر لم يحبها للنعيم الا كل ونحوه وانما أحبها لكونها دار المشاهدة لله تعالى والله أعلم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما كان أحدهم يصلي حتى يأتي الى فراشه زحفا وكان يحيي بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لو كانت العبادة طائرا لكان جناحاها الصوم والصلاة وكانوا لا ينامون في الشتاء الا فوق الاسطحة كانهم كانوا يلبسون رقاق الثياب حتى يبرد أحدهم فلا ينام وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك تقول ما أعلم ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله اغتسل من جنابة منذ ولي الخلافة وكان الاسود بن يزيد رحمه الله يصوم في شدة الحر حتى يصفر بدنه تارة ويخضر أخرى فقيل له الى كم تعذب هذا الجسد فقال انما أطلب راحته وكان مالك ابن دينار رحمه الله تعالى قد حفر في بيته قبرا فكان ينزله كل ليلة فيصلي فيه الى الصباح قال ولما أفضت الخلافة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان لا ينام ليلا ولا نهارا ويقول ان نمت في الليل ضيعت نفسي وان نمت في النهار ضيعت رعيتي وأنا مسؤل عنهم فانظر يا أخي الى حالك وتأمل قول بعض هؤلاء الجماعة الذين برزوا في هذا الزمان فأكلوا الحرام والشبهات ولبسوا الثياب الفاخرات وصار أحدهم أكثر ما يجري على لسانه فضل الله تعالى واسع يعني ان أكلنا الحرام لا ينقص لنا مقاما فاعلم يا أخي ذلك وناقش نفسك ان قبلت النصح والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة خوفهم من دخول الآفات في علمهم وعملهم وفي ارشادهم الامة الى ما فيه صلاح الدنيا والاخرى فلا تظن يا أخي أن أحدا منهم كان يحب التقدم في أمر من أمور الدنيا بل كان أحدهم يكره الفتيا ويقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المفتي يدخل فيما بين الله وبين عباده وقد كان عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله تعالى يقول أدركت مائة وعشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان منهم رضي الله تعالى عنهم محدث الا ويود ان أخاه كان كفاه الحديث ولا مفت الا ويود ان أخاه كان كفاه الفتيا وكان يزيد بن أبي حبيب رحمه الله تعالى يقول ان من فتنة العالم في دينه أن يكون الكلام أحب اليه من السكوت والاستماع وقد قيل للامام مالك رضي الله عنه ان فلانا كثير العبادة فقال نعم ولكنه يتكلم كلام شهر في جمعة وفي رواية في يوم وقد كان الشعبي رحمه الله تعالى يقول جهدنا كل الجهد في ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى أن يجلس للناس في المسجد ليحدثهم فابى وكان اذا دخل المسجد لا يستند الى سارية ولا الى جدار وكان الزهري رحمه الله تعالى مع وفور علمه لا يفتي ويقول من أفتى بغير وفور كان الامام معاقبته لان المفتي على شفير جهنم (قلت) ولذلك لم يتصدر غالب القوم للفتيا احتياطا لانفسهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول بذل الدنانير للناس أحب الي من بذل الحديث لهم وأهون على نفسي اه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان خفق النعال حول الرجال قل ما تثبت معه قلوب الحمقى من أمثالنا قال والتفت عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يوما فرأى الناس يمشون خلفه فقال والله لو رأيتم ما أصنع اذا أغلقت بابي من الغفلة عن الله تعالى واشتغالي بالعيال ما تبعني منكم أحد وقد نظر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أبي بن كعب رضي الله عنه والناس حوله فعلاه بالدرة وقال انها فتنة للمتبوع وذلة للتابع وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه اذا رأى الناس يمشون خلفه يقول هذا خير لكم وشر لي فان شئتم فارجعوا عني وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى اذا مشى خلفه أحد يقول والله لولا أتقي ألسنتكم ما حدثتكم فقيل له يا أبا محمد لعل الله أن ينفع بك وبعلمك الناس فقال هذا بعيد فاني اذا لم انتفع أنا بعلمي فكيف ينتفع به غيري وكان يقول من أحب انكم تجلسون اليه فلا تجالسوا اليه كما ان من أحب انكم تقومون له فلا تقوموا له وكان يحيي بن سعيد رحمه الله تعالى يقول لاصحابه اذا استحلى أحدكم الحديث فلا يحدث وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا أقواما كانت الكلمة من الحكمة تبدو لاحدهم فيكتمها خوف الشهرة ولو انه كان

الدين على فروض غيره وما أعظم العبد ان ينقذ ذلك ويشبهه ولكن الغرور في الترتيب دقيق خفي لا يقدر عليه الا العلماء الراسخون في العلم (الصنف الثالث) من المغرورين أرباب الأموال وهم فرق كثيرة

نطق بها النفعة ونفعت أصحابه وكان الناس اذا اجتمعوا يكره أحدهم أن يخرج أحسن ما عنده من الكلام
وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول ان لله تعالى عبادا أسكتتهم خشية الله تعالى وانهم لفصحاء
وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لا يجلس في الجامع الاجامع للدنيا وقد قال اسمعيل بن خلف لسفيان
الثوري رحمهما الله تعالى ومالي أراك انشط اذا حدثت الناس وتعلو صوتك واذا كنت لا تحدث أراك
كالميت فقال له يا أخي أما علمت ان الكلام فتنة والله ما جلس الي أكثر من ثلاثة أنفس الا وتنكرت على
نفسي وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول همة السفهاء الرواية وهمة العلماء الرعاية وكان ابراهيم
النخعي رحمه الله تعالى يكره القصص يعني الوعظ ويقول بلغنا أن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه دخل مسجد
الكوفة فرأى قاصا يقص على الناس فقال ما هذا قالوا شخص يحدث فقال هذا رجل يقول اعرفوني أنا فلان
وقد مر ابراهيم بن أدهم على حلقة الاوزاعي رحمهما الله تعالى فرأى ازدحاما كثيرا فقال لو كان هذا الازدحام
على أبي هريرة رضي الله عنه لعجز عنه فبلغ ذلك الاوزاعي فترك الجلوس من ذلك اليوم قال ولما قدم عيسى بن
يونس رحمه الله تعالى الى مكة فاحاط به الناس في المسجد الحرام وازدحموا عليه فمر به الفضيل بن عياض رحمه
الله تعالى فدنا منه وقال له يا أخي انظر الى قلبك فلعله تغير من كثرة الازدحام عليك فنظر عيسى الى نفسه ساعة ثم
قام فورا وترك المجلس من ذلك اليوم وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول ان استطعت أن تكون
عالما لا يعرفك الناس فافعل فان الناس لو عرفوا ما في نفسك لا كلوا الحمك وقد طلب الناس من سفيان بن
عيينة رحمه الله تعالى أن يجلس يحدثهم فأبى وقال ما أنا باهل أن أحدث ولا أنتم باهل أن تسمعوا وما مثلي
ومثلكم الا كما قال القائل افتضحوا فاصطلحوا وقد قيل لعلقمة رحمه الله تعالى ألا تجلس فتحدث الناس فتؤجر
على ذلك فقال أما يرضى المتكلم أن ينجو كفافا لا عليه ولا له قال ولما ترك بشر الحافي رحمه الله تعالى
الجلوس للحديث قالوا له ماذا تقول لربك يوم القيامة اذا قال لك لم تركت تحديث الناس باحاديث نبي محمد
صلى الله عليه وسلم فقال أقول يارب انك أمرتني فيه بالاخلاص ولم أجده من نفسي وقد كان سفيان الثوري
رحمه الله يحدث فكان اذا وجد الذي في نفسه من حسن كلامه وكبر حلقته مثلا قام فزعا مرعوبا وترك التحديث
وقال أخذنا والعياذ بالله تعالى ولم نشعر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول لا يخلو القاص من احدى
ثلاث اما أن يسمن قوله بما يهزل دينه واما أن يعجب بقوله واما أن يقول ما لا يفعل (قلت) وما قاله رحمه الله
تعالى محمول على الغالب والا فالعارف مطلوب منه أن يسمن قوله وأن يعجب به من حيث كونه شرعا لغيره
ويتهم نفسه بانه يقول ما لا يفعل اذ لا يخرج أحد عن اللوم ولو بالغ في الاخلاص في عمله وذلك محمول على
الخلاق وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله تعالى يقول كثير من الناس يعيش الناس بعلمهم ويهلكون في
نفوسهم يعني بالعجب ورؤية النفس وكان الحسن البصري رحمه الله يقول لا تكن ممن يجمع علم العلماء ويفعل
أفعال السفهاء وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كنت آتي أنس بن مالك رضي الله عنه أنا وثابت
البناني ويزيد الرقاشي نسمع منه الحديث فكان يقول لنا ما أشبهكم باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
يقول لو قستكم ولحاكم وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول مثل الذي يحمل العلم ولا يعمل به كمثل
الاعمى يحمل سراجا يستضيء به غيره وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول لو أن العلماء اذا لم يعملوا
بعلمهم قالوا للناس خذوا ما نعلمنا ولا تقتدوا بنا في ترك الاعمال الصالحة لنجوا كان ذلك خيرا ولكنهم لبسوا
على الناس وادعوا العمل فجروا الناس الى أعمالهم الخبيثة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول ان
كنتم علماء حكماء فلا تجعلوا اسماعكم غرابيل تمسك النخالة وترسل الطحين وكان أبو سليمان الداراني رحمه
الله تعالى يقول اذا ناظرت عالما فغضب فلا تخف منه فانه لم يبق له رأس مال من دين وقد كان عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما يقول لعلماء زمانه لقد أزريتم العلم وأذهبتم قدره ووالله لو رأى عمر يعني أباه أحدا مثلي وهو
يحدثكم لاوجعني وإياكم ضربا اه وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول ان لي نحو عشرين سنة ما رأيت
عالما يخلص في علمه انما صار العلم حرفة لمن ليس وكان شعبة رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا طلب

فرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر والصهاريج للماء وما يظهر للناس ويكتبون أسماءهم بالآجر عليه ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون انهم اسـ

الحديث خالصا الا هشام الدستوائى رحمه الله تعالى وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول قد رضى الله علماء زماننا هذا بالكلام وتركوا العمل وقد كان السلف رضى الله عنهم يعملون ولا يقولون ثم صار الذين بعدهم يعملون ويقولون ثم صار الذين بعدهم يقولون ولا يفعلون وسيأتى زمان أهله لا يقولون ولا يعملون وقد كان عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون القرآن عشر آيات عشر آيات فلا يتعلمون من عشر حتى يعملوا بها وقد قيل للشعبى رحمه الله تعالى مرة أفتنا أيها العالم فقال لا تقولوا لمثلى عالم فان العالم هو الذى تقطعت مفاصله من خشية الله تعالى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول العالم طبيب الدين والمال علة الدين فاذا جلب الطبيب الداء الى نفسه فكيف يطب غيره وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لن تهلك أمة الا من جهة علمائها السوء جلسوا على طريق الرحمن فقطعوا الطريق على عباد الله بأعمالهم الخبيثة اه وكان مالك بن مغول رحمه الله تعالى يقول سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس شر فقال العلماء اذا فسدوا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول من علامة من يطلب العلم لله تعالى أن يتخلق بالزهد والورع والخشية من الله ويحتمل الاذى من الناس وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول قد ذهب العلماء ولم يبق من علمهم الا عبرات فى أوعية سوء وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ان العالم اذا لم يكن زاهدا فهو عقوبة لاهل زمانه وفتنة وكان يقول يا أهل العلم قد صارت بيوتكم كسروية وأخلاقكم شيطانية فأين المحمدية وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول انى أخاف أن يقال لى يا عويمر ماذا صنعت فيما علمت وقد سئل الامام مالك رضى الله تعالى عنه عن الراسخين فى العلم من هم فقال هم العاملون به المتبعون لآثار من قبلهم وقد سئل مرة الشعبى رحمه الله تعالى عن مسئلة فقال لا أدرى فقالوا له ألا تستحى من قولك لا أدرى وأنت عالم العراق فقال ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام أكثر أدبا وعلما منا ولم تستحى من قولها سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول يكون فى آخر الزمان علماء يتغايرون على القرب من الامراء كتغاير الرجال على النساء أولئك شرار خلق الله سبحانه وتعالى وكان المعتمر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تقولوا ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبوا الشطرنج أو لبسوا المعصفر أو شربوا النبيذ المثلث فتكونوا فاسقين انما فعل أحدهم ذلك قبل بلوغ النهى فأين أنتم منهم وأنتم تفعلون ما يخالف كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من اكتفى بالكلام من العلم دون الزهد والفقه تزندق ومن اكتفى بالزهد دون الفقه والكلام تبدع ومن اكتفى بالفقه دون الزهد والكلام تفسق ومن جمع بينها تخلص اه وقد كان الامام الاوزاعى رحمه الله تعالى يتكلم بالكلام العارى من الاعراب ويقول اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع ولقد أعربنا فى الكلام ولحنا فى العمل وكان أبو حفص الحداد رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه الى متى تكتبون الكراريس والدواوين انما العلم آلة فاذا حضر العدو وأنت تجمع الآلة فمتى تقاتل وكان الامام مالك رضى الله عنه يقول اذا أحب العالم أن يعرف بالعلم فهو شر من ابليس (قلت) ولعل مراده رضى الله عنه أن يعرف لغير غرض شرعى وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول لعلماء زمانه كم من مذكر لله تعالى منكم وهو له ناس وكم من مخوف من الله تعالى منكم وهو جرئ على معاصيه وكم من مقرب الى الله تعالى وهو بعيد منه وكم من داع الى الله وهو فار منه وقد وقفت امرأة يوما على ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى تنظر اليه فقال لها هل لك حاجة فقالت لا غير انكم ترون أن النظر الى وجه العالم عبادة فما أنظر اليك لاجل ذلك قال فبكى ابراهيم حتى خنقته العبرة ثم قال ان هذه المرأة قد غلطت فى أن الذين كان النظر الى وجوههم عبادة قد صاروا الى المقابر بين أطباق الثرى منذ أربعين سنة مثل أحمد بن حنبل وخلف بن أيوب وشقيق البلخى واضرابهم رضى الله عنهم فسيرى الى مقابرهم وتأملى فيها وكان بشر بن الحرث رحمه الله تعالى يقول ما رأيت أحدا فى زماننا هذا أوتى العلم الا أكل بدينه ما عدا أربعة ابراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط رضى الله عنهم وكان سفيان الثورى رحمه الله

تعالى

الخطرة بذلك وقد افتروا فيه من وجهين أحدهما انهم اكتسبوها من الظلم والشبهات والرشا والجاهات المحظورة فهؤلاء قد تعرضوا لسخط الله فى كسبها فاذا عصوا الله فى كسبها فالواجب عليهم التوبة ورد الاموال

تعالى يقول من أبكاه علمه فهو العالم قال تعالى ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا وقال تعالى اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا اه فانظر يا أخى نفسك هل وفيت بحق علمك وعملك كما وفى هؤلاء أم أنت عنهم بمعزل وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الحط على أصحابهم اذا خالطوا الامراء وكثرة شكرهم لمن لم يصحبهم وكثرة اعتقادهم الفسق فى نفوسهم كلما كثر علمهم وذلك لعلمهم بعجز الانسان غالبا عن العمل بكل ما علم واذا لم يعمل الانسان بكل ما علم انسحب عليه اسم الفسق فيما لم يعمل به فان من العمل بالعلم البعد عن الامراء وعدم اتخاذ العلم شبكة يصطاد أحدهم بها الدنيا والمناصب وعدم الفرح بكبر حلقة درسه وعدم الالتذاذ بقول الناس فلان عالم عامل أو فلان أعلم أهل هذا البلد ونحو ذلك كما أن من عدم العمل بالعلم أن يفتتن من اضداد هذه الصفات وكان سيدى على الخواص رحمه الله تعالى يقول من علامة عدم العمل بالعلم محبة الصيت بالصلاح والاشتهار من قول الناس فلان محب فى الدنيا أو مراء بعلمه وعمله ونحو ذلك مما ذكرناه فى كتابنا البحر المورود فى المواثيق والعهود فعلم بذلك أن من فرح بما ذكرناه أو انقبض خاطره من ضده فهو لم يعمل بعلمه فليبك على نفسه وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أكثر منافقى أمتى قراؤها وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان فى بنى اسرائيل قراء فسقة وسيكون فى هذه الامة أمثالهم وكان سفيان الثورى رحمه الله يقول استعيذوا بالله من أمور تحدث فى القراء بعد مائتى سنة واعلموا أن من يدخل النار فسقا أخف ممن يدخلها تعبدا أو أخف ممن يدخلها تقربا وهو مراء بعلمه وعمله وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من دخل النار بالمعاصى الظاهرة أخف ممن دخلها بالرياء والسمعة وقد كان حبيب العجمى رحمه الله تعالى يقول ما كنا نظن أن نعيش الى زمان صار الشيطان يلعب بالقراء فيه كما يلعب الصبيان بالاكرة وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول كان فسقة الجاهلية أكثر حياء من قراء زماننا وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول والله انى لاخشى اذا قيل يوم القيامة أين القراء الفسقة أن يقال وهذا منهم نعوذه وقد قال رجل لحماد بن زيد رحمه الله تعالى أوصنى فقال له اياك أن تجعل اسمك مع القراء فى صحيفة وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول احذروا القراء واحذرونى معهم فانى لو خالفت أكثرهم ودّا لى فى رمانة فقلت هى حامضة وقال هو بل حلوة لا آمن أن يسعى فى قتلى عند سلطان جائر وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول أشتهى أن تكون دارى بعيدة عن القراء مالى ولقوم اذا رأونى فى نعمة حسدونى وان رأوا فى زلة هتكونى وقد كان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول اياك والقرب من القراء فانهم ربما حسدوك فرموك بالزور والبهتان وقبل ذلك منهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما أقبح قلة ورع العالم وما أقبح قول الناس ان العالم الفلانى قدم حاجبا لامير الفلانى أو بعل المرأة الفلانية وفى الحديث سيأتى على أمتى زمان يكون سماعكم باسم الرجل خيرا من أن تلقوه ولو لقيتموه خير لكم من أن تجربوه فانكم ان جربتموه أبغضتموه وأبغضتم عمله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول كيف تحمدون القراء مع غلظ رقابهم ورقة ثيابهم وأكلهم مخ الحنطة والله ان سف الرماد كثير على من يخشى الله ويتقه وكان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول لما مات سفيان الثورى رحمه الله قال الناس القراء معاشر القراء كلوا الآن الدنيا بالدين فقد مات الثورى أى لكونه كان أشد الناس حطا على القراء ولكثرة مناقشته لهم رحمه الله تعالى وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول لن تزال العلماء فى كنف الله تعالى ما لم يمل قراؤهم الى أمرائهم بالمحبة فاذا مالوا اليهم رفع الله تعالى يده عنهم وسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب وقذف فى قلوبهم الرعب وكان فرقد السنجى رحمه الله تعالى لم يزل يلبس الكساء فقال له الحسن البصرى رحمه الله تعالى أتحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك هذا انه قد ورد ان أكثر أهل النار أصحاب الاكسية وقد قيل مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى مالنا نراك تعرض عن الشاب القارئ الناسك فقال انما أعرض عنه لكثرة تحريى القراء وقد كان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه يقول انى لاكره

الى أهلها ان كانوا أحياء والى ورثتهم ان لم يبق منهم أحد وانقرضوا فان لم يبق لهم ورثة قالوا حسبنا عليهم أن يصرفوها الى أهم المصالح وربما يكون الاهم التفرقة على المساكين فأى فائدة فى بنيان يستغنى عنه

العالم أن يقرب من أبواب الامراء فانها من أعظم الفتن في دار الدنيا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كنا نتعلم اجتناب أبواب السلطان كما نتعلم السورة أو الآية من القرآن وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يغشى أبواب السلطان فهو لص وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول صحبة السلطان مخاطرة عظيمة فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك فالسلامة أن لا تعرفه ولا يعرفك قال ولما خالط الزهري رحمه الله تعالى السلطان قام عليه الزهاد وقالوا قد آنست وحشته وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من يأتي بالفرائض فقط ولا يدخل على السلطان خير ممن يصوم النهار ويقوم الليل ويجاهد ويحج ويدخل على السلطان وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم العالم يأتي القاضي لغير حاجة فلا تشهدوا فيه بالخير ولا تسلموا عليه وانهموه في دينه وكان الضحاك بن مزاحم رحمه الله يقول مكثت ليلة كاملة أتفكر في كلمة ترضي السلطان ولم تسخط الله تعالى فلم أجدها وكان الاصمعي رحمه الله تعالى يقول لشرار الامراء أبعدهم من العلماء وشرار العلماء أقربهم من الامراء اه وقد ذكرنا جملة من الاحاديث المحذرة من قرب الامراء في كتاب العهود المحمدية فراجعها وتأمل في نفسك هل أنت متخلق بالاخلاق الحسنة كما كان سلفك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اذا لم يكن لهم مال وكان اخوانهم يكسونهم وينفقون عليهم أن لا يكثروا من اعطاء الناس الثياب والطعام بل يحملون كلفتهم عن اخوانهم ما أمكن وذلك لانهم لا يدعون أحدا من يأمر لا جميعا وقد كنت سلكت هذا المسلك فتوبني عنه شيخي سيدي محمد بن عبد الله وشيخي سيدي نور الدين الشوني رحمه الله تعالى فقلت له يا سيدي فان أقسم على السائل بالله أو برسوله صلى الله عليه وسلم فقال لا تعطه وقل بدل ذلك جل الله العظيم أو صلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان القسم انما يستحب للعبد ابراره اذا كان له مال وأما من ينفق عليه الناس فلا يؤمر بابرار القسم الا بطريقه الشرعي كان لا يكون في اعطائه مانع أشد ضررا من ابرار القسم ولما علم اخواني اني أعطي السائل جوختي أو فروتي أو عمامتي ولا أتوقف صار أحدهم يوقف على ما يعطيه لي من الثياب وبعضهم يجعله عارية عندي وبعضهم يعلق طلاق زوجته على اعطاء ذلك لاحد بغير اذنه فلهذا العذر تجدني أشح في بعض الاوقات على السائل ولا أعطيه ولو انه كان سالي ما هو لي لم أشح عليه بحمد الله تعالى ولو كان جوختي الجديدة أو صوفي الجديد في أول يوم لبسته فاياك يا أخي والمبادرة الى سوء الظن باحد من أشياخ الطريق اذا دخل عليه عريان وسأله ثوبا من ثيابه مثلا فلم يعطه ويقول هذا خروج عن طريق الفقراء بل افحص قبل ذلك عن القضية فربما كان ذلك الشيخ له عذر مما قدمناه ولم يمنع ذلك السائل لشح عنده والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كتمانهم عن أهل عصرهم كل ما ينكرونه من الكرامات فان اظهارها لا فائدة فيه اللهم الا أن يترتب على ذلك مصلحة شرعية فلا حرج على الولي في اظهارها وفي حال كتابتي لهذا الموضع رأى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وأرسل الي السلام معه بامارة صحيحة وسأله الرائي عن مسئلة فاجابه صلى الله عليه وسلم عنها فلم يفهم الرجل الجواب فلما رآه صلى الله عليه وسلم قد توقف في فهمها قال له اذهب الى مصر واسأل عن الشعراني فانه يشرحها لك وكان ذلك الرجل في ناحية جرجه فسافر على اثر الرؤية الى مصر وسأل عني فاجتمع بي وقال لي لم يكن لي في مصر حاجة الا الاجتماع بك امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم ثم قال لي على المسئلة ففسرتها له بحمد الله تعالى وقد كنت ذكرت في هذا الكتاب أن من أخلاق القوم رضي الله عنهم انهم يصلون الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف وانهم يسمعون رده عليهم السلام حين يقولون في تشهدهم السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فتوقف في ذلك بعض أصحابنا من طلبة العلم وقالوا ما من كرامة الا وهي مروية من أحد ممن سبق ولم يصل الينا ان أحدا من الصحابة رضي الله عنهم ولا من التابعين أنه رد عليه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم من القبر الشريف بعد موته فلما وقع ذلك التوقف ولم أر أحدا يطلب الوصول الى هذا المقام بالمجاهدة

والرياضة .

و يموت و يتركه وانما غلب على هؤلاء الرياء والشهرة ولذة الذكر والوجه الثاني انهم يظنون بانفسهم الاخلاص وقصد الخير في الانفاق وعلو الابنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا على

والرياضة رفعت ذلك من الكتاب على انه ما من علم الا و يصح أن يخص منه أمر كما هو مقرر في علم الاصول الا ما استثنى شرعا وقد نقل العلامة ابن زهرة في تفسيره ان من الكرامات التي لم تورث ولم يقع مثلها لاحد قبل صاحبها اتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس وقال هذه كرامة لم تكن موروثة عن أحد قبله من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا غيرهم وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لا يحق لاحد قدم الولاية المحمدية حتى يجتمع برسول الله صلى الله عليه وسلم و بالخضر والياس عليهما السلام وقد درج الصادقون كلهم على ذلك فلا يقدح فيه انكار بعض المحجوبين عنه وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله تعالى يقول لاصحابه هل فيكم أحد اذا سلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع رده عليه باذنه فيقولون لا ليس فينا أحد يقع له ذلك فيقول ابكوا على قلوب محجوبة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم يقول والله لو احتجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة من ليل أو نهار لما عددت نفسي من المسلمين (قلت) ولكن بين الفقير و بين مقام الاخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماع صوته بالرد على من سلم عليه مائة ألف مقام وسبعة وأربعون ألف مقام وتسعمائة وتسعة وتسعون مقاما فمن ادعى ذلك طالبناه بهذه المقامات فاذا رأيناه لا يعرفها كذبناه في دعواه ذلك وقد ادعى هذا المقام جماعة من أهل العصر في حياة سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى فأمر بحضورهم الى عنده فلما رآهم قال لهم مقصدي أسمع منكم الكلام على بعض مقامات مما ذكرتم أن الله تعالى خصكم بها فلم يدر أحدهم ما يقول فزجرهم عند ذلك وأمر باخراجهم من حضرته فتابوا من أسوأ حال والعياذ بالله فاياك يا أخي ان تدعي شيأ من المقامات التي لم تصل اليها فتعاقب بحرمانها (قلت) وقد أخذ جماعة من أهل عصرنا بجانب عن هذا المقام بالكلية و جعلوا علو مقامهم بالاجتماع على الباشا والدفتردار وقاضي العسكر ونحوهم وصار أحدهم اذا كان في مجلس تراه يقول (قلت) للباشا قال لي الباشا قال لي الدفتردار ونحو ذلك ولكن على كل حال هم أخف ضررا ممن يقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا و كذا وهو غير صادق فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) ان لا يمكنوا أحدا ممن ينقاد لهم ان يلي القضاء أو شيأ من الامانات التي لا خلاص فيها غالبا الا ان تعين عليه ذلك بطريق شرعي لما ورد من التحذير من مثل ذلك وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا تكن في هذا الزمان اماما ولا مؤذنا ولا عريفا ولا تأخذ من أحد مالا لتفرقه على الفقراء وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول أول من يدعى للحساب يوم القيامة القضاة فلا ينجو منهم الا القليل وكل من ساعدهم فهو شريكهم في الشدة وقد استقضي هرم بن حيان رحمه الله تعالى مرة فأوقد حوله نارا فمنعت الناس أن يأتوه في ذلك اليوم حتى عزل نفسه قال ولما أكرهوا الامام أبا حنيفة رضي الله عنه على القضاء وحبسوه كانوا يخرجونه من السجن فيضربونه أياما ليدخل في أمرهم له بالقضاء فلم يفعل حتى انه بكى في بعض الايام كبكاء الاطفال ثم صار يقول كم من حق يسأله القاضي وكم من باطل يعقده وكان الحابس له ابن هبيرة الوزير وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول سمعت مناديا ينادي على جبل أبي قبيس أمان الله تعالى على كل أسود وأبيض ما عدا اثنين سفيان وفلانا الزنديق وكان مسروق رحمه الله يقول في قوله تعالى أكالون للسحت انها الهدية للقاضي ومن أراد ان لا تستعبده الولاة فليقنع بالخل والملح وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول صارت الولايات في هذا الزمان غالبها جور وظلم حتى لو أراد الشخص ان يعدل لا يقدر على العدل لعدم استحقاق الناس ذلك وقد ولي القضاء رجل من معارف الشيخ رحمه الله فلامه الشيخ على ذلك فقال له يا سيدي ما وليت ذلك الا لآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر فقال له الشيخ ان هذا من غرور ابليس لك فان من كان قبلكم من القضاة لم يصح لهم ذلك مع ان زمانهم كان قابلا للنصح وأما في هذا الزمان فقد صار الولاة يدعي أحدهم الولاية والصلاح و يقول نحن الاولياء لان الناس يحتاجون الينا ونحن لا نحتاج الى أحد منهم اه وقد سمعت أن بعض الولاة دخل الى شيخ من

مسكين لم تدع نفسه بذلك لا نحب المدح والثناء مستكن في باطنه (وفرقة أخرى) ربما اكتسبوا المال الحلال واجتنبوا الحرام وأنفقوه على المساجد وهم أيضا مغرورون من وجهين أحدهما الرياء

مشايخ العصر شفع عنده شفاعة فردها ولم يقبلها ثم جعل يقول انما يشفع عندنا هؤلاء المدعون الصلاح طلبا للشهرة لا لمصلحة ومحبة المشفوع فيه وتسول لاحدهم نفسه انه اذا شفع وقبلت شفاعته يصير الناس يقولون ما في مصر الآن الا فلان فانه هو الذي يحمل هموم المسلمين ويشفق عليهم فاذا اشتهر بذلك تسامع به الملوك والوزراء فقربوه اليهم والى الارزاق فهذا هو سبب ردي شفاعته وفي ذلك مصلحته خوفا عليه من الاعجاب الذي فيه هلاك دينه اهـ وقد رأيت بعض القضاة يبيع أمتعة دار في اليوم التي لا يأتيه فيه محصول كثير ويقول أخاف ان يعزلني من أنا تحت حكمه حتى صار فقيرا من أمتعة الدنيا وقد سمعت من بعض قضاة الارياف انه اذا لم يأته محصول في بعض الايام سلط على من يراه ذا مال الدعاوى الباطلة ليأتيه المحصول من ذلك فمثل هذا كيف يصح له أن يحق الحق ويبطل الباطل فالسلامة في هذا الزمان أن لا يتولى الانسان الولايات الا ان تعين عليه شرعا ويكون مكرها في ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة سؤالهم عن أحوال أصحابهم وذلك لاجل أن يواسوهم بما يحتاجون اليه من الطعام والثياب والنقود ووفاء الديون وتحمل الهموم لا مجاملة وهذا الخلق صار أهله غرباء في هذا الزمان فان الناس اليوم على خلاف ذلك وربما يقول أحدهم لصاحبه ايش حالكم فيقول طيب ويكتم أمره لعلمه بفراغ قلب صاحبه منه وان قوله ايش حالكم كلام يحكم العادة من غير غرض كما هو مشاهد بل وكثيرا ما يقول المار على أخيه ايش حالكم ولا ينتظر الجواب فلا السائل يتربص حتى ينتظر الجواب ولا المسؤول يكلف نفسه النطق بالجواب ومن هنا كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ان لم يكن أحدكم عازما على مواساة أخيه أو تحمل همومه أو الدعاء له والا فلا يقولن له ايش حالكم لانه يصير نفاقا وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا قلت لصاحبك كيف أصبحت وقال لك اني محتاج الى شيء لا هيت عنه ولم تعطه حاجته فقولك له كيف أصبحت سخرية به وهذا هو الغالب على اخوان هذا الزمان وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول انما كانوا يسأل بعضهم بعضا عن أحوالهم لينبهوا الغافل على شكر الله تعالى فيشكره فيحصل له ولهم الخير بذلك وفي الحديث ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم كيف أصبحت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أصبحت خيرا من اناس لم يعودوا مريضا ولم يشيعوا جنازة وقد قيل لابي بكر الصديق رضي الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت عبدا ذليلا لرب جليل أصبحت مأمورا بأمره وقيل للحسن البصري رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت حنيفا مسلما لا أشرك بالله شيئا وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت لا أدري أأنقلب الى جنة أو الى نار وقيل للامام الشافعي رضي الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت آكل رزق ربي ولا أقوم بشكره وقد قيل لعيسى عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال أصبحت لا أملك نفع ما أرجو ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأنا مرتهن بعملي والامر كله بيد غيري ولا فقير أفقر مني وقيل للربيع بن خثيم رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت ضعيفا مذنبا آكل رزق ربي وأعصي أمره وقيل لابي الدرداء رضي الله عنه كيف أصبحت فقال أصبحت بخير ان نجوت من النار وقيل لمالك بن دينار رحمه الله تعالى كيف أصبحت فقال أصبحت في عمر ينقص وذنوب تزيد وقيل لحامد اللفاف رحمه الله تعالى كيف أصبحت قال سالما معافى فقال له حاتم الاصم يا حامد السلام والعافية انما يكونان بعد مجاوزة الصراط ودخول الجنة فقال حامد صدقت فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الغفلة عن محاربة ابليس والتجسس على معرفة مكائده ومصائده وهذا الخلق قد أغفله اليوم غالب الناس فان ابليس كما لم يغفل عنا فينبغي لنا أن لا نغفل عنه فانه بالمرصاد حريص على وقوع العبد في سخط الله تعالى وفي الحديث ان ابليس يضع عرشه في البحر ويرسل سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس اهـ وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان ابليس لعنه الله قال يا رب أما ترى حب عبادك لك ومع ذلك يعصونك وكثرة بغضهم لي مع كثرة طاعتهم لي

وطلب السمعة والثناء فانه
وعما يكون في جواره
أو بلده فقراء وصرف المال
اليهم أهم فان المساجد
كثيرة والغرض منها الجامع
وحده يجزئ عن غيره
وليس الغرض بناء مسجد
في كل سكة وفي كل درب

فأوحى الله تعالى الى الملائكة انى قد غفرت لهم كثرة عصيانهم لى بمحبتهم لى وتجاوزت عن كثرة طاعتهم لابليس بكثرة بغضهم له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان ابليس اذا ظفر من ابن آدم باحدى ثلاث قال لا أطلب منه غيرها اعجابه بنفسه واستكثاره عمله ونسيانه ذنوبه وفى رواية باحدى أربع وهى زيادة الشبع وهو أعظمها فان الثلاثة تنشأ عنه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياكم أن تعادوا الشيطان فى العلانية ثم تطيعوه فى السر فان كل من بات عاصيا بات الشيطان لاجله عروسا وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يخلس الى المسجد فتمثل له الشيطان يوما فى صورة انسان يحمل له السراج بين يديه وكانت ليلة باردة مظلمة فأشرفت عليه امرأة من شباك لها فقالت ما أقسى قلب هذا الشاب يكلف هذا الشيخ أن يحمل له السراج فى مثل هذه الليلة فسمعها محمد بن واسع فقال لها دعيه يشقى أشقاه الله تعالى فعرف ابليس انه عرفه فأطفأ السراج وهرب وقد بلغنا أن ابليس لعنه الله دخل على الجنيد رحمه الله تعالى فى صورة انسان وعليه مرقعة وفى عنقه سبحة وفى وسطه منطقة على شكل خدام المشايخ وقال له ياسيدى انى أحببت أن أخدمك لعل أن تنالنى بركتك فمكث يخدمه ويوضيه نحو عشرين سنة فلم يجد له عليه طريقا يدخل اليه منها فى وقت من الاوقات فلما أراد الانصراف قال له أما تعرفنى فقال له الجنيد بلى قد عرفتك فى أول دخولك على وانك أبو مرة ابليس فقال له ابليس ما رأيت أحدا على قدرك ياأبا القاسم فقال له الجنيد اذهب عنى يا ملعون أردت أن لا تفارقنى الا بشئ تتلف به دينى وهو الاعجاب بحالى وقد كان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول كل يوم بعد الصبح اللهم انك سلطت علينا عدوا لنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين مغفرتك وجنتك انك على كل شئ قدير قال فتمثل له ابليس يوما وقال له يا محمد لا تعلم هذا الدعاء لاحد وأنا لا أعود أتعرض لك بسوء أبدا فقال له محمد والله لا أمنعه من أحد واصنع أنت ما شئت قال وقد تراءى يوما ابليس لعنه الله لعيسى عليه الصلاة والسلام وقال له يا روح الله قل لا اله الا الله فقال عيسى كلمة حق أقولها ولكن لا لقولك لا اله الا الله قال سيدى على الخواص رحمه الله تعالى أراد ابليس بذلك أن يكون عيسى تلميذا له فى كلمة التوحيد فلم يفعل عيسى عليه السلام ومنعته العصمة وكان كعب الاحبار رضى الله عنه يقول ذكر الله تعالى فى جنب الشيطان كالآكلة فى جنب ابن آدم وكان عبد العزيز بن أبى رواد رحمه الله تعالى يقول لقد حججت ستين حجة وعملت أعمالا كثيرة من القربات ومع ذلك فما حاسبت نفسى قط الا وجدت نصيب الشيطان من ذلك أقوى من نصيب ربى عز وجل فليتنى خرجت من الدنيا كفافا لا على ولا لى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اياكم وخوف الفقر فانه ليس للشيطان سلاح يقاتل به ابن آدم أشد من خوفه الفقر لانه اذا خاف الفقر أخذ من الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى وظن بربه سوء الظن فلقى كل سوء وقد كان الامام الشافعى رضى الله عنه يقول من نعم الله على انى ما فرقت من الفقر قط وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما قطع ظهر ابليس شئ مثل من أحسن عمله قال تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولم يقل أكثر عملا وكان رحمه الله تعالى يقول اذا بلغ العبد أربعين سنة ولم يتب من جميع المعاصى والذنوب مسح الشيطان بيده على جبهته وقال فديته وجها لا يفلح (قلت) ويؤيد ذلك ما رواه الطبرانى مرفوعا من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتبوأ مقعده من النار اهـ وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول ليس عندى شئ أقطع لظهر ابليس عند النكبة والعثرة مثل قول لا اله الا الله لانك اذا اعتصمت بها تراه لك وأعمال قول لعنته لعننا وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول ان ابليس له ثلثمائة وستون صكا فيها غروره ومكايده بنى آدم فلابد كل يوم ان يعرضها على قلوبهم واحدا بعد واحد وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول ليس لابليس كيد أعظم من رؤية العبد نفسه على انه اذا مات على ذلك ورؤيته سقط عليه لم ينفعه شئ من أعماله وقد كان ميمون ابن مهران رحمه الله تعالى يقول من أعظم الاعداء عدو لا تراه حتى تكيده وكان حبيب العجمى رحمه الله

والمساكين والفقراء محتاجون وانما حث عليهم دفع المال فى بناء المساجد لظهور ذلك بين الناس ولما يسمع من الثناء عليه من عند الخلق فيظن انه يعمل لله وهو يعمل لغير الله ونيته اعلم بذلك وانما يبنه

يقول لو أقامني الله عز وجل بين يديه وقال اتتي بسجدة واحدة لاحظ للنفس أو الشيطان فيها لادخلك بها الجنة لقلت له يارب لا أجد ذلك اه فتنبه يا أخي لنفسك واياك ان تظن ان ابليس انقطع عنك حين ترى توالي عبادتك بل انظر فيها وابحث كل البحث والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) مجانبتهم للامور التي فيها رائحة تكبر على الاخوان كعدم حضور جنائز أطفالهم أو خدمهم وأرقائهم وعدم عيادتهم اذا مرضوا وذلك لان الفقراء ما سادوا على الناس في الدارين الا بالذل وخفض الجناح ثم ان أحدهم اذا حضر الجنازة يكون حزينا نادما على ما فرط في جنب الله تعالى وفي الحديث كفى بالموت واعظا ولم يكن أحد منهم يذكر شيأ من حديث الدنيا في طريق الجنازة ولا يتكلم بالمباح فضلا عن المذموم وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان في الناس فأكثرهم لا يعتبر بحضور الجنائز وان قدر انه حضر صار يحكي بابل وربما حكى الحكايات المضحكة عند القبر وربما شاهدت ذلك من شيخ بعمامة صوف فالله تعالى يغفر لنا وله وقد كانوا يخرجون للجنائز في الثياب البذلة لانها شفاعة في الميت وكلما كان الى الذل أقرب كان الى قبول الشفاعة أقرب كما قالوا في الخروج للاستسقاء ورفع الوباء فينبغي اجتناب الثياب النفيسة لاسيما ان كانت معطرة فعلم ان كل فقير خرج الى الجنائز وهو لابس محاسن ثيابه بغير نية صالحة فهو بعيد عن أحوال القوم غافل عن تذكر الموت الحديث ومن أراد الآخرة ترك الدنيا وفي الحديث أيضا عودوا المريض واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة يعني واذا ذكرتم الآخرة زهدتم في ملاذ الدنيا اه وقد كانوا اذا حضروا جنازة يستغرقون في التفكر في ذكر الموت وأحوال الناس في القبور حتى يظل أحدهم محزونا الايام المتوالية يعرفون ذلك الحزن في وجهه وقد كان يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى اذا شيع جنازة يرجعون به في النعش لا يستطيع المشي ولا الركوب ويمكث الايام لا يقدر أحد أن يكلمه من شدة خوفه وقد كان أهل الزمن الاول يستحبون خفض الصوت عند الجنازة ويزجرون من يرفع صوته ويقولون له ما أنت الا جبار أما في رؤية تلك الموتى موعظة (قلت) وانما سكت العلماء عن رفع الصوت بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى علوا كثرة لغط الناس في الجنائز فرأوا ان ذكر الله تعالى أولى من حديث الدنيا من باب ظلم دون ظلم والله تعالى أعلم وقد رأى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه رجلا يضحك في جنازة فزجره ثم هجره أياما قال ورأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يأكل في المقبرة فزجره وقال له انه منافق وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول كنا نحضر الجنائز فلا ندري من نعزي من شدة عموم الحزن القوم وبكائهم وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول مداوات القلب بحضور الجنائز فريضة وكان ابراهيم الزيات رحمه الله تعالى اذا رأى أحدا يبكي في الجنازة يقول له ابك على نفسك يا أخي وترحم عليها فان هذا الميت قد نجا من ثلاث رأى ملك الموت عليه السلام وذاق حرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة فلا طك أنت اه وسيأتي أيضا زيادة على ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تنزيل الناس منازلهم في الايمان والنفاق فالمنافق عندهم مقام دون مقام المؤمن السالم من النفاق فان قيل فبم يعرف المنافق فالجواب انه معروف بالعلامات التي أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو قوله علامة المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وفي رواية أربع فزاد واذا خاصم فجر ونحو قوله صلى الله عليه وسلم ان للمنافقين علامات يعرفون بها لا يأتون المساجد الا هجرا ولا يشهدون الصلاة الا دبرا ولا يألفون ولا يؤلفون مستكبرين جيفة بالليل بطالون بالنهار ونحو ذلك من الاحاديث الواردة اه وكان الاوزاعي رحمه الله تعالى يقول علامة المنافق ان يكون كثير الكلام قليل العمل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من علامة المنافق ان يحب المدح بما ليس فيه ويكره الذم بما فيه ويبغض من يبصره بعيوبه ويفرح اذا سمع بعيب أحد من أقرانه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من أراد ان ينظر الى رجل منافق فلينظر الي فقيل له وكيف ذلك قال لاني كثيرا ما أعد المائة خصلة من خصال الخير فلا أجد واحدة منهن في وأعد خصال السوء

عليه غضب وقال انما قصدت الله عز وجل والثاني انه يصرف ذلك في زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش المنهي عنها الشاغلة قلوب المصلين لانهم ينظرون اليها فتشغلهم عن الخشوع في الصلاة وعن حضور

فأجدها كما هي فيا ويحي من فضيحة يوم القيامة وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا ذكر الصالحون كنا منهم بمعزل واذا ذكر الطالحون كنا في جوف المنزل وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من علامة المنافق ان يغبار رق غدو براحم غيره على الدنيا ويحب ان ينفرد بالصيت وفي رواية من علامة المنافق ان يحسد الناس ويكون في قلبه الحقد والضغائن لمن آذاه أو زاد عليه في الجاه اهـ فانظر يا أخي في نفسك وفتشها ونقها من النفاق والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اجتناب الشبع الموجب لقساوة القلب وذلك حتى يخشعوا في صلاتهم فان من شبع وطلب الخشوع في صلاته فقد أخطأ الطريق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوي الايام والليالي ويشد على بطنه الشريف الحجر من الجوع وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى يسمع لجوفه أزيز في الصلاة كأزيز المرجل على النار كما ورد وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول ركعتان مع تفكر وتدبر خير من قيام ليلة كاملة والقلب ساه عن ربه عز وجل (قلت) ومراده رضي الله عنه بالتفكر هنا تفكر العبد في الآداب المتعلقة بالصلاة وبحضرة الله عز وجل وليس مراده التفكر في استنباط الاحكام كما يتوهم فان الصلاة ليست بمحل لذلك ولذلك صرح بعض العلماء رضي الله عنهم بكراهيته وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا قام الى الصلاة كأنه ثوب ملقى وكان اذا سمع أهله يقولون لا تتكلموا فان عبد الله يصلي يقول لهم تحدثوا ما شئتم فاني لست أسمع حديثكم وأنا في الصلاة وكان الحكم بن عيينة رحمه الله يقول من تلفت عن يمينه وعن شماله فلا صلاة له وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه من ميلين وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول لمن لم يحضر في صلاته فهو من المطففين وقد علمتم ما قال الله فيهم فان الصلاة مكيال من وفى وفي له وقد بلغنا ان يعقوب القاري رحمه الله سرق رداؤه من على كتفه وهو في الصلاة فأخذه الناس من اللص وزجروه وطردوه ثم وضعوا الرداء على عنق يعقوب كل ذلك وهو لا يشعر (قلت) وكذلك وقع في عصرنا للسيد محمد بن عنان رحمه الله تعالى وهو يصلي في جامع الغمراوي سرق رداؤه من على عنقه وأخذ من اللص وضرب وطرد ووقعت ضجة عظيمة كل ذلك وهو لا يشعر وهو آخر من أدركناهم من أهل الخشوع رضي الله عنه وكان سعيد التنوخي رحمه الله تعالى اذا وقف يصلي سالت دموعه كالمطر وقد دخل عود في عين رابعة العدوية رحمة الله عليها وهي تصلي فما شعرت به حتى سلمت من الصلاة فقالت انظر واهذه الخشونة التي في عيني فانتزعوا العود من عينها الا بشقة من شدة ما ارتشق وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا العلماء وأحدهم كان اذا قام الى الصلاة هاب الرحمن حتى لا يقدر يشد بصره الى شيء أو يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا وقد انهدم الجامع مرة ومسلم بن يسار رحمه الله يصلي فيه فخرج كل من في المسجد الى السوق ووقعت ضجة كبيرة ومسلم لم يشعر وقد كان الذباب لم يزل يأكل في عين خلف بن أيوب رحمه الله تعالى وهو يصلي فلا يطرده عن نفسه فقيل له يوما في ذلك فقال بلغني ان الفساق يتصبرون تحت سياط الحاكم اذا ضرب ويقال فلان صبور ويفتخرون بذلك وأنا قائم بين يدي رب العزة سبحانه فكيف أتحرك لذباب وكان سميط بن عجلان رحمه الله تعالى يقول كيف يدعي أحدكم الحضور مع الله تعالى في صلاته وهو يحس بقرصة البرغوث اذا قرصه والله لقد طعن أحدهم بالسنان وما درى حتى ساحت نفسه من خروج الدم ووقع على الارض وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا حضر وقت الصلاة يصير يتغير ويتلون ويرتعد فاذا قيل له في ذلك يقول أما تعلمون انه وقت امانة عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وقد حملتها أنا فلا أدري هل أحسنت حملها أم لا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لا تصلوا خلف محب الدنيا وقد كان السلف اذا بلغهم ان أحدا التفت في صلاته يذهبون اليه ولو في دار مع يسألونه عن سبب ذلك لما كان عندهم رضي الله عنهم من معرفة عظمة الله تعالى وقد صلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى خلف امام مرة فسمعه يلحن فقال له لولا فضل الجماعة ما صليت خلفك لم لا تقرأ العربية على العلماء وكان الفضل بن عباس رضي الله عنهما يقول عجبت من هؤلاء

القلب وهو المقصود من الصلاة فكل ما طرأ في صلاتهم وفي غير صلاتهم فهو في ميزان الذي بناه اذ لا يعلى تزيين المسجد بوجه قال الحسن رضي الله عنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبني مسجده

الناس أراهم اذا مات لي ولد يعزيني فيه أكثر من ألف انسان وتفوتني صلاة الجماعة فلا يعزيني في ذلك أحد والله ان فوات صلاة الجماعة عندي أعظم من موت ولدي البالغ العاقل العالم الصالح وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول لأصحابه اني أشتهي من الدنيا شيئين الاول أخاً صالحاً ألقى الله تعالى به ومتى اذا تعوجت والثاني ان لا تفوتني صلاة الجماعة أبداً ما عشت وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول لأصحابه اعلموا ان الشيطان لعنه الله تعالى لا يغفل عن ابن آدم الا بشيئين الاول عدم الاكتراث بوسوسته والثاني عدم التفكر في ذات الله سبحانه وتعالى اهـ فانظر يا أخي في نفسك وتأمل حالك هل خشعت في صلاتك كما خشع هؤلاء القوم رضي الله عنهم في وقت من الاوقات أم أنت بالضد من ذلك وأكثر من الاستغفار ليلا ونهارا والحمد لله رب العالمين

(الباب الثالث في جملة أخرى من الاخلاق)

(فمن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة خوفهم من سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى ولو كان أحدهم على عبادة الثقلين وذلك لان الله تعالى يفعل ما يشاء وليس مع أحد من الخلق علم بخاتمته على وجه الجزم انما غاية أمر أحدهم حسن الظن بربه عز وجل في الحالة الراهنة فقط وليس معه علم بدوام الشهادتين معه حتى تطلع روحه عليها وقد ورد في الحديث ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وكان حبيب العجمي رحمه الله تعالى يقول ان من ختم له بقول لا اله الا الله دخل الجنة ثم يبكي ويقول من لي بان يختم لي بقول لا اله الا الله وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول دخلنا على رجل بالاهواز وهو في النزع فكنا نقول له قل لا اله الا الله فيقول ده يازده مشترى طيب قطعة مليحة أي لان ذلك كان الغالب عليه في حال الصحة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان رجلا يخرج من النار بعد ألف سنة ثم يقول ليتني كنت ذلك الرجل لانه مقطوع له بالخروج من النار اهـ فاياك يا أخي من ان تسامح نفسك في الاشتغال بامور الدنيا الا بقدر الضرورة الشرعية فربما أتاك الموت على غفلة فتخسر الدارين والعياذ بالله تعالى فاعلم ذلك يا أخي وتأمله والله يتولى هداك

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم مبادرتهم بالدعاء بالشفاء اذا دخلوا على مريض بل كان أحدهم يتربص حتى يعلم سبب مرض هذا المريض وانتهاءه ثم يدعو بعد ذلك فان المرض ربما كان رفع درجات فلا ينبغي الدعاء برفعه وكذلك القول فيما اذا كان عقوبة فالاولى ان يصبر العابد حتى تبلغ العقوبة حدها أدبا مع الله تعالى وان كان أحدهم له حال مع الله تعالى فله أن يسأل الشفاء من باب الفضل والمنة فاعلم ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) محبتهم في سكنى البيوت الملاصقة للمسجد ليسهل عليهم الجلوس في المسجد في أغلب أوقاتهم اذا علموا بآداب المساجد وذلك لما ورد مرفوعا المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته ضمن الله له الروح والراحة والجواز على الصراط وكان أبو صادق الازدي رحمه الله تعالى يقول الزموا الجلوس في المساجد فانه بلغني انها كانت مجالس الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكان حكم بن عمير رضي الله عنه يقول اتخذوا المساجد بيوتا وكان أبو ادريس الخولاني رحمه الله تعالى يقول المساجد بيوت الكرام على الله تعالى من الناس ومحل جلوسهم فقد ورد المسجد بيت كل تقي وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام ينهى من لم يعرف أدب المساجد ان يكثر الجلوس فيها وقد رأى عليه السلام مرة قوما يلغون في المسجد فلف رداءه وضربهم به وأخرجهم منه وقال اتخذتم بيوت الله أسواقا الدنيا وانما هي أسواق الآخرة وقد كان المسجد بيت عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى مدة أربعين سنة وكان مالك ابن دينار رحمه الله تعالى يقول لولا البول ما خرجت من المسجد في ليل ولا نهار فقد بلغني ان الله عز وجل يقول اني لأهم بعذاب عبادي فانظر الى عمار المساجد وقراء القرآن وولدان الاسلام فيسكن غضبي

بالمدينة أتاه جبريل وقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء فلا تزخرفه ولا تنقشه فهؤلاء رأوا المنكر معروفا واتكلوا عليه فهم مغرور ونحو ذلك (وفرقة أخرى) ينفقون الاموال في الصدقات على الفقراء

وكان خلف بن أيوب رحمه الله تعالى يوما جالسا في المسجد فأتاه غلامه فسأله عن شيء من حوائج الدنيا فقام حتى خرج من المسجد وأجابه ثم رجع وقال كرهت أن أتكلم بكلام الدنيا في المسجد وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا سمع صوتا عاليا في المسجد يضرب صاحبه بالدرة ويقول له تدري أين أنت فان من جلس في المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وقد سئل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى أيما أحب اليك حضور الصلاة على الجنازة أم الجلوس في المسجد فقال الجلوس في المسجد أحب الي لان الملائكة عليهم الصلاة والسلام تستغفر لي ما دمت في المسجد وذلك أفضل من حصول القيراط أو القيراطين أو الثلاثة من الاجر الذي ورد لمن صلى على جنازة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم لا يكلم بعضهم بعضا ما داموا جالسين في المسجد في شيء من أمور الدنيا اه فتأمل يا أخي ماذكرته لك ولا تتكلم ما دمت في المسجد الا بنية صالحة تسلم وتغنم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) معاتبة من انقطع عن زيارتهم من اخوانهم من حيث حرمانه من الثواب العائد نفعه عليه لا من حيث الاخلال بحقوقهم كما قد يتوهم ذلك بقطع النظر عن عود فائدة ذلك عليهم وذلك حتى يكون أحدهم ممن يسعى في مصالح اخوانه لا في مصالح نفسه فقط وهذا خلق ما رأيته فاعلا من أقراني الا القليل جدا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اجتناب الجلوس في السوق لبيع أو شراء الا بعد معرفة أحكام الشرع في المعاملات وغلبة ظنهم ان أحدهم لا يشتغل بذلك عن أعمال آخرته لان كل ما يشغل عن الله فهو مشؤم على صاحبه في الدنيا والآخرة وقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل السوق قال اللهم اني أسألك من خير هذه السوق وأعوذ بك من الكفر والفسوق وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول اياكم ومجالسة السوقة فانها تلهي وتلغي وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا تنظروا الى ظاهر ثياب التجار والسوقة فان تحتها ذئابا كاسرة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول السوق مكثرة المال مفسدة للدين وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اياكم ومجالسة الاغنياء وقراء الامراء والسوقة وكان ابن السماك رحمه الله اذا دخل الى السوق يقول يا أهل السوق سوقكم كاسد وخياركم حاسد وبيعكم فاسد فاستقيلوا لانفسكم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول ما افتقر تاجر قط الا بوقوعه في شيء من هذه الخصال وهي اللغو والكذب والحلف والغل والخيانة والحسد وتفويت صلاة الجماعة ومجالس العلم واتباع الشهوات الدنيوية وقد كان الامام مالك رضي الله عنه يأمر الامراء يجمعون التجار والسوقة ويعرضونهم عليه فاذا وجد أحدا منهم لا يفقه أحكام المعاملات ولا يعرف الحلال من الحرام أقامه من السوق وقال له تعلم أحكام البيع والشراء ثم اجلس في السوق فان من لم يكن فقيها أكل الربا شاء أم أبى وكان قتادة رحمه الله يقول عجبا للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف وبالليل يحسب وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول نعم التاجر الذي تكون الدنيا عليه ساخطة والآخرة عنه راضية فقد بلغني ان ابليس لعنه الله قال يا رب أين أجعل بيتي قال الحمام قال فما مصائدي قال النساء قال فمن أميري قال الشعر قال فاين أجعل مجلسي قال الاسواق اه فانظر يا أخي في ذلك ولا تمدح تاجرا حتى تراه يسلم من الآفات والشبهات والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الحلم على من جنى عليهم وكظم الغيظ عملا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يغضب لنفسه وانما يغضب اذا انتهكت حرمات الله عز وجل كما يأتي وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول أول مجازاة من حلم على من جنى عليه ان يصير الناس كلهم أنصاره وقد قال ابليس لعنه الله ليحيى عليه الصلاة والسلام أعظم مصائدي الغضب فبه أسرت الناس وعوقتهم عن طريق الجنة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى اذا قيل له ان فلانا يقع في عرضك يقول والله لاغيظن من أمره يعني ابليس ثم يقول اللهم ان كان صادقا فاغفر لي وان كان كاذبا فاغفر له

والمساكين ويطلبون به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر وافشاء المعروف فيكرهون التصدق في السر يرون اخفاء الفقير لما يأخذه منهم خيانة عليهم وكفرانا للمعروف ور بما ذكروا

وقد قال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه أنت أبو هريرة قال نعم فقال أنت سارق الهرة فقال أبو هريرة اللهم اغفر لي ولأخي هذا ثم قال هكذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نستغفر لمن ظلمنا وقال رجل لأبي ذر رضي الله عنه أنت الذي نفاك معاوية إلى الشام لو كان فيك خير ما نفاك فقال أبو ذر يا أخي إن بين يدي عقبة سوداء فلو نجوت منها لم يضرني ما قلت في وإن لم أنج منها فأنا شر مما قلت وقد قالت امرأة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يا مرائي فقال لها يا هذه لقد عرفت لقبي الذي أضله أهل البصرة ولم يعرفوه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من احتمل كلمة سفه كتب له عشر حسنات وقد كان علي رضي الله عنه يقول إذا سمعت كلمة سفه فأعرض ولا تجب عنها فإن لها عند قائلها إخوان يجيبك بها وكان محمد بن كعب القرظي رحمه الله تعالى يقول لا تغضبوا على كسر أوانيكم فإن لها آجالا كآجالكم وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ليس بحليم من نفذ غضبه في حمار أو هرة وكان يقول أشد ما على السفيه الإعراض عن جوابه وإظهار عدم التأثير له وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا شتمه أحد يقول له يا أخي إن كان قولك صدقا فيجازيك الله بصدقك وإن كان كذبا فالله أشد نقمة مني لك وقد لطمه إنسان مرة على وجهه رضي الله عنه فلم يتغير بل قال من قدر هذا فقيل له الله تعالى قدره فقال أفترون أني أرد قضاء الله وكان ابن المقنع رحمه الله تعالى يقول كظم الغيظ أولى من ذل الاعتذار وقيل له مرة ما الفرق بين الحزن والغضب فقال الحزن يكون من مخالفة من هو فوقك لهواك والغضب يكون من مخالفة من هو دونك لهواك وقد كان أبو معاوية الأسود رحمه الله يدعو لمن نال منه قال وشتم رجل بكر بن عبد الله المزني رحمه الله وبالغ في شتمه وهو ساكت فقيل له ألا تشتمه كما شتمك فقال إني لا أعرف له شيئا من المساوي حتى أشتمه به ولا يحل لي أن أرميه بالكذب وكان الأعمش رحمه الله تعالى يقول قالت الأذن لولا خوفي أن أنصر وأتجسم بالجواب لطالت كما طال اللسان وقال رجل لثور بن يزيد رحمه الله يا قدري يا رافضي فقال له إن كنت كما قلت لي فأنا رجل سوء وإن كنت على خلاف ذلك فأنت في حل مني وقد كان مكحول الدمشقي رحمه الله تعالى يقول لا يبين حلم الرجل إلا بتسليط الجاهلين عليه وقد قال رجل مرة لسالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم يا شيخ السوء فقال له سالم ما أراك أبعدت يا أخي وروي أن لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني إن أردت أن تواخي أحدا فأغضبه فإن أنصفك وهو مغضب فواخه وإلا فاحذره وقد سئل السري السقطي رحمه الله تعالى مرة عن الحلم ما هو فقال للسائل أي حلم تريد فإن الحلم على خمسة أقسام الأول حلم غريزي وهو هبة من الله تعالى للعبد به يعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه ويصل به رحمه وإن قطعت الثاني حلم تحالم وهو أن يكظم العبد غيظه رجاء الثواب وفي القلب كراهة الثالث حلم مذموم وهو حلم العبد على من جنى عليه رياء وسمعة يعني يرائي به جلساءه وهو حاقد ماكث الرابع حلم كبر وهو أن الشخص لا يراه أهلا بأن يجاوبه الخامس حلم مهانة ومذلة اه فاعلم ذلك فإنه نفيس والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) الاتعاظ بما يرونه لبعضهم في المنام أو يرى لهم وعدم قولهم هذا أضغاث أحلام كما عليه بعض المتصوفة من أهل هذا الزمان فلا يلتفتون لمثل ذلك وربما يقول بعضهم إن المنام إنما هو للرائي لا للمرئي له وذلك من الجهل فإن الرؤيا وحي المؤمن يأتيه بها ملك الإلهام في المنام ليعرفه بما جهل من حاله في اليقظة وقد بينت في غير هذا الكتاب عملي بذلك من حيث التجربة فينبهني الله تعالى بذلك على صورة ما وقعت فيه من النقائص من حيث لا أشعر أما ما أشعر به فلا أحتاج فيه إلى منام بل أكتفي فيه بنهي الشارع صلى الله عليه وسلم وما توعدني على ذلك النقص من العقوبة وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول رأيت مسلم بن يسار رحمه الله تعالى في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال لي والله لقد رأيت أهوالا وزلازل شدادا وكان إبراهيم التيمي رحمه الله تعالى يقول رأيت موسى ابن مهران في المنام بعد موته رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال إني أحاسب منذ مت على أكل من

جيرانهم جائعين ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون لهم السفر ويبسط لهم في الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره

طعام

طعام الامراء وقال بعضهم رأيت الحسن بن ذكوان في المنام بعد موته بسنة رحمه الله تعالى فقلت له ما فعل الله بك فقال انا محبوس من جهة ابرة استعرتها ولم أردها فقلت له يا أخي أي القبور أكثر اضاءة قال قبور أهل المصائب في الدنيا وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول ربما يرى بعضهم الرؤيا السوء للرجل الصالح ليزداد بها نشاطا وربما يرى بعضهم الرؤيا الصالحة للرجل السوء ليزداد بها استدراجا كما قال بعضهم للربيع بن خيثم رحمه الله تعالى انى رأيتك في المنام كأنك من أهل النار قال فكان الربيع بعدها لا ينام الليل مطلقا ويقول خوف النار قد منعني النوم وقال رجل للعلاء بن زياد رحمه الله تعالى انى قد رأيتك البارحة وأنت تخطر في الجنة فقال له اما وجد ابليس أحدا يسخر به غيري ولا أحدا أحقر في عينه منك حتى يعمل رسوله وكان فرقد السبخي رحمه الله تعالى يقول خطر في نفسي مرة انى قد صرت من الصابرين فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لى لا تكن من الصابرين حتى تستقل أعمالك في عينك وتخاف عليها من الرد والفساد وقال محمد بن مالك بن دينار رحمهما الله تعالى رأيت كأن قائلا من جهة السماء يقول يا أهل الارض الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل الا محمد بن واسع قال النفر مالك مغشيا عليه وقال فرقد السبخي رحمه الله تعالى سمعت مناديا ينادي من جهة السماء ويقول يا أشباه اليهود ان أعطيتم لم تشكروا وان ابتليتم لم تصبروا ومع ذلك تزعمون انكم من الصالحين فبكوا على جفونكم من سطوات ربكم وقد رأى بعض أصحاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أن القيامة قد قامت ونادى المنادي أين فلان ابن فلان فصار الناس يحاسبون ثم يذهب بهم الى النار ثم نادى المنادي أين عمر بن عبد العزيز فأتى به فحوسب ثم نجا وأمر به الى الجنة قال فلما قص الرائي هذه الرؤيا على عمر ووصل الى قوله أين عمر خر عمر مغشيا عليه فصار الرجل يناديه في أذنه ويقول رأيتك والله قد نجوت وعمر لا يعي ما يقول اه ففتش يا أخي نفسك فأنت أعرف بها من غيرك ولا تركن الى قول بعضهم انى رأيتك البارحة في الجنة مثلا الا بعد عرض أفعالك وأقوالك وعقائدك على الكتاب والسنة فاعلم ذلك يا أخي ولا تكن مغرورا والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) أن لا يبادروا بالدعاء لمن سألهم أن يدعوا له الا ان علم أحدهم أن الله تعالى راض عنه وذلك بعرض أعماله على الكتاب والسنة فان رأى فيها مخالفة فمن الادب أن يسأل الله تعالى العفو عن نفسه ثم بعد ذلك يدعو لمن يشاء وهذا الخلق قد أغفله غالب الفقراء اليوم وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول الدعاء حقيقة هو ترك الذنوب فمن تركها فعل الله تعالى به ما يختار من غير سؤال وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول رأيت في بعض الكتب الالهية يقول الله عز وجل كيف تدعوني وقلوبكم معرضة عني وقد أوحى الله تعالى الى عيسى عليه الصلاة والسلام أن قل لبني اسرائيل لا يدخلوا بيتا من بيوتي الا بقلوب طاهرة ونفوس وجلة وأبصار خاشعة وجوارح مطهرة من الفواحش فمن دخل بيتي وهو متلطخ بشيء من الذنوب لعنته واعلمهم انى لا أجيب لاحد منهم دعوة ولاحد من الخلق عليه مظلمة أو في بطنه لقمة من حرام وكان ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول دعاء الرجل في خلوته أفضل من دعائه في مجالس القصاص وقال رجل لزياد بن ظبيان رحمه الله تعالى كثر الله في المسلمين من أمثالك فقال له لقد سألت الله شططا وسألت للناس أن يكونوا من أهل النار وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أطال الله بقاءك فقال هذا أمر قد فرغ منه ادع لى بصلاح الحال (قلت) فينبغي للداعي لاخيه بطول البقاء أن ينوي في نفسه ان كان ذلك خيرا له نظير ما روي فيمن خاف الفتنة والا فقد يكون طول البقاء شرا له لما يقع فيه من المعاصي والمخالفات ونحو ذلك والله أعلم وقال رجل لعامر بن قيس رحمه الله تعالى ادع الله لى فقال والله انى لاستحي منه عز وجل أن اسأله شيئا يسرني فكيف أسأل لغيري وبعثك انه سالشفاعة ولا تكون الا من المقربين (قلت) وبالجملة فكل شيخ تصدر في هذا الزمان فينبغي له ان لا يبادر بالشفاعة في غيره الا ان علم أن الله تعالى عفا عنه وان لا يكون في بطنه لقمة من شبهة فان دعا

ماسو رالى جنبه فلا واسيه ولا يتفقده (وفرقة أخرى) من أرباب الاموال يعطلون الاموال ويمسكونها بحكم البخل ويشتغلون بالعبادة البدنية التي لا يحتاجون فيها الى النفقة كصيام النهار وقيام الليل

لاحد وليس هو بسالم من ذلك فليسال وهو في غاية الحيلة والجهل من الله تعالى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) زيادة الخوف من الله تعالى كلما أحسن اليهم وقربهم الى حضرته كما عليه أهل مجالسة الملوك ولله المثل الاعلى وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم كلما ازداد نعمة من الله وقربا كلما ازداد خوفا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يكفي العامة من الخوف أن يتهموا اعمالهم اتهاما الله تعالى عنه ثم يقول ياليتني كنت منهم وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى لا يجلس دائما الا مستوفزا على قدميه فاذا قيل له في ذلك يقول انما يجلس مطمئنا من أمن من عذاب الله عز وجل وأنا والله غير آمن في ليل أو نهار من أن تنزل على نار من السماء تحرقني وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لقد رحم الله تعالى الخلق بالغفلة في بعض الاوقات ولولا ذلك لماتوا كلهم من خشية الله تعالى وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى اذا ثارت ريح بصيحة يقوم ويقعد ويخرج ويدخل ويأخذ بجلدة بطنه كأنه امرأة أخذها الطلق وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول اذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب كما عليه الحق من أمثالنا وقد كان الشعبي رحمه الله تعالى يقول لتخف من الله تعالى حتى يأتيك الامن فانه أحب الي من رجائك فيه حتى يأتيك الخوف وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول والله اني لاخاف أن أكون أول من يسحب على وجهه يوم القيامة الى النار وقد غلب الخوف على سفيان الثوري رحمه الله تعالى حتى صار يبول الدم فاتوه بطبيب يهودي فلما جس بطنه قال ما أظن في الحنيفية مثل هذا وصار اليهودي يبكي ويقول ان هذا الرجل قد قطع الخوف من الله تعالى كبده وليس لي فيه حيلة وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى يقول لو أوقدت نار وقيل كل من ألقى نفسه فيها صار لا شيء ولم يدخل النار الكبرى لالقيت نفسي فيها وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لو أوقفوني بين الجنة والنار وخيروني بين أن أصير رمادا أو بين أن أصير حتى أعرف أين مصيري لاخترت أن أكون رمادا وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول أشتهي أن يوقفني ربي عز وجل بين يديه ويقول رضيت عنك يا مالك ثم أصير ترابا بعد ذلك وكان علي بن بكار رحمه الله تعالى يقول مكث عطاء السلمي رحمه الله تعالى على فراشه من مناه من شدة الخوف أربعين سنة يعاد فبلغ ذلك بعض العباد فقال وأي شيء الاربعون سنة والله لو عبد الله تعالى عدد شعر رأسه آلافا من السنين لكان ذلك قليلا في جنب سيئة واحدة يعملها العبد وقد كانت فاطمة بنت عبد الملك رحمها الله تقول ما رأيت أخوف لله تعالى من عمر بن عبد العزيز كان رحمه الله تعالى اذا جلس مجلس الرجل من امرأته ارتعد من الهيبة وانتفض كالطير المذبوح ثم لما ولي الخلافة جمعنا وجمع جواريه وقال قد جاءني أمر شغلني عنكن فما أتفرغ لكن حتى أفرغ من الحساب يوم القيامة فمن شاء أن يقيم عندي ولا يطالبني فليفعل ومن شاء الفراق فليفارق ثم ترك القرب من عياله حتى مات وقد كان عطاء السلمي رحمه الله تعالى علمة لبسه يمس جلده بيده مخافة أن يكون قد مسخ وكذلك كان السري السقطي وبشر الحافي رحمهما الله تعالى وكان اسحق بن خلف رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه وهو مرتكب للمعاصي انما الخائف الذي ترك الذنوب خوفا من ربه وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول ليس الخائف الذي تأخذه رقة عند تلاوة القرآن مثلا انما الخائف الذي ترك طعامه وشرابه وطلق النوم حتى يعرف أين ينتهي حاله وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول لم يقدر علي بن الفضيل رحمه الله تعالى على سماع قراءة سورة القارعة حتى مات وقد سمعها مرة على غفلة فمكث ثلاثة أيام بلياليها لم يسع شيا وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى كثيرا ما ينشد قول الشاعر

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * واهل الامن في الدنيا هجوع

اه فاعلم ذلك واتبع سلفك يا أخي تسلم والحمد لله رب العالمين

وختم القرآن وهم معززون لان البخل المهلك قد استولى على بواطنهم فهم محتاجون الى كمصه باخراج المال فاشتغلوا بطلب فضائل وهم مشتغلون عنها ومثلهم كمثل من دخلت في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك فاشتغل

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الحزن على ما فرطوا في جنب الله ولو كانوا على عبادة الثقلين لا يرون أنهم قاموا بواجب حق الربوبية الذي عليهم ولا فرق في ذلك بين العارف والمبتدي خلاف ما عليه بعض المتصوفة في هذا الزمان من قولهم إنما يكون الخوف للمبتدي وأما العارف فلا حزن عليه ولا خوف وهذا من زيادة الجهل فان الاكابر قد درجوا كلهم على توالي الحزن الى أن ماتوا ولكن يحمل قول من قال من الاكابر ان العارف لا حزن عليه أي على فوات أمور الدنيا وأما الآخرة فترك حزنهم على فواتها مذموم فقد ورد في الحديث ان الله تعالى يحب كل قلب حزين يعني على فوات حظه من الله تعالى في الآخرة وكان موسى بن سعيد رحمه الله تعالى يقول لقاح العمل الصالح الحزن وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ان القلب اذا لم يكن فيه حزن خرب كما أن البيت اذا لم يكن فيه ساكن خرب وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول والله ما يسع المؤمن في الدنيا الا الحزن وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول كيف لا يحزن في الدنيا من تتجدد عليه المصائب في كل ساعة يعني الذنوب ولما مات الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى قال وكيع رحمه الله قد ارتفع الحزن البالغ اليوم من الارض وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول لو رأيتم الحسن البصري رحمه الله تعالى لقلتم ان الله تعالى لقد بث عليه حزن الخلائق أجمعين من طول تلك الدمعة وتواصل النشيج وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول ليس أحد أشد هما في الدنيا من المؤمن لانه شارك أهل الدنيا في المعايش وزاد عليهم باهتمامه بامر الآخرة وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى لا يراه أحد الا ظن أنه قريب عهد بمصيبة لما به من شدة الحزن وكذلك أصحابه وقد كان هرم بن حيان رحمه الله تعالى لم يزل مهموما الشهر والدهر فاذا قيل له في ذلك يقول ومن أولى مني بذلك وأنا لا أعرف ماذا المصير اه فعليك يا أخي بالحزن حتى لا تجد لك وقتا تتفرغ فيه لشيء من شهوات نفسك في الدنيا والا فانت مغرور فانتبه يا أخي والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الاغترار بالله تعالى بحيث يعتمد أحدهم على عفو الله ويترك الاعمال الصالحة بل كانوا يبالغون في الاجتهاد في العبادة ثم يعتمدون على فضل الله تعالى لا على أعمالهم وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وقد سئل سعيد بن جبير رحمه الله عن الاغترار بالله تعالى ما هو فقال هو تمادي العبد في العصيان ثم يتمنى على الله المغفرة وكان الحسن البصري رحمه الله يقول ان أقواما خرجوا من الدنيا وليس لهم حسنات من كثرة ما ألهتهم أماني المغفرة يقول أحدهم اني لحسن الظن بربي عز وجل فلا أبالي أكثر العمل أم قل وهو كاذب في ذلك اذ لو كان حسن الظن بربه حقيقة لاحسن العمل قال تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين وقد كان ميسرة العابد رحمه الله تعالى قد بدت أضلاعه من كثرة المجاهدة وكان اذا قيل له ان رحمة الله واسعة يزجر القائل ويقول صحيح ذلك ولولا سعة رحمته لأهلكتنا ذنوبنا في طاعاتنا فضلا عن معاصينا وكان حذيفة بن قتادة رحمه الله تعالى يقول لو قال لي شخص والله ان أعمالك أعمال من لا يؤمن بيوم الحساب لقلت له صدقت لا تكفر عن يمينك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ان اليد تقطع في سرقة خمسة دراهم ولا شك ان أصغر ذنوبك أقبح من سرقة خمسة دراهم فلك بكل ذنب قطع عضو في النار الآخرة وكان حذيفة المرعشي رحمه الله تعالى يقول ان لم تخف ان يعذبك الله تعالى على أحسن طاعاتك لما فيها من النقص والآفات هالك وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ما أحد منا آمن ان الله تعالى يطلع له ذنبا واحدا فيصير احدنا يعمل في غير معمل وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول أرجى الناس للنجاة أخوفهم على نفسه ألا ترى يونس عليه الصلاة والسلام لما ظن ان الله لا يعاقبه على دعائه على قومه اذ عجل الله له المؤاخذة بحبسه في بطن الحوت فعليك يا أخي بالخوف من الله عز وجل بطريقه الشرعي فانه أولى بك وهيهات ان تنجو مع كثرة اعمالك الصالحة وأكثر من الاستغفار والحمد لله رب العالمين

يطلب السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن اذقته الحمية كيف يحتاج الى ذلك وقيل لبشر الحافي ان فلانا كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره انما حال هذا اطعام الطعام للجائع والانفاق على

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الصبر على البلايا والنوازل وعدم سخطهم على مقدور ربهم عز وجل وكانوا يقولون من لم يصبر فليتصبر لحديث ومن يتصبر يصبره الله تعالى فعلم ان من لم يصبر على فضول الدنيا من طعام ومنام وكلام وجماع وغير ذلك لا تقول له الملائكة يوم القيامة سلام عليكم بما صبرتم بل هو يوم يتلقى هم وغم وعدم أمن بخلاف من سلمت عليه الملائكة عليهم الصلاة والسلام فانه يأمن ويزول عنه الهم والغم ويصير في فرح وسرور وأمن وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول في قوله تعالى والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس انه الفقر والمرض وكان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول لا يوصف بالصبر الا من صبر على أذى الناس له ولم يقابلهم بنظيره يعني لا سرا ولا جهرا حتى بالدعاء عليهم والتوجه فيهم الى الله تعالى وأعظم الصبر أيضا صبر العبد عما نهى الله عنه وعلى ما أمره الله بفعله وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى ليواصل البلاء بعبده المؤمن فينزل عليه بلاء بعد بلاء حتى يمشي وليس عليه خطيئة وقد عثرت امرأة فتح الموصلي رحمهما الله تعالى مرة فطار ظفرها فضحكت فقيل لها أما تجدي ألم الظفر قالت بلى ولكن ثواب ذلك ألهاني عن وجود الاشتغال بالالم وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لولا الفقر والمرض والموت ما طأطأ ابن آدم رأسه من شدة الكبر ثم مع ذلك هو وثاب على معاصي الله تعالى وقد شكا الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى وجع ضرسه لعمه فقال له يا أحنف أراك تشكو وجع ضرسك من ليلة واحدة والله ان لي بذلك نحو ثلاثين سنة ما أظن أن أحدا شعر بذلك غيرك وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول مر موسى عليه الصلاة والسلام يوما برجل قد خرقت السباع بطنه وتم شت لحمه فعرفه موسى فوقف عليه وقال يارب انه كان مطيعا لك فما هذا الذي أرى فأوحى الله اليه ياموسى انه سألني درجة لم يبلغها بعمله فابتليته لأبلغه تلك الدرجة وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول من شكا مصيبة نزلت به الى غير الله تعالى لم يجد العبادة بعد ذلك حلاوة حتى يتوب الى الله تعالى عليه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول أوحى الله تعالى الى العزير عليه السلام اذا نزلت بك بلية فاحذر أن تشكوني الى خلقي وعاملني كما أعاملك فكما لا أشكوك الى ملائكتي اذا صعد الى عملك القبيح كذلك لا ينبغي ان تشكوني الى خلقي اذا نزل بك بلاء وقد بلغني انه لما أهلك الله تعالى جميع مال أيوب عليه الصلاة والسلام دخل بيته ونزع ثيابه وقال هكذا خرجت الى الدنيا وكذا أخرج منها وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود اصبر على المؤنة تأتك من الله المعونة وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لو كانت الدنيا نعيما بلا كدر لكانت هي الجنة ولم نحتج الى الانتقال منها وكان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول احذر من الشكوى فانها تفرح عدوك وتحزن صديقك اه فاعلم يا أخي ذلك وكن صابرا تغنم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة التسليم لامر الله تعالى والرضا بقضائه عند فقد ولد أو أخ أو أحد من الاهلين والاقارب ايثارا لمراد الله عز وجل على مرادهم وقد مات مرة ولد لداود عليه الصلاة والسلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان يعدل عندك قال ملء الارض ذهبا أنفقه في سبيل الله عز وجل فأوحى الله اليه ان لك من الاجر مثل ذلك وكان بكر المزني رحمه الله تعالى يقول موت الوالد ملك حادث وموت الاخ كسر جناح وموت الولد صدع في القلب لا ينجبر وكان مورق العجلي رحمه الله يقول ما أحد أعلم اني مؤجر على موته الا أحببت ان يموت وكان ابن أبي كثير رحمه الله تعالى يقول لا فائدة في الجزع بعد الموت لانه لا يرد فائتا وقد كان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم صاحب المصيبة قد مزق ثيابه وأظهر الجزع فلا تعزوه فانه صاحب اثم فمن عزاه فقد شاركه في الاثم وانما الواجب نهيه عن ذلك وكان أبو سعيد البلخي رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فمزق ثوبا أو ضرب خدا فكأنما أخذ رمحا يقاتل به ربه عز وجل وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من أصيب بمصيبة فليفعل في اليوم الاول ما يفعله في اليوم الخامس من مصيبته يعني من ضحك وأكل وغير ذلك وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم

المساكين فهو أفضل له من تجويع نفسه ومن صلاته مع جمعه الدنيا ومنعها الفقراء (وفرقة أخرى) غلب عليهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكاة فقط ثم انهم يخرجونها من المال الخبيث الردىء الذي يرغبون عنه

من سعادة العبد رضاه بقضاء الله تعالى وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول أول شئ كتبه الله في اللوح المحفوظ اني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولي من لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ له ربا سواي ومن استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر نعمائي كتبته صديقا وبعثته مع الصديقين وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول من ذروة الايمان الاستسلام للرب جل جلاله وكان وهب بن منبه رحمه الله يقول من حزن على ما في يد غيره يعني حسد أخاه على رزقه فقد سخط على قضاء ربه وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام ياداود ان أسلمت لي ما أريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لي ما أريد أتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما أريد وقد قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ما الذي تريد فقال أريد ما يريد الحق تعالى وان كانت نفسي تكره المعاصي وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه دواء وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول ليس الشان في لبس العباءة وأكل الخل والشعير ولكن الشان في رضا العبد عن ربه وقد كان عبد الله بن سلام رضي الله عنه يقول شكاني من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما تاه من المكروه الحزن به عز وجل فأوحى الله اليه الى كم تشكوني ولست باهل ذم ولا شكوى هكذا كان بدء شانك في عالم الغيب فلم تسخط على حسن قضائي عليك أفتريد أن أغير الدنيا من أجلك وأبدل اللوح المحفوظ بسببك واقضي لك بما تريد دون ما أريد ويكون ما تحب دون ما أحب أنا بعزتي حلفت لئن تلجلج هذا في صدرك مرة أخرى لاسلبنك ثوب النبوة ولاوردنك النار ولا أبالي (قلت) قد أجمع العلماء على ان المعصوم لا يصح سلبه فالظاهر ان ما ورد هنا على سبيل الفرض والتقدير وما كل ما يراه عبد الله به عباده واقع فليتأمل والله تعالى أعلم وكان محمد بن شقيق رحمه الله تعالى يقول اشتريت مرة لامي بطيخة فلم تعجبها فسخطت فقلت لها يا أماه على من تسخطين على بائعها أم على مشتريها أم على خالقها فوالله ان خالقها لاحسن الخالقين وان البائع والمشتري ما أعطياك الا ما قسم لك في الازل قال فاستغفرت أمي من ذلك وتابت وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لان ألحس جمرة بلساني أحب الي من أن أقول لشئ وقع لم وقع هذا وكان محمد بن واسع رحمه الله يقول ما ثم فعل لله تعالى الا ويجب على العبد شكر ربه عليه من حيث انه حكيم عليم وأما من حيث كسب العبد فيجب عليه عدم الرضا به ان كان مذموما تعظيما لجنابه عز وجل وقد طلعت مرة في رجل محمد بن واسع قرحة شديدة فقال له رجل من أصحابه والله اني لارحمك من أجل هذه فقال له محمد ان كنت تحبني يا أخي فاشكر الله تعالى على الذي لم يطلعها في لساني أو في عيني أو في أذني أو في ثديي أو تحت ابطي أو في فرجي * ولما سقطت مقادم اسنان معاوية رضي الله عنه قال الحمد لله الذي لم يذهب سمعي ولا بصري وقد روي عن يونس عليه الصلاة والسلام أنه قال يوما لجبريل عليه الصلاة والسلام دلني على أعبد أهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره وسمعه وشعره قال فدنا يونس منه فسمعه يقول الهي قد متعتني بهم كما تشاء ثم سلبتني قوتي كما تشاء وأبقيت لي فيك الامل يا خير ذلك المفضل علي وكان بشر بن الحرث رحمه الله تعالى يقول اجتمعت في سياحتي برجل مجذوم أبرص أعمى مجنون وقد صرع في الشمس والنمل يا كل لحمه قال فرفعت رأسه من الارض ووضعتها في حجري فلما أفاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي عز وجل فوعزته وجلاله لو قطعني اربا اربا ما ازددت فيه الا حبا وقد روي ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بالجذام والفالج وقد تناثر لحمه من الجذام فدنا منه عيسى فسمعه يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى وأي شئ صرفه عنك من البلاء يا هذا فقال له صرف عني الجهل به وخلع على معرفته فقال له عيسى صدقت هات يدك فناوله يده فذهب ما كان به وصار من أحسن الناس وجها وصحبه يعبد الله تعالى معه الى أن رفع عيسى صلى الله عليه وسلم وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الرضا عن الله تعالى والرحمة للخلق من أخلاق المرسلين وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول الرضا عن الله

ويطلبون من الفقراء من عند غيرهم ويترددون لحوائجهم أو من يحتاجون اليه في المستقبل لاستجاره في الخدمة ومن لا يم فيه على الجملة غرض ويسلونها الى شخص بعينه واحد من الكبار ممن يستظهر بخشيته

تعالى أفضل من الزهد في الدنيا الا ان الراضي عن ربه عز وجل لا يتمنى فوق منزلته وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول لو أن الله تعالى أدخلني النار لكنت راضيا عنه وكان سليمان الخواص رحمه الله تعالى يقول من قال يارب ارض عني فليس هو براض عن ربه وكان أبو عبد الله الباجي رحمه الله تعالى يقول عبيد الدنيا يريدون من ساداتهم ان يرضوا عنهم وعبيد الله تعالى يريد الله منهم ان يرضوا عنه وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول رضا الناس غاية لا تدرك اهـ فانظر يا أخي في هذا الخلق الذي ذكرناه واشكر ربك ان رأيت نفسك من أهل الصبر والا فاستغفره وتب اليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شهودهم في نفوسهم انهم لم يقوموا بذرة واحدة من شكر ربهم وذلك لانهم يرون ان جميع ما يشكرونه به من جملة نعمه عليهم فلا تتناهى نعم الله تعالى أبدا ولا يصح من أحد مقابلتها وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله يقول ما قال عبد الحمد لله الا وجب عليه بذلك شكر آخر وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اذا كان الذي تشكر الله تعالى به نعمة تمنه عليك من نعمه عز وجل فما تم شكر حقيقة وانما الشكر اعترافك بكثرة نعمه عليك وانك لا تحصي ثناء عليه عز وجل وكان سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالى يقول أداء الشكر لله تعالى انك لا تعصيه بنعمه عليك فان جوارحك كلها من نعمه عليك فلا تعصه بشيء منها وقد كان مجاهد ومكحول رحمهما الله تعالى يقولان في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم انه الشراب البارد وظل المساكن وشبع البطن واعتدال الخلق ولذة المنام وقد سئل الحسن البصري عن الفالوذج أهو من أكبر النعم فقال نعمة الله سبحانه وتعالى علينا في الماء البارد العذب أعظم منه وقد مر وهب بن منبه رحمه الله تعالى يوما على رجل أصم أبكم مصاب فقال له شخص هل بقي على هذا نعمة فقال وهب نعم اساغتما يأكل وما يشرب وتسهيله ونحو ذلك يعني اذا خرج فذلك أعظم من النعم الظاهرة التي فاتته وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول لو قاس الناس البلاء بالعافية لوجدوا بعض البلايا عافية وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا قدم اليه طعام يقول الحمد لله الذي جعلني أشتهيه فكم من يقدر عليه ولا يشتهيه يعني من شدة المرض والوجع وكان سفيان الثوري اذا مر عليه أحد من أهل الشرطة يخر ساجدا لله تعالى ويقول الحمد لله الذي لم يجعلني شرطيا ولا مكاسا ثم يقول لاصحابه انه يمر على أحدكم المبتلى الذي يؤجر على بلائه فتسألون ربكم العافية ويمر عليكم هؤلاء الظلمة الذين يأثمون ببلائهم فلا تسألون الله العافية وكان زيد بن أسلم رحمه الله تعالى يقول مكتوب في التوراة العافية هي الملك الخفي وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من كان له زوجة ومسكن ومركب وخادم فهو من الملوك وكان جعفر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك ورزقك والباطنة ما ستر الله تعالى من الناس من عيوبك وذنوبك ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وكان عون بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى أنعم على العباد على حسن كرمه وطلب منهم الشكر على قدر حالهم وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود قال يعني يعد المصائب وينسى النعم وكان عون بن عبد الله رحمه الله يقول في قوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعني يرون النعم أنها من الله عز وجل ثم يضيفونها الى الخلق غافلين عن الله تعالى ويقولون لولا فلان ما وصلت الينا وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول من شكر الله بلسانه دون بقية أعضائه فقل شكره لان شكر البصر ان رأى خيرا وعاه أو شرا ستره وشكر السمع ان سمع خيرا حفظه أو شرا نسيه وشكر اليدين ان لا يأخذ بهما ولا يعطي الا حقا وشكر البطن ان يكون ملآن من العلم والحلم وشكر الفرج ان لا يفعل به الا ما أبيح له وشكر الرجلين ان لا يمشي بهما الا في الصلاح فمن فعل ذلك فهو من الشاكرين حقا اهـ ففتش نفسك يا أخي وانظر هل شكرت ربك كشكر هؤلاء أم قصرت فاستغفر الله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة تدقيقهم في التقوى وعدم دعوى أحد منهم أنه متق فان

ليتال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجته وكل ذلك لفساد النية وحبط العمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله وهو فاجر اذ يطلب بعبادة الله غرضا من غيره فهذا وامثاله مغرورون بالاموال (وفرقة أخرى)

الحق تبارك وتعالى ربما أحصى على العبد مثاقيل الذر وهذا خلق غريب في هذا الزمان بل غالب الناس يدعي التقوى من غير مناقشة لنفسه ويقتنع بذكره لله تعالى صباحا ومساء مثلا ولا يناقش نفسه في قول ولا فعل ولا مطعم ولا مشرب ولا ملبس بل هو كالتمساح الهائم على الحرام فصورة عمامته وعذبته صورة شيخ وأقواله وأفعاله على صورة الفسقة والمنافقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول لا يبلغ أحد مقام التقوى حتى لا يكون له فعل ولا قول يفتضح به في الدنيا والآخرة وقد قال له رجل مرة متى يبلغ العبد مقام التقوى فقال اذا وضع جميع ما في قلبه من الخواطر في طبق وطاف به في السوق لم يستح من شيء فيه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول الايمان عريان ولباسه التقوى وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول لا يقل عمل مع تقوى لانه مقبول قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول ليس التقوى في صيام النهار وقيام الليل مع التخليط فيما بين ذلك وانما التقوى ترك ما حرم الله تعالى واداء ما افترض الله فمن زاد بعد ذلك فهو خير الى خير وكان رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول علامة المتقي ان يلجم من الكلام كما يلجم المحرم حال احرامه ويحتاج المتقي ان يكون عالما بالشريعة كلها والا خرج عن التقوى من حيث لا يشعر وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول من كمال التقوى ان يخاف العبد من ربه في مثقال ذرة وقد سئل أبو هريرة رضي الله عنه عن التقوى فقال هي طريق الشوك يحتاج الماشي فيها الى صبر شديد وكان سفيان الثوري رضي الله عنه يقول ادركنا الناس وهم يحبون من قال لاحدهم اتق الله تعالى وقد صار واليوم يتكدرون من ذلك وقد قال رجل لعمر بن عبد العزيز اتق الله يا عمر فخر مغشيا عليه من هيبة الله تعالى وقال رجل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أي البلاد تحب لي ان أقيم فيه فقال له ليس بينك وبين بلاد نسب بل خير البلاد ما حملك على التقوى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لو اتقى أحد منا ربه ما هناه عيش ولا أخذه نوم اه ففتش يا أخي نفسك هل اتقيت الله تعالى كتقوى هؤلاء السلف أم قصرت عنهم واستغفر ربك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة سترهم لاخوانهم المسلمين وشدة مناقشتهم لنفوسهم في مقام التورع فكانوا لا يحبون أن تظهر لاحد عورة وكانوا يحاسبون أنفسهم في أقوالهم وأفعالهم وطعامهم وشرابهم وتفقد جميع جوارحهم في وقوعها فيما حرم الله عليها لاسيما اللسان والبطن والفرج والعين وقد بسطنا هذا الخلق في كتابنا المنهج المبين وفي الحديث اتق محارم الله تكن أورع الناس وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لو صمتم حتى تكونوا كالاوتار وصليتم حتى تكونوا كالحنايا ما نفعكم ذلك الا اذا كان معكم ورع صادق وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول جلساء الله تعالى يوم القيامة هم أهل الورع والزهد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا خير في فقه لا ورع فيه كما لا خير في صلاة لا خشوع فيها ولا مال لا جود فيه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول حقيقة الورع هو الخروج من الشبه ومحاسبة النفس مع كل خطوة فمن لم يكن كذلك فليس هو بورع وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول لا تستهن بالتورع في اليسير فان الاستهانة فيه لم تترك التورع في الكثير وكان ابن السماك رحمه الله يقول من طلب العلم بلا عمل كان قدوته ابليس ومن طلب الرياسة كان قدوته فرعون ومن طلب الورع كان قدوته الانبياء والاصفياء عليهم الصلاة والسلام وكان الضحاك رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتعلمون الورع ويسافرون لتعلمه الثلاثة أشهر وأكثر وقد صاروا اليوم لا يطلبون ذلك ولا يعملون به ولو نبهوا عليه فلا حول ولا قوة الا بالله وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى اذا رأى بعض شبهة في شيء تركه كله ولو كان جميع بيت المال وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة أن نقع في الحرام وكان السلف اذا وقع من أحدهم دينار في مكان ثم تذكره ورجع فرآه لا يأخذه ويقول يحتمل أن هذا وقع من غيري وأن ديناري أخذه أحد وقد سئل محمد بن سيرين رحمه الله تعالى عن يسد أنفه عند شم المسك

من عوام الخلق وأرباب الاموال والفقراء اغتروا بحضور مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم فاغتنوا ذلك عادة ويظنون ان لهم أجرا على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ وهم

في الغنيمة هل به بأس فقال لا أقول فيه شيئا وقد سئل عن ذلك أيضا القاسم بن محمد فقال هو كالتورع ولا أقول
هو ورع أبدا في الغنا وقد قيل لرباح القيسي رحمه الله تعالى حدثنا بما رأيت من ورع عمر بن عبد العزيز
فقال دعاني رحمه الله تعالى ليلة الى طعامه فبينما نحن نأكل اذ قال لنا أمسكوا فانزيت هذا المصباح من زيت
العامة الذي أنظر فيه دواوينهم وكان طلحة بن مصرف رحمه الله تعالى اذا بنى جدارا أو خصا يجعل الجدار مائلا
الى ناحيته ليكون الطين الذي يطين به البناء من غير جهة الطريق وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يتورع
أن يقول سبحان الله تعالى عند التعجب من شئ اجلالا لربه وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى اذا
تناول ولده تفاحة من الفئ ينزعها من فيه بشدة ويقول أنتزعها خوفا من الله تعالى وكأنني أنتزعها من قلبي
وقد بلغنا عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه أنه ذهب الى غريم له ليطالبه بدين وكان للرجل شجرة على
باب داره فوقف الامام في الشمس وطالبه فقيل له ألا تقف في ظل الشجرة فقال لا ان لي على صاحبها دينا وكل
قرض جر نفعا فهو ربا كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى اذا اشترى
شيئا من طوافين الأسواق يعدل به عن الشارع ويشتري منه خوفا أن يحجز الشئ على المارة وقد استعار
القاضي بكار بن قتيبة رحمه الله تعالى من والدته رداءه ليخبز فيه خبزة فكلمه شخص من أصحابه في الطريق
فلم يقف له فقال له لم لا تكلمني فقال يا أخي انما استعرت هذا الرداء لأخبز به لا لأقف مع أحد في الطريق
ولو علمت انك تكلمني لكنت استأذنتها في ذلك وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يجعل ميزاب
سطحه الى جهة داره دون الشارع خوفا أن يشوش على أحد وقد ماتت عنده هرة ففر لها ودفنها في داره ولم
يرمها في المزابل خوفا أن يشوش ريحها على الناس وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول
اياكم أن تسافروا الى مكة بشئ من الشبهات فان رد دانق من حرام أو شبهة أفضل عند الله تعالى من
خمسمائة حجة فيها شبهة وقد ترك يزيد بن دريع مال والده رحمهما الله تعالى ماتا وكان مالا جزيلا وقال كنت
أشك في حل كسبه لكونه كان يبيع على الولاة وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى لا يأكل من كسب
غلامه اذا باع شيئا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عند بيعه فكان يقول انك أطريت عليه بالصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحته به حتى اشتراه الناس فاياك أن تفعل ذلك أو تقول للمشتري
هذا رخيص أو مليح مثلا بل بعه وأنت ساكت وقد دخل الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى السوق ليشتري
لأولاده خبزا فرأى الخباز يسبح الله ويهلله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند بيعه الخبز فأبى الفضيل
أن يشتري منه وطوى هو وأولاده حتى لقي من الغد شخصا يبيع الخبز وهو ساكت فاشترى منه فقيل له
ان هذا أمر سهل يا أبا علي فقال ان سهلكم هذا أخاف أن يوردني النار وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى
يبيع البرد والأكسية فاذا كان يوم غيم لا يبيع ولا يخرج بها الى السوق فسئل عن ذلك فقال ان المشتري
ربما يراه حسنا في الغيم وهو معيب وقد كان الأصمعي رحمه الله تعالى يقول من طلب من الفقهاء الرخصة
عند المشتبهات فعليه مزاده الى النار وقد اشترى أبو علي النحوي رحمه الله تعالى قميصا ولبسه فقال له شخص
اني اشتريت هذا الثوب وفيه درهم من شبهة قال فدخل الماء وتعرى من القميص وقال من يتصدق علي
بثوب حتى أخرج من الماء فألقوا عليه ثوبا انتهى فانظر يا أخي في هذا الخلق وفتش نفسك واتبع سلفك
في الورع واترك دعوى الصلاح اذا لم تفعل كذلك فان من لا ورع عنده فهو من الفسقة عند المتورعين ليس
له نصيب في مقامهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) التودد والسكينة والوقار وقلة الكلام وذلك لكمال عقولهم
وكثرة تجاربهم لأهل عصورهم ومن كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قوله ينتهي طول العبد في اثنتين
وعشرين سنة وينتهي عقله في ثمان وعشرين سنة وما بعد ذلك الى آخر عمره انما هو تجارب انتهى فعلم أن
كل من كان قليل العقل لا يصلح أن يكون داعيا الى الله تعالى لأن الذي يفسده أكثر من الذي يصلحه وفي
الحديث كرم الرجل دينه ومروءته عقله وحسن خلقه وكان قتادة رحمه الله تعالى يقول الرجال ثلاثة رجل

نفرون لأن فضل مجالس
الذكر انما تحصل لكونها
مرغبة في الخير فان لم تهيج
الرغبة فلا خير فيها والرغبة
محمودة لأنها تبعث على العمل
فان لم تبعث على العمل فلا
خير فيها وربما يغتر بما
يسمعه من الوعظ وربما

ونصف رجل ولاشئ فالرجل هو من كان له عقل ورأى ينتفع به ونصف الرجل هو الذي يشاور العقلاء ويعمل برأيهم والذي لاشئ هو الذي لاعقل ولارأى له ولايشاور أحدا وكان سليمان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول أقرب الصواب لاغنى له عن السوط وأعقل النساء لاغنى لها عن الزوج وأعقل الرجال لاغنى له عن مشورة ذوى الالباب انتهى وكان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقول من صار يتدبر ما يقول قبل النطق فهو أعقل الناس وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول عقول الناس على قدر عصورهم وقد سئل أمير المؤمنين على كرم الله وجهه عن العقل أين مسكنه قال فى القلب قيل له فاين مسكن الرحمة قال فى الكبد قيل له فاين مسكن الرأفة قال فى الطحال قيل له فاين مسكن النفس قال فى الرئة وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من ادعى العقل ولم تكن همته الآخرة فهو كاذب وكان محمد بن زياد رحمه الله تعالى يقول لايكمل عقل الرجل حتى يعذر من صديقه وكان هشام الدستوائى رحمه الله تعالى يقول من أراد أن ينظر الى قوم بلاعقول فلينظر الينا وكان زياد رحمه الله تعالى يقول ليس بعاقل من يحتال للامر بعد الوقوع فيه وانما العاقل من يحتال للامر قبل الوقوع فيه فان خير الرأى خير من فطيره اه فاعلم ذلك يا أخى واتبع سلفك الطاهر تسترح والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الصمت والنطق بالحكمة تسهيلا على الطالب تأسيا بقوله صلى الله عليه وسلم أعطيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا وكان أبو الحسن الهروى رحمه الله يقول تاج الحكمة من أربع خصال الندم على الذنب والاستعداد للموت وخلو البطن وصحبة الزهاد فى الدنيا وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول اشتغل محمد بن يوسف رحمه الله بالعبادة فأورثته الحكمة واشتغلنا بكتابة العلم فأورثتنا الخصومات يعنى بذلك الجدال وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول تهوى الحكمة من السماء فلاتنزل على قلب فيه هذه الاربع خصال الركون الى الدنيا وحمل هم غد وحسد لاخ وحب شرف على الناس فمن كان فيه خصلة من هذه فلاتدخل قلبه حكمة (فمن جملة حكمهم) رضى الله عنهم قول حاتم الاصم رحمه الله تعالى لاتنظر الى من قال وانظر الى ما قال وخذ الحكمة حيث وجدتها فانها ضالة المؤمن فاذا وجدتها فقيدها ثم ابتغ ضالة أخرى (ومنها) قول الامام أبى حنيفة رضى الله عنه من رضى بدون قدره رفعه الله فوق غايته وقوله عليك بالحكمة فانها تجلس المساكين مجالس الملوك ومنها قول أكثم بن صيفى رحمه الله تعالى الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة والانبساط اليهم مجلبة لقرين السوء فكن بين المنقبض والمنبسط (ومنها) قول الامام الشافعى رضى الله عنه أقل الناس فى الدنيا راحة الحسود والحقود وقال رجل للاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انى أراك يا أحنف أعور دميم سودك قومك عليهم فقال له لكونى لم اشتغل الا بما يعنينى فقط كما اشتغلت أنت بما لا يعنيك فان قيل ما ضابط الكلام الذى لايعنى الشخص فالجواب أن ضابطه كل ما لاتدعو اليه حاجة دينية أودنيوية والله أعلم وقد قيل ليحيى بن معاذ رحمه الله تعالى متى يذهب من العبد العلم والحلم والحكمة فقال اذا طلب الدنيا بشئ من هؤلاء الثلاث وكان رحمه الله تعالى يقول اذا ذمك ابناء الدنيا أو مدحوك فاصرف ذلك الى الخرافات لكونهم مطموسين البصائر واعلم ان تكسب الرجل وهو يحن الى الزهد خير له من الزهد وهو يحن الى التكسب وكان رحمه الله تعالى يقول خلوة المريد من غم الشياطين ورؤية الناس نشاط المرائين وكان رحمه الله تعالى يقول من ستر عليك ذنوبك ولم يفضحك فهو أولى بك من سائر الخلق فانك تذنب ألف ذنب فيما بينك وبين الله تعالى فيسترها عليك ولو أن الخلق اطلعوا على عيب واحد فيك لفضحوك بين العباد (ومنها) قول أبى محمد الرداماري رحمه الله اذا جمعت المال فانت وكيل واذا أعطيته فانت رسول فالوكيل لايخون والرسول لايمن (قلت) عدم خيانة الوكيل أن لايمنع أحدا من بخل بل ينفق كما أمره الله ويمنع لحكمة كما منع الله وعدم من الرسول أن يرى الفضل لمرسله ولا يرى له فضلا بما أعطى الاعلى وجه الشكر لله تعالى والله أعلم ومنها قول أبى معاوية الاسود رحمه الله من طلب من الله الخير الجزيل فلاينم فى الليل

ثدات لهرقة كرقة الثكلى فيبكى وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزال يصفر بين يديه ويقول يا سلام سلم ونعوذ بالله وحسبي الله ولا حول ولا قوة الا بالله ويظن انه قد أتى بالخير

ولا يقيل وقوله من طلب الفضل من اللئام فلا بد من الانقطاع اذا أهين (ومنها) قول امامنا الشافعي رضي الله عنه أظلم الظالمين لنفسه من تواضع لمن لا يكرمه ورغب في مودة من لا ينفعه وقبل مدح من لا يعرفه وقوله من نم لك نم عليك ومن نقل اليك نقل عنك ومن اذا أرضيته قال فيك ماليس فيك كذلك اذا أغضبته قال فيك ماليس فيك وقوله اذا تزوج الرجل فقد ركب البحر فان ولد له فقد كسر به المركب وقوله طلب الراحة في الدنيا لا يصح لاهل المروآت فان أحدهم لم يزل تعبان في كل زمان وقوله اذا وليت أحولك ولاية فارض منه بعشر الود الذي كان لك قبلها ومنها قول أبي امامة رحمه الله تعالى من آذى الناس بلا سلطان فليصبر على الهوان وقوله من صبر على الاساءة عليه فقد مهد للاحسان موضعا وقوله من لم ينلك الخير في حياته فلا تبك عيناك على وفاته وقوله اذا رضي الراعي بفعل الذئب لم ينبح الكلب على القريب وقوله الاعتراف يهدم الاقتراف ولم تزل الاشراف تبتلي بالاطراف (ومنها) قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم وسع على الدنيا وزهدني فيها ولا تقترها على وترغبني فيها وقوله اللهم اجعلني اليوم مشغولا بما أكون عنه غدا مسؤلا وقوله التواضع يرفع الخسيس والكبر يضع النفيس ومن طلب الرياسة أصبته ومن فر منها تبعته وقوله لا تفرح بكثرة العيال فان ذلك سوس المال وفضيحة الرجال (ومنها) قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى من كثر عتابه قل أصحابه ومن أعطى الفاجر فقد أعانه على الفجور ومن سأل اللئيم فقد أهان نفسه ومن طلب العلم عن لا يعمل به زاده جهلا ومن علم الا بله فقد ضيع عمره بلا فائدة ومن صنع المعروف مع كافر فقد ضيع النعمة (ومنها) قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى في الكف عن المحارم يكون رضا الرب وعند نزول البلاء تظهر حقائق الصبر وعند طول الغيبة تظهر مواساة الاخوان وبالادب يفهم العلم وبترك الطمع تثبت المؤاخاة وبصلاح النية تدوم صحبة الاخيار وقوله من كان القرآن قبسه كان الطلاقة منه الموت ومن ذعته ما العبادة أحياه الفوز ومن ترك شهوة الدنيا عوضه الله تعالى شهوة ذكره وقوله من حلم ساد على أقرانه ومن نفذ غضبه غمس في بحر هوانه وقوله كدر الاجتماع خير من صفاء الافتراق واذا كان القريب عدوا فهو البعيد واذا كان البعيد ودودا فهو القريب (ومنها) قول بشر الحافي رحمه الله تعالى اذا أخذت النوافل بالفرائض فاتركوا النوافل وقوله من لم يستحسن الحسن لم يستقبح القبيح وقوله ليس مع الاختلاف ائتلاف وقوله انا لم نؤت من قبل النعم وانما أتينا من قلة الشكر عليها كما انا لم نؤت من قلة العمل وانما أتينا من قلة الصدق فيه كما أنا لم نؤت من كثرة الذنوب وانما أتينا من قلة الحياء كما أنا لم نؤت من قلة الاستغفار وانما أتينا من قلة الوفاء وسرعة الرجوع الى الذنوب من غير عقوبة عليها ولو أن العقوبة عجلت لنا لانتهينا عن المعاصي جملة انتهى فاعلم ذلك يا أخي ونظف باطنك من محبة الدنيا وشهواتها وأكثر من ذكر الله تعالى فاذا تم جلاء باطنك فهناك ينطقك الله تعالى بالحكمة وتصير حكيم زمانك وأما مع محبتك الدنيا فهذا بعيد عنك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الحسد لاحد من المسلمين وبذل النصيحة لكل مسلم بطريقه الشرعي ولذلك سادوا الناس ولو كان عندهم حسد لاحد أو غش لما سادوا ولا قبلت الملوك أقدامهم فان طلبت يا أخي ان تكون كذلك فاسلك طريقهم خالصا مخلصا والا فالمتعمل قد يطلع الله تعالى بعض الناس على تعمله فلا يروج له أمر وقد سمعت شيخنا سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من أخلص عمله لله تعالى جعل الله عز وجل قلوب المؤمنين تخلص في محبته وأما من ليس في دينه أطلع الله تعالى بعض أصفيائه على باطنه فلا يخلص له قلب أحد منهم في محبته انتهى وفي الحديث ان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب اه ولذا فنيت حسنات العبد ذهبت سيادته لانه يصير اما صاحب سيئات أو امره موقوف لا حسنات ولا سيئات ومن المعلوم ان السيادة والتعظيم انما يكونان لمن فاق الناس في الاعمال والاخلاق الصالحة وكان الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول لا راحة لحسود ولا سيادة لسيء الخلق وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما ثم صاحب نعمة الا وله عليها حساد وكان فرقد

كما هو مغرور وانما مثله كمثل المريض الذي يحضر مجالس الاطباء ويسمع ما يصفونه من الادوية ولا يفعلها ولا يشتغل بها ويظن انه يجد الراحة بذلك وكذلك

السخي رحمه الله تعالى يقول دواء ترك الحسد هو الزهد في الدنيا وأما من رغب في الدنيا فالحسد من لازمه شاء أو أبى اهـ وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من شأن الحسود عدم الفهم فمن أراد جودة الفهم فلا يحسد أحدا وإني لأترك في بعض الأوقات لبس الثوب الجديد مخافة أن يهيج الحسد عند جيراني أو غيرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الحسود على ما عنده من النعمة شر ممن ليس عنده نعمة يحسد عليها فيشكر الله تعالى على نعمته ويعذر الحسود وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اتقوا الحسد فإنه أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء وأول ذنب عصي الله تعالى به في الأرض وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول إن أردت أن تسلم من شر من يحسدك فعم عليه أمورك وكان مسعر بن كدام رحمه الله تعالى يقول لما آثر القوم النصيحة لإخوانهم الأولوفو رشفقتهم عليهم وقد صارت النصيحة اليوم كالعداوة وما نصحت أحدا الأوصار يفتش في عيوبي وينمي العمل بنعمي وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول ما حسدت قط أحدا على دين ولا دنيا وذلك من أكبر نعم الله سبحانه وتعالى علي وقد كان أبو أيوب السختياني رحمه الله تعالى من أنصح الناس لإخوانه شفقة على دينهم أن ينقص وكان يقول إني لأرحم هؤلاء العصاة الغافلين عن ربهم عز وجل وكان إذا نزل بالمسلمين هم أو بلاء يمرض لذلك ويصير يعاد كما تعاد المرضى فإذا ارتفع ذلك الهم يبرأ من وقته (قلت) من صح له هذا المقام فلا يتطبب بأحد من الأطباء لأنهم ليس لهم يد في ذلك والله أعلم وقد قال عبد الملك بن مروان رحمه الله تعالى يوما للحجاج بن يوسف يا حجاج ما من أحد إلا ويعرف عيب نفسه لا يكاد يخفى عليه شيء منه فقل لي يا حجاج على عيبك فقال له الحجاج أعفني من ذلك يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك لا بد وأقسم عليه فقال الحجاج من عيبي أني لجوج حسود حقود فقال له عبد الملك ما تلك الله ليس في الشيطان أشر مما قلت وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول إني أجيز شهادة القراء على الناس ولا أجيزها على بعضهم مع بعض لأنهم قوم حسدة وكذلك كان الإمام مالك رضي الله عنه يقول سئل أوس بن حارثة من سيدكم فقال حاتم الطائي فقيل له أين أنت منه فقال لا أصلح أن أكون خادما له وسئل حاتم الطائي من سيدكم فقال أوس بن حارثة فقيل له أين أنت منه قال لا أصلح أن أكون غلاما له فكان الإمام مالك رضي الله عنه يقول أين فقهاؤنا من هذا الأمر وقد قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يوما لرجل من بعض القبائل من سيدكم يا هذا فقال الرجل أنا يا أمير المؤمنين فقال له عمر كذبت لو كنت سيدهم ما قلت ذلك وقد كان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول من علامة الحاسد أن يدنيك منك الطمع ويبعده عنك سوء الطبع وإن أعظم الناس حسدا الأقربون والجيران لمشاهدتهم النعمة التي يحسدون عليها بخلاف البعيد ولذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أن مر ذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى لسفيان الثوري رحمه الله اعلم أنك لو بذلت النصيحة للناس حتى صار وأمثالك في الدين ما وفيت بالنصيحة لهم فكيف وقيتهم النصيحة ولم يبلغوا أمثالك وكان شقيق البلخي رحمه الله تعالى يقول إذا كان فيك من الخصال ما يخافه عدوك فليس فيك خير فكيف إذا كان فيك ما يخافه صديقك واعلم أن من تعرض لمساوي الناس عرض نفسه للهلاك ومن سلم الناس منه سلم هو من الناس ومن نم على الناس افتقر في دينه ودنياه وصار من خدام إبليس اهـ ففتش يا أخي نفسك وانظر هل سلمت من الحسد لإخوانك المسلمين على ما آتاهم الله تعالى من فضله وهل بذلت لهم النصيحة كما أمرك الله أم أنت بالضد من ذلك واستغفر الله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة الجوع وعدم الشبع وذلك ليكثر صمتهم ويقل كلامهم وفضول لغوهم كما هو شأن العلماء العاملين فإن من شبع كثر كلامه فيما لا يعنيه ضرورة وكان محمد الزاهي رحمه الله تعالى يقول من أدخل في بطنه فضول الطعام أخرج من لسانه فضول الكلام وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول لرمي الناس بالسهام أخف من رميهم باللسان لأنه لا يخطئ وكان إمامنا الشافعي رضي الله عنه يقول الكلمة كالسهم إن خرجت منك ملكتك ولم تملكها وكان جابر بن عبد الله

الجائع الذي يحضر عنده من بعض الأطعمة اللذيذة فكل وطالا يغير منك صفة تغيرا تغيرها أضالك حتى تقبل إلى الله عز وجل وتعرض عن الدنيا وتقبل اقبالا كثيرا

رضي الله عنهما يقول قلت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما أكثر ما تخاف علي فقال هذا وأشار الى لسانه صلى الله عليه وسلم وكان ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول من تأمل وجد أشرف أهل كل مجلس وأكثرهم هيبة من كان أكثرهم سكوتا لان السكوت زين العالم وستر الجاهل وكان وهيب بن الورد رحمه الله يقول العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وواحد في الهرب من الناس قال ومكث منصور بن المعتمر أربعين سنة لا يتكلم بعد العشاء بلغو وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول واعجبا لابن آدم ملكاه على نابيه ولسانه قلمهما وريقه مدادهما وهو يتكلم فيما بين ذلك فيما لا يعنيه وقد مكث الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى قبل موته بعشرين سنة لا يتكلم بكلام أهل الدنيا وقد وقع لحسان بن سنان رحمه الله انه تكلم بكلمة لغو فعاقب نفسه بصوم سنة وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى اذا تكلم بكلمة لغو يقول عقبها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ثم يقول كانوا يكرهون كلام الدنيا في مجلس من قبرات يخالطه كلام خير وقد مكث مورق العجلي رحمه الله عشرين سنة يتعلم الصمت حتى تم له وقد كان معروف الكرخي رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لا يعنيه من خذلان الله اياه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كلام الرجل فيما لا يعنيه يقسي القلب ويوهن البدن ويعسر أسباب الرزق وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول بالسان تحفظ الرأس وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى قليل الكلام جدا وكان يقول لاصحابه انظروا واما تملونه في صحائفكم فانه يقرأ على ربكم فيا ويح من تكلم بقبيح ولو ان أحدكم أملى الى أخيه كلاما فيه قبح لكان ذلك قلة حياء منه فكيف بالرب سبحانه وتعالى وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى اذا أصبح وضع قرطاسا وقلما فكان لا يتكلم يومه بلغو الا حاسب نفسه عليه عند غروب الشمس وكان يقول بلغنا ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يضع الحجر في فمه فعل ذلك مدة سنين حتى تعود قلة الكلام وكان لا يخرج الحجر الا عند الاكل وعند الصلاة كل ذلك خشية ان يتكلم فيما لا يعنيه ثم لما حضرته الوفاة رضي الله عنه صار يخرج لسانه ويقول هذا هو الذي أوردني الموارد وقد كان الامام مالك اذا رأى رجلا يتكلم كثيرا يقول له امسك عليك بعض كلامك وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول ترك كلمة لغو أشد على النفس من صيام يوم لان الرجل ربما يحتمل الصوم في الحر الشديد ولا يحتمل ترك كلمة لا تعنيه اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل وفيت بهذا الحديث أم قصرت فيه وأكثر من الاستغفار آناء الليل والنهار والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) سد باب الغيبة في الناس في مجالسهم لئلا يصير مجلسهم مجلس اثم ولعل ما قرأ ومن الحديث أو من كلام القوم أو الورد مثلا لا يقاوم غيبة وقعوا فيها يوم القيامة وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول انما أكثر من الاعمال الصالحة في بعض الاوقات ليصير معي شيء من الاعمال يوم القيامة أعطي منه خصمائي الذين لهم علي تبعة من مال أو عرض وقد قلت مرة لشيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى ألا تأخذ العهد يا سيدي على أصحابك ان لا أحد منهم يستغيب أحدا في مجلسك فقال لي ان أخذ العهد بذلك سوء أدب مع الله تعالى ومع خلقه وذلك لان خالق الاعمال والاقوال التي تحدث على يد المريد انما هي لله عز وجل فكيف آخذ على أحد عهدا بشيء ليس في يده بل يخلقه الله تعالى فيه على رغم أنفه فقلت له يا سيدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع أصحابه رضي الله عنهم على السمع والطاعة وعلى ترك أفعال كانوا يفعلونها فقال انما كان ذلك له صلى الله عليه وسلم بوحي من الله سبحانه وتعالى بخلافنا نحن اه فعليك أيها الشيخ بزجر أصحابك عن الغيبة والنميمة ولا تسامحهم بالسكوت على ذلك فانك تصير شريكهم في هذا الامر وتفسقوا كلكم وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نظرت ليلة أسري بي في النار فاذا قوم يأكلون الجيف فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس وكان جابر رضي الله عنه يقول هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله ما أشد نتن هذه الريح فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين اغتابوا

فان لم تشتغل بذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رأيته وسيلة لك كنت مغرورا (الصنف الرابع) من المغرورين المتصوفة وما أغلب الغرور على هؤلاء منهم متصوفة أهل هذا

فاسلمني المسلمين فلذلك هاجت هذه الريح المنتنة اه وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول ان الغيبة تخرب القلب من الهدى والخير وكان أبو عون رحمه الله تعالى يقول دخلت وما على محمد بن سيرين رحمه الله فنلت من عرض الحجاج بن يوسف عنده فقال لي محمد يا أبا عون ان الله تعالى حكم عدل فكما ينتقم من الحجاج كذلك ينتقم للحجاج ور بما لقيت الله تعالى فكان أصغر ذنب عملته أشد عليك وأعظم من أعظم ذنب عمله الحجاج وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا بلغه ان أحدا اغتابه يرسل اليه بهدية ويقول له على لسان الرسول بلغني يا أخي انك أهديت الي حسناتك وهي يقين أعظم من هديتي هذه وكان سيدي عبد العزيز الديريني رحمه الله تعالى اذا بلغه ان أحدا اغتابه يذهب اليه في داره ويقول له يا أخي مالك ولذنوب عبد العزيز تحملها وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول اياك ان تقابل من ظلمك بسب أو شتم أو غير ذلك وذلك انه بنا المظلمة فتصير تامة وتشتمه كلما ذكرت فعله حتى تستوفي بذلك حقك ويصير عليك بعد ذلك التبعة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لنا كهنة القراء في هذا الزمان الغيبة وتنقيص بعضهم بعضا خوفا ان يعلو شأن أقرانهم ويشتهروا بالعلم والزهد والورع دونهم وبعضهم يجعل الغيبة كالادم في الطعام وهو أنحطهم اثما وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أشد الناس زجرا للمغتابين وقد دعاه رجل مرة الى طعامه فلما ذهب اليه وجده يذكر رجلا بسوء فقال له ابراهيم عهدنا بالناس يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم تأكلون اللحم قبل الخبز ثم خرج ولم يأكل له طعاما وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول والله لترك الغيبة عندي أحب الي من التصدق بجبل من ذهب وكان وكيع بن الجراح رحمه الله يقول من عزة السلامة من الغيبة انه لم يسلم منها الا القليل وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذكر أخاك اذا توارى عنك بمثل ما تحب ان يذكرك به اذا تواريت عنه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول كفى بالمرء اثما ان لا يكون صالحا ثم يجلس في المجالس ويقع في عرض الصالحين * وقد سئل الزهري رحمه الله تعالى عن حد الغيبة فقال كلما كرهت ان تواجه به أخاك فهو غيبة وقد نام شقيق البلخي رحمه الله تعالى ليلة عن ورده فعتبته امرأته فقال لا تعتبيني بان نمت عن وردي هذه الليلة فان غالب علماء بلخ وزهادها يصلون الليل ويصومون ويعملون فضائله وكيف ذلك قال يبيت أحدهم يصلي طول الليل ويصبح صائما طول النهار ثم ينال من عرض شقيق ويأكل لحمه فتكون حسناتهم كلها في ميزانه وكان أبو امامة رضي الله عنه يقول ان العبد ليعطى كتابه يعني يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقول يا رب أنى لي هذه فيقال له هذا بما اغتابك الناس وأنت لا تشعر وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت والدي لانهما أحق بحسناتي من غيرهما وكان محمد بن علي الترمذي رحمه الله تعالى يقول من وقع في عرض أحد فكأنه قدمه بحسناته على نفسه وأحبه أكثر من نفسه قلت فلا ينبغي له التكدر بل يحب ما يحصل له من الثواب وان لم يقصده وذلك يعلم ان من تكدر من أهدى اليه حسناته فهو أحمق الا ان كان تكدره لغرض شرعي وكان سعيد بن جبير رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليعمل الحسنات الكثيرة فلا يراها في صحائفه فيقول يا رب أين حسناتي فيقال له ذهبت باغتيابك الناس وهم لا يعلمون وكان منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى يقول لا تنالوا السلطان اذا ظلم بل أكثروا له الاستغفار فانه ما ظلمكم الا بذنوبكم وقد سئل الزهري أي قيل له أتقع في عرض من يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال نعم وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول من الغيبة المحرمة التي لا يشعر بها أكثر الناس قولهم ان فلانا أعلم من فلان فان المفضول يتكدر من ذلك ومن المعلوم ان حد الغيبة أن يذكر الشخص أخاه بما يكره وقيل ان طبيبين يهوديين دخلا على سفيان الثوري مرة فلما خرجا قال لولا أخشى ان تكون غيبة لقلت ان أحدهما أطب من الآخر وكان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى اذا سئل عن مقام أحد من العلماء يقول سلوا غيري عن ذلك فاني أخالط الناس بعين الكمال والصلاح وليس عندي كشف أعلم به مقامهم عند الله تعالى والظن أكذب الحديث وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اذا مر على قوم يغتابون أحدا يقول قوموا

الزمان الا من عصمه الله اغتروا بالزى والنطق والهيئة فشابهوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وألفاظهم وآدابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وأحوالهم الظاهرة في

فتوضؤا فان بعض ما تتكلمون به ربما كان أشد من الحدث وقد كان أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة القراء وضيافة الاشقياء وكان ميمون بن يسار رحمه الله يقول اغتيب رجل مرة في مجلسي وأنا ساكت فقدم الي في تلك الليلة جيفة منتنة وقيل لي كل هذا فقلت معاذ الله كيف ذلك فقيل هذا بما اغتيب عندك وأنت ساكت وقد كان خالد الربعي رحمه الله تعالى يقول تناول الناس رجلا يوما في المسجد فأمنتهم عليه فلما كانت تلك الليلة قدم الي قطعة لحم خنزير وقيل لي كل فقلت معاذ الله ان آكله فادخلوها في فمي كرها علي فاستيقظت وأنا أجد طعم ذلك في فمي ومكثت رائحته في فمي أربعين صباحا والناس تشمه مني وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول مثال من يغتاب الناس مثال من ينصب منجنيقا على سنانه ويصير يرمي بها شرقا وغربا في كل جهة اه وكان عطاء الخراساني رحمه الله تعالى يقول لا تنكدروا ممن اغتابكم فانه أحسن اليكم من حيث لا يشعر وقد بلغنا ان من اغتيب غيبة واحدة غفر له نصف ذنوبه وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول لا يكمل صلاح الرجل عند الله تعالى حتى يكون علكا في أفواه الناس وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول من قال ان في القوم جفاة فليس ذلك غيبة انما الغيبة أن يقول هم جفاة أي لانه عين من اغتابه وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول عرضت على نفسي مرة الصوم في يوم حر شديد أو ترك ذكر الناس فكان الصوم أهون عليها من ذلك وكان عبد الله ابن المبارك رحمه الله تعالى يقول لا تذكروا أهل الاهواء والبدع بسوء الا لمن يبلغ لهم ذلك لعلهم ينزجرون والا فلا فائدة لذكرهم عند من لم يبلغهم (قلت) قد يقصد القائل بذلك تقبيح تلك الصفات في عيون الحاضرين وتلك فائدة بلا شك وكان يقول في حديث لا غيبة في فاسق أي لا تغتابوا الفسقة وكفوا عن غيبتهم وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ثلاث خصال اذا كن في مجلس فان الرحمة مصروفة عن أهله ذكر الدنيا وكثرة الضحك والوقيعة في الناس وقد بلغنا ان الكاذب يتطور كلبا في النار والحاسد يتطور في النار خنزيرا والمغتاب يتطور في النار قردا وكذا النمام وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول ان من الغيبة المحرمة ان تثبت عيب أخيك في قلبك وتترك ان تتكلم به خوفا من عداوته لك وكان يقول من تجرأ على التصريح بغيبة أحد جره ذلك الى أن يصير يقول في الناس الزور والبهتان اه فاعرض يا أخي على نفسك هذه الامور وانظر هل سلمت من الوقوع فيها فتشكر الله تعالى أم وقعت فيها فتستغفره وأكثر يا أخي من الاعمال الصالحة لتعطي منها أصحاب الحقوق يوم القيامة واعتقد في نفسك الفسق فضلا من اعتقادك فيها الصلاح من كثرة ما تسمع من المحجوبين عن الله تعالى في حقك بانك من الصالحين وقد قالوا اجهل الجاهلين من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس وقبيح على شيخ الزاوية مثلا ان يجلس في مجالس الغيبة والنميمة أو يقر أحدا على ذلك فانه يصير فاسقا وهذا أمر قد استهان به الناس الآن مع انه أقبح من بيع الحشيش ومع ذلك فلا يكاد أحد يستقبحه كل القبح فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فاعلم ذلك يا أخي واجتنب تلك الصفة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم وسوستهم في الوضوء والصلاة وفي القراءة فيها وغير ذلك من العبادات مع مبالغة أحدهم في الورع الى الغاية وذلك لان حصول أصل الوسوسة انما هو من ظلمة القلب وظلمة القلب من ظلمة الاعمال وظلمة الاعمال من أكل الحرام والشبهات فمن أحكم أكل الحلال فليس لابليس عليه سبيل مطلقا وقد أكل قوم من أطعمة الظلمة والمكاسين والقضاة والمباشرين ومن يدبسع عليهم من التجار وغيرهم وطلبوا الحضور مع الله تعالى والخشوع في عباداتهم ومعرفة ما فعلوه منها تماما تركوه فلم يصح لهم ذلك وكان غاية ما حصل أحدهم العناء والتعب والعقز في الهواء حال النية في الصلاة كانه يخطف شيئا انفلت من يده وتراه اذا كبر يقول الله الله الله اكبار بار بار واذا أراد يقرأ يقول بس بس بس الل الل الل هو واذا أراد يتشهد يقول أت أت أت حيات واذا سلم يقول اس اس اس ونحو ذلك كما هو مشاهد من أحوالهم وقد أفتى بعض العلماء ببطلان الصلاة بذلك وقال انه ليس بقرآن ولا ذكر وانما هو

(١) السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادة مع اطراق الرأس وادخاله في الجيب كالمتفكر مع تلبيس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث وفي الصياح الى غير ذلك

كلام أجنبي من كلام الآدميين فانه صاحبه على وجه العمد لا السهو وقد كان شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ان أحق ما يتسمى به هؤلاء الموسوسون ان يقال لهم مبتدعة لا فقهاء وذلك لان أحدهم ربما يتوهم بطلان عبادة الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين وأنت لو قلت لاحدهم توضأ كما بلغك من وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضوء أصحابه رضي الله عنهم ربما انه لا يرضى بذلك ولا يعتقد صحته نسأل الله العافية وهذا هو الضلال المبين وقد بسطنا الكلام على ذلك في الباب الخامس عشر من كتابنا المنن الكبرى فراجعه ان أردت ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كتمانهم الاسرار وعدم تبليغهم أحدا ما يسمعونه في حقه وقد قالوا قلوب الاحرار قبور الاسرار وان لم يكن أهل الله تعالى يكتمون الاسرار فمن بقي يكتمها وهذا الخلق قد صار غريبا في هذا الزمان فربما يسمع الشيخ الكلمة الآن فيحكيها لغالب من يدخل عليه وربما كان فيها خراب الديار وتراه يقول قد أخبرنا بذلك شخص من أولياء الله تعالى لا يصح في حقه نهمة وتسميه وليا من أولياء الله والحال انه معدود من الفاسقين بنقل النميمة وافساده بين الناس وان لم يقصد هو ذلك وفي الحديث لا يدخل الجنة قتات يعني نماما وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى وامرأته حمالة الحطب قال كانت تمشي بالنميمة بين الناس وكان اكثم بن صيفي رحمه الله تعالى يقول من علامة النمام النقل بين الناس فلا تكاد تراه عزيزا أبدا وكان يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى يقول النمام شر من الساحر ولا يشعر به أحد فانه قد يعمل في ساعة ما لا يعمله الساحر في شهر فان النميمة سفكت الدماء ونهبت الاموال وهاجت الفتن لعظلم وأخرجت الناس من أوطانهم وغير ذلك من المفاسد وكان أبو موسى الاشعري رضي الله عنه يقول لا يسعى بين الناس بالفساد الا ولد بغي لانه يهلك نفسه ويهلك أخاه ويهلك الذي أنهى اليه الكلام وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول من نقل اليك نقل عنك ومن مدحك بما ليس فيك فلا تأمن أن يذمك بما ليس فيك وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول احذر ممن يكتم أكثر من يحدث بما يسمع فان من يكتم يصدق الناس قوله أكثر لاستبعادهم الكذب عليه وربما تكلم الشخص بكلمة لن يأتمنه فتكلم بها فاخرب الديار وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول لا يقدر على كتمان ما يسمع الا من صح نسبه وأما ولد الزنا فانه لا يستطيع الكتمان وقد ترك بعض اخوان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى زيارته زمانا ثم جاء معتذرا فوقع في عرض بعض الناس عنده فقال له ابراهيم والله ان ترك زيارتك لنا غنيمة بغضت الى أخي واشغلت قلبي فليتك لم تزرني هذا اليوم اه وكان منصور بن زاذان رحمه الله تعالى يقول والله اني لفي جهاد مع كل من جالسني حتى يفارقني فانه لا يكاد يسلم من تبغيض صديقي الى أو من تبليغ غيبة من اغتابني فيدخل على الكرب من ذلك وكان شداد بن حكيم رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم حسنات أخيكم أكثر من سيئاته فاذكروه بالمحاسن وتجاوزوا عن مساويه وكان يقول من أبغض بقول الناس وأحب بقول الناس أصبح نادما على ما فعل فانه قل ان يقع التعديل أو التجريح بحق وانما يقع ذلك بالعصبية وهوى النفس وقد كان خالد بن صفوان رحمه الله تعالى يقول امقتوا النمام وان كان صادقا لان النميمة رواية وقبولها اجازة فصير قبولها شرا منها اه فاعلم ذلك يا أخي واحذر من افشاء سر اخوانك أو غيرهم في هذا الزمان ولا تقل اني لم أقصد ذلك فانك في النصف الثاني من القرن العاشر صاحب الفتن والغرائب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) الاشتغال بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس عملا بقوله وفي أنفسكم أفلا تبصرون وعملا بحديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأيضا فان المطلع على عيوب الناس معدود من جملة الشياطين أي البعداء من رحمة الله تعالى وأهل الله لا يرضون لنفوسهم ان يكونوا كذلك وقد كان زيد القمي رحمه الله تعالى يقول قرأت في بعض الكتب الالهية يا ابن آدم جعلت لك مخلاتين مخلاة امامك ومخلاة خلفك فالمخلاة التي خلفك فيها عيوبك والمخلاة التي امامك فيها عيوب الناس

فلما تعلموا ذلك ظنوا ان ذلك يحجبهم فلم يتعبوا أنفسهم قط بالمجاهدة والرياضة والمراقبة للقلب وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الجلية والخفية وكل ذلك من منازل

فلو نظرت الى التي خلفك لشغلتك عن التي أمامك اهـ وكان رحمه الله يقول يتيقن أحدكم عيوب نفسه ومع ذلك يحبها ويبغض أخاه المسلم على الظن فأين العقل وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم الرجل موكلا بعيوب الناس فاعلموا انه عدو وقد خادع الله وقد مكر به وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول عجبا للناس يقع أحدهم في عرض أخيه وهو غائب فاذا حضر أظهر محبته وسارع الى مدحه فمن زعم ان الله تعالى يحبه وهو يقع في اعراض الناس فهو كاذب لانه شيطان والشيطان عدو الله وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من عقل العاقل ان لا يعير أحدا بذنب فانه ربما عيرت أحدا بذنبه فابتليت بذلك الذنب بعد عشرين سنة وقد بلغنا ان عيسى صلى الله عليه وسلم كان يقول لا تنظروا في عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا في عيوبكم لانكم عبيد فان الناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء واشكروا الله على العافية وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تقول ان العبد اذا اقت عند الله تعالى أطلعه على مساوي عمله فشغله بها عن مساوي الناس وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لو بغى جبل على جبل لهد الباغي منهما (قلت) ومما ينبغي التفطن له احتساب العبد بالله تعالى على من ظلمه فانه يهلكه بذلك وان هذا أعظم في هلاكه من مقابلته بالبغي عليه في الظاهر فما تركه ظاهرا قابله باشد منه في الباطن فينبغي لمن بغي عليه ان لا يحتسب بالله على عدوه بل يسأل الله تعالى ان لا يؤاخذه بسببه والله أعلم وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رحم الله من أهدى الي عيوبي وكان عبد الله التيمي رحمه الله تعالى يقول لا يعيب الرجل الناس الا بفضل ما عنده من العيب وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول من استقصى عيوب اخوانه بقي بلا صديق فقد بلغنا ان الناس أتوا أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه برجل عليه حد والناس حوله كالجراد فقال علي رضي الله عنه أنشد بالله ان كل شخص أتى منكم هذا الحد فلينصرف فانصرفوا كلهم اهـ فاحفظ لسانك يا أخي فان من شق جيب الناس شق واجبه واياك ان تنسى نفسك اذا اطلعت على عيب أخيك المسلم بل الواجب عليك ان تجعل ذلك مذكرا لعيبك فان الطينة واحدة وما جاز وقوعه من غيرك جاز وقوعه منك وفي الحديث من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمل ذلك الذنب اهـ (قلت) واذا أطلعك الله تعالى على عيب أحد من طريق كشفك فاستغفر الله تعالى فانه كشف شيطاني فاعلم ذلك يا أخي واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

التصوف ثم انهم يتكالبون على الحرام والشبهات وأموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والملابس والجبة ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم أعراض

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) حسن خلقهم مع جفاة الطباع تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملا بقوله وخالق الناس بخلق حسن وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان الرجل ليكون فيه تسعة أخلاق حسنة وواحد سيئ فيغلب ذلك الواحد التسعة فاتقوا عثرات اللسان وكان بشر بن عمر رحمه الله تعالى يقول ليس لسيئ الخلق الا الهجران وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول مثل السيئ الخلق مثل الفخارة المكسورة لا يتنفع بها ولا تعاد طينا وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول أول من يجني على سيئ الخلق سوء خلقه فانه يعذب نفس صاحبه كما هو مشاهد وقد سئل مرة عن حسن الخلق المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن فقال هو السخاء والعفو والاحتمال وقد سئل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه عن ذلك أيضا فقال هو موافقة الناس في كل شيء ما عدا المعاصي وكان يقول من كثر همه سقم بدنه ومن قل ورعه مات قلبه وكان أبو حازم رحمه الله يقول ان من سوء الخلق للرجل أن يدخل على أهله وهم في سرور يضحكون فيتفرقون خوفا منه ومن سوء خلقه أيضا هروب الهرة منه وصعود كلبه الحائط خوفا منه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لمن خطب امرأة وهو يعلم من نفسه سوء الخلق فليعلمها بذلك والا غشها انتهى وسيأتي بسط ذلك مفرقا في هذا الكتاب فانه كله محاسن أخلاق فلا يصح لاحد التقليد بحسن الخلق الا ان تخلق بها جميعا وذلك عزيز جدا ولا يخرج من الغش الا ان اتهم نفسه بسوء الخلق ثم انه يتعجب على من زعم انه من الصادقين

الباقة أن يكون خلقه سيأ خلاف الشاس من شره كأنه يجمع على جماعته لفسده قالوا من علامة المنافق أن يترك الناس اتقاء فحشه وفي الحديث مرفوعا شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه فاعلم ذلك يا أخي وحسن الخلق والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الفتوة والمروءة تخلقا بأخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخلاق الصحابة والتابعين والعلماء العاملين رضي الله تعالى عنهم أجمعين فانه لا خير فين لا فتوة عنده ولا مروءة ولو كان على عبادة الثقلين وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هي ترك ما يعاب به عند الله وعند خلقه وقد أجمع السلف على وجوب المروءة والفتوة في طريق القوم وأن تركهما من أخلاق المنافقين وفي الحديث سيأتي على الناس زمان تقصر فيه المروءة وتدق فيه الاخلاق ويستغني فيه الرجال بالرجال والنساء بالنساء واذا وجد ذلك فلينتظر والعذاب صباحا ومساء وقد سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن المروءة ما هي فقال هي عرفان الحق وتعاهد الاخوان بالبر وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول المروءة هي صيانة النفس عن الادناس وعن كل شيء يشين العبد بين الناس وانصاف الناس في جميع المعاملات فمن زاد على ذلك فهو متفضل وكان ربيعة رضي الله عنه يقول المروءة في السفر هي بذل الرجل الزاد وقلة خلافه على الاخوان وعدم المزاح معهم وكان بعضهم يقول ليس من المروءة أن يربح التاجر على صديقه (قلت) بل المروءة في التاجر رضاه بالربح اليسير لا ترك الربح بالكلية لان موضع التجارة انما هو الربح دنيا وأخرى فيأخذ من صديقه الربح اليسير الذي لا يرضى به غيره من التجار الاجانب أي لا يقنع به فان من باع بغير ربح افتقر وركبه الدين والله تعالى أعلم وقد سئل أبو عبد الله محمد بن عراق رحمه الله تعالى عن المروءة ما هي فقال هي أن لا تفعل فعلا تستحي من ظهوره في الدنيا والآخرة وكان أبو هريرة رضي الله عنه اذا سئل عن المروءة يقول هي الغداء والعشاء في أفنية الدور لا في داخلها وقد كتب الحسن بن كيسان رحمه الله على باب داره رحم الله من دخل فأكل وكان السلف اذا استعار أحدهم قدرا يطبخ فيه ردها ملآنة طعاما ويملأها صاحبها طعاما ثم أعارها لمن طلبها ويقول كرهت أن أعيرها لاخي فارغة وقد سئل الاصمعي رحمه الله تعالى عن المروءة فقال هي طعام موضوع ولسان حلو ومال مبذول وعفاف معروف وأذى مكفوف اهـ فاعلم ذلك يا أخي فقد سمعته قال سلفك عن المروءة فاعمل عليه وكن يا أخي متشبها بأهل المروآت ان لم تكن منهم حقيقة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة السخاء والجود وبذل المال ومواساة الاخوان في حال سفرهم وفي حال اقامتهم فانه بذلك يقع التعاضد في نصرة الدين الذي هو مقصودهم وفي الحديث اذا كان أغنياؤكم سمحاءكم وأمراؤكم خياركم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله شيئا فأمر له بأربعين شاة فرجع الرجل الى قومه وقال يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر وقد زوج الحسين بن علي رضي الله عنهما امرأة فبعث معها بجواري مع كل جارية ألف درهم قال ودخل عبد الله بن أبي بكرة الصحابي رضي الله عنه يوما مجلسا فأوسع له رجل في المجلس فلما أراد القيام قال لذلك الرجل الحقني الى منزلي فلحقه فأمر له بعشرة آلاف درهم رحمه الله وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يشترط على من يريد صحبته في السفر أن يكون عبد الله هو الذي ينفق عليه وان يكون خادما ومؤذنا وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول الجنة دار الاسخياء والنار دار البخلاء وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول علامة الكريم أن يكون شيبه في مقدم رأسه ولحيته وعلامة اللئيم أن يكون شيبه في قفاه وان لا ينفع غيره بشيء الا رغبة أو رهبة وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول عجبا للرجل اللئيم يبخل بالدنيا على أصدقائه ويسخى بالجنة لاعدائه وكان امامنا الشافعي رضي الله عنه يقول من علامة اللئيم انه اذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه وتكبر

بعض مهما سأله في شيء من غرضه فهؤلاء غرورهم ظاهر فمثالهم كمثل عجوز سمعت ان الشجعان والابطال والمقاتلين تثبت أسماؤهم في الديوان فتزينت بزيهم ووصلت الى الملك فعرضت

على أهل الفضل والشرف وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهاون بالقصعة في الاطباق كالفاكهة اه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول عجبت ممن يبقى معه مال وهو يسمع قوله سبحانه وتعالى ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم (قلت) ومتى كان سبب توقف العبد في الانفاق وجود الخبر التي أمر الله تعالى بها عدم تصديقه بما وعده الله به من الاجر وتضعيف الثواب فلا ينفعه عمل ولو صار أمثال الجبال لانه بناه على غير أساس اذ من كمال المؤمن الكامل أن لا يتفاوت عنده ور ونامل يا أخي لو جلس انسان وبين يديه زنبيل ملآن ذهبا وقال كل من أعطى فقيرا درهما أعطيته دينارا كيف يبادر الناس ويسارعون الى بذل الدراهم للفقراء بخلاف مالو وعدهم بالدينار بعد سنة مثلا فانه لا يعطيه الا القليل منهم وذلك لضعف تصديقهم له ولو ان ايمانهم كان كاملا لاجابوه كلهم اذ من شرط كامل الايمان ان يكون ما وعد به الشارع غيبا كالحاضر عنده على حد سواء ومن هنا تقدم من تقدم وتأخر من تأخر اه والله أعلم وقد سئل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن العاقل من هو فقال من يكنز ماله في مكان لا يأكله السوس ولا تصل اليه اللصوص يعني في السماء وقد كان كسرى يقول أنت للمال ما أمسكته فاذا أنفقته كان لك قال ودخل شخص البصرة فقال من سيد هذا المصر فقيل له الحسن بن أبي الحسن البصري فقال وبم سادهم قالوا لانه استغنى عما بايديهم من الدنيا واحتاجوا الى ما عنده من العلم والدين فقال الرجل بخ بخ هذا سيدهم بلا شك وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى لاشكو اليك من عبادي من أربعة أشياء استقرضتهم مما أعطيتهم فبخلوا وحذرتهم من ابليس فلم يحذروا ودعوتهم الى الجنة فلم يجيبوا وخوفتهم من النار فلم يخافوا واجتهدوا في أعمالها وقد جاءت امرأة يوما الى الامام الليث ابن سعد رضي الله عنه باناء صغير تطلب منه فيه عسلا وقالت ان زوجي مريض قال فأمر لها الامام براوية ملآنة عسلا فقيل له انها طلبت قدحا صغيرا فقال انما طلبت على قدرها ونحن أعطيناها على قدرنا وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول عجبا لك يا ابن آدم تنفق في شهواتك اسرافا وبدارا وتبخل في مرضاة ربك بدرهم ستعلم يا لكع مقاملك عنده غدا وكان يقول أعطوا الشعراء وذوي اللسان فان من لم يبال بالشكاية فيه فقد نادى على نفسه بالدناءة وقلة المروأة وكان يقول اياك أن تطلب حاجة من بخيل فان من طلب منه حاجة فهو كمن يطلب صيد السمك من البراري والقفار وكان أبو القاسم الجنيد رحمه الله تعالى لا يمنع قط أحدا ساله شيئا ويقول أتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) ومن أسماء الله تعالى المانع فيمنع سبحانه وتعالى من ساله حاجة لحكمة لا لبخل تعالى الله عن ذلك فما نقل عن بعض الاكابر انه منع السائل فهو لحكمة لا لبخل تخلقا باخلاق الله عز وجل وقد بعث معاوية الى عائشة رضي الله عنهما يوما بمائة ألف درهم ففرقتها في وقتها ولم تبق لها عشاء ليلة وقد فرق طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مائة ألف درهم وهو جالس يخيط في طرف ردائه برقعه وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول ما رأيت بعد النبي صلى الله عليه وسلم أجود من معاوية رضي الله عنه لقي الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال مرحبا بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بثلثمائة ألف درهم ثم لقي عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فامر له بمائة ألف درهم وكان حماد بن سلمة رحمه الله تعالى يدعو على سماطه في كل ليلة من شهر رمضان خمسين رجلا يفطرون معه فاذا كان يوم العيد كسا كل واحد منهم ثوبا واعطاه مائة درهم وكان يعطي معلم ولده القرآن كل شهر ثلاثين دينارا وقد انقطع زر ثوبه مرة فاصلحه له الخياط فاعطاه ثلاثين درهما واعتذر اليه وكان رحمه الله يقول لولا سؤال المحتاجين لي ما تجرت في شيء أبدا وكان رحمه الله تعالى اذا رأى امرأة جميلة تسأل الناس يكرمها ويعطيها الدراهم والثياب ويقول انما أفعل ذلك ليرغب الناس في تزويجها خوفا عليها من الفتنة وكان عبد الله بن أبي بكرة رضي الله عنهما ينفق على جيرانه أربعين دارا من كل جانب ويفطرهم على الكسرة وكان يبعث اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعياد وكان يعتق كل سنة في عيد الفطر مائة مملوك وكان عبد الله بن أبي ربيعة رحمه الله تعالى اذا خدمه عبد من عبيده أعتقه

على ميزان العرض فوجدت عجوز سوء فقيل لها أما تستحي في استهزائك بالملائكة اطرحوها حول الجبل فطرحت حول الجبل فركضتها حتى قتلها (وفرقة أخرى) زادت على هؤلاء

وانما كان لغيره اشتراه من مولاه وأعتقه ولما مرض عبد الله بن لهيعة زاره الامام الليث رحمهما الله تعالى فرآه يبكي فقال له ما يبكيك يا عبد الله قال علي ألف دينار دينا قال فارسل الامام خادمه فأتاه بها وأوفى عنه الدين وقد دعي عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما الى وليمة فلم يحضر لعائق حصل له فارسل الى صاحب الوليمة خمسمائة دينار واعتذر اليه وسأله أن يسامحه في عدم الحضور وجاء رجل الى سعيد بن العاص رضي الله عنه يسأله شيئا فامر له بخمسمائة وأطلق فقال الغلام ستطلبها من سيدك دنانير أو دراهم فقال سعيد أنا ما أردت الا الدراهم ولكن حيثما ترددت أنت في ذلك فصيرها له دنانير قال فجلس الرجل يبكي فقال له سعيد ما يبكيك فقال أبكي على مثلك ينزل تحت الارض ويأكله التراب وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يقول اللهم ارزقني مالا أجود به فانه لا يصلح الفعال الا المال ثم ينشد قوله

أرى نفسي تتوق الى فعال * فيقصر دون مبلغهن مالي

فلا نفسي تطاوعني ببخل * ولا مالي يبلغني فعالي

فاعلم ذلك يا أخي واياك أن تتظاهر بالمشيخة وأنت على خلاف أخلاق القوم في الكرم والسخاء والجود والمواساة فقد كانوا يعطون المال الجزيل ولا يرون لهم فضلا على أحد وكان أحدهم يشق ازاره نصفين ويعطي أخاه نصفه وقد سئل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما حق المسلم على المسلم قال أن لا يشبع ويترك أخاه جائعا ولا يلبس ويترك أخاه عاريا ولا يبخل عليه بالبيضاء والصفراء وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول كيف يبخل أحدكم بديناره ودرهمه على أخيه واذا مات بكى عليه أشد البكاء وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يهدي بعضهم الهدية الى أخيه فيهديها الآخر الى أخيه فلا تزال تلك الهدية تدور بينهم حتى ترجع الى مهديها الاول اه مع أن كلا منهم محتاج اليها ولكن كانوا يؤثرون على أنفسهم وكان أحدهم اذا تزوج وهو فقير يعطون عنه المهر ويعطونه قوت سنة ادخالا للسرور عليه ودفعا لما لعله يقع فيه من الاهتمام بامر المعيشة كما هو الغالب على من يتزوج وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما لا يرد سائلا قط وسأله مرة شخص فامر له بعشرة آلاف دينار فقال له الرجل اني لا أجد ما أجعلها فيه فاعطاه طيلسانه وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول أحب أموالي الي ما وصلت به اخواني وأبغضها الي ما خلفته ورائي وقد كانوا اذا أقبل عليهم السائل يفرحون به ويقولون مرحبا بمن جاء يحمل أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة ويقلل عنا ما يشغلنا عن عبادة ربنا سبحانه وكان يرسل أحدهم الى أخيه الالف دينار ويقول له فرقها على المحتاجين ولا تنسبها الي وقد كان الضحاك رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسان يوسف عليه الصلاة والسلام أن كل من مرض في السجن قام عليه وكل من احتاج وسع عليه وكان عليه الصلاة والسلام اذا لم يجد عنده شيئا للفقير يدور على الابواب يسأل له الناس وقد كان السلف اذا مات لاحدهم خادم يرسلونه خادما خلافه وكان يقبل ذلك وهو ساكت ولا يرى له فضلا على أخيه وكانوا اذا بلغهم أن على أحد من اخوانهم دينا يوفونه عنه من غير أن يشاوروه عليه وكان المديون اذا علم ذلك يسكت وكأنه أوفاه من ماله لما يعلم من طيبة نفس أخيه بذلك وقد كانت معيشة الربيع بن خثيم وابراهيم النخعي وعطاء السلمي رضي الله عنهم من صلة الاخوان ولم يكن لاحدهم زرع ولا ضرع ولا غير ذلك (قلت) وما جاء عن السلف من ذمهم ترك الحرفة والاكل من طعام الناس محمول على من يمن بذلك عليهم أو يطعمهم لاجل دينهم وعلمهم وكانوا اذا سأل أحد من اخوانهم وفاء دين يوفونه عنه ويقولون يا ويلنا قصرنا عن البحث عن حال أخينا حتى أحوجناه الى سؤالنا وقد بلغ ابن المقنع رحمه الله أن جاره عزم على بيع داره لدين عليه فارسل له ثمن الدار وقال له لا تبعها فان نفعنا بها أكثر من نفعك أنت بها طالما جلسنا في ظلها وكان ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى يجمع كل قليل جماعة من الفقراء ويجلسهم في المسجد ويقول لهم تعبدوا وأنا أقوم بخدمتكم ومؤنتكم وقد كان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من طلب مرضاة الاخوان بلا احسان فقد أخطأ الطريق وفي رواية فليصل أهل

في الغير وانصب عليها الاقتداء في بذاذة الثياب والرضا بالدون في المطعم والمنكح والمسكن وأرادت أن تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من أن تتزيى بزيهم فتركت الخز والابريسم

القبور وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول خير المسلمين من أعانهم ونفعهم وكان عيسى
عليه الصلاة والسلام يقول استكثروا من شيء لا تأكله النار ولا التراب فيقولون ما هو فيقول المعروف
فان من لم تنفعك أيام صداقته فلا عليك منه ان قرب أو بعد اهـ فتأمل يا أخي في نفسك واتبع أقوال
سلفك الذين تزعم انك خلفهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة محبتهم لاصطناع المعروف الى الاخوان ومحبة
الانبساط اليهم وادخال السرور على بعضهم بعضا وتقديم اخوانهم في ذلك على أنفسهم وكانوا لا يتوقفون
على استحقاق اخوانهم لذلك ويقولون ان لم يكن أخونا أهلا للمعروف فنحن من أهله وكان علي رضي
الله عنه يقول اصنع المعروف ولو الى من يكفره فانه في الميزان أثقل ممن يشكره وكان محمد بن الحنفية رضي
الله عنه يقول صانع المعروف لا يقع ولو وقع لا ينكسر وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه يقول اللهم ارم
بالشلل مانع الناس المعروف وكان معمر رحمه الله يقول قد صار المعروف والاحسان اليوم سلما
للسوء حتى قال الناس اتق شر من تحسن اليه كل ذلك لتطور وج الامور عن موضوعاتها لقرب الساعة وكان
يقول من أقبح المعروف أن تحوج السائل الى أن يسأل وهو خجل منك فلا يجيء معروفك قدر ما قاسى من
الحياء وكان الاولى أن تتفقد حال أخيك وترسل له ما يحتاج ولا تحوجه الى السؤال وكان الفضيل بن عياض
رحمه الله تعالى يقول نحن لا نعد القرض من المعروف لان صاحبه يطلب المقابلة وانما المعروف المسامحة
للناس في كل ما يطالبونه منك في الدنيا والآخرة وكان السري السقطي رحمه الله تعالى يقول ذهب
المعروف وبقيت التجارة يعطي أحدهم لأخيه الشيء لأجل أن يعطيه نظيره وقد كان وهب بن منبه
رحمه الله تعالى يقول من يكافئ صاحب الهدية فهو من المطففين وكان عبد الله بن عباس رضي الله
عنهما يقول لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تعجيله وتصغيره عند معطيه واخفاؤه عن الناس وكان
المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول لاولاده كل فقير رأيتموه يغدو ويروح على بابكم فاعلموا أنه
محتاج فاعطوه ولا تحوجوه الى السؤال وكفى بالرواح والغدو مسئلة وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى
يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يدخل دار أخيه وهو غائب فيرى السلة مملوءة كعكا فيأخذ منها كل
ما هو يفرق منها بغير اذن فاذا جاء أخوه وأخبر فرح بذلك وقد كان لمحمد بن سيرين رحمه الله تعالى بغل مربوط
في دهليزه فكان كل من احتاج الى ركوبه أخذه وركبه من غير استئذان لما يعلمون من طيب نفسه بذلك
وكان عبد الله بن المبارك مع شدة ورعه يكتب من محبرة اخوانه بغير اذن وقد دعي مسلم بن يسار رحمه الله تعالى
الى وليمة فأبطأ ثم ذهب فلما رآه صاحب الوليمة قال له انك قد أبطأت وقد أكل الناس الطعام وذهبوا وما بقي شيء
فقال له مسلم لعل القصاع قد بقي فيها شيء نلحسه فقال له انا قد غسلناها فقال لعل القدور قد بقي فيها شيء فقال له
وقد غسلناها أيضا فقال لعل كسرة من خبز فقال له لم يبق عندنا ولا لقمة واحدة قال فتبسم عند ذلك مسلم
ورجع فقالوا له انك لم تتكدر منه ونحن نراك قد تبسمت فقال ان الرجل قد دعانا بنية صالحة وردنا كذلك
بنية صالحة فلأي شيء نتكدر منه وقد دخل جماعة دار سفيان الثوري رحمه الله تعالى وهو غائب فأخذوا
ما يأكلون وجلسوا يأكلون ويتحدثون في صلاح سفيان فبينما هم كذلك اذ أقبل سفيان فوجدهم
على تلك الحالة فبكى فقالوا له ما يبكيك قال كيف لا أبكي وقد ذكرتموني بأحوال السلف الصالح وعاملتموني
بأخلاق الصالحين ولست منهم وكان بقية بن الوليد رحمه الله يدخل دار صديقه في غيبته ويأخذ القدر من
على النار ويضعه على باب الدار فيأكل منه ويفرق على الفقراء والمساكين فاذا جاء أخوه فرح بذلك وقال
جزاك الله من أخ صالح خيرا قدمت ما لنا اليوم معادنا وقد كان جعفر بن محمد رضي الله عنهما يقول بئس
الاخ من لا يجترئ أخوه أن يفتح كيسه في غيبته ويأخذ منه ما يحتاج اليه بغير اذنه (قلت) قد يترك
أحدهم ذلك لا لما يعلمه من أخيه من البخل بل قياسا على نفسه والله أعلم وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى
يقول والله ما كنا نظن انا نعيش الى زمان صار الاخ اذا أعطى أخاه شيئا يرى له قدرا في قلبه فاذا أظهر أخوك

وطلبت المرقعات الذهبية والفوطا الرفيعة والسجادات المصبوغات وقيمتها أكثر من قيمة الخز والابريسم ولا يعتقدون معصية ظاهرة فكيف بالباطنة وانما غرضهم رغد العيش وأكل

فصحبتك فلا تبادر إلى تصديقه فإن الإخوان الآن قد صاروا أسرع في الانقلاب وإذا قرب منك إنسان فكن منه على حذر وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من أدخل على إخوانه السرور فهو من الآمنين من عذاب الله تعالى يوم القيامة وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم لا يرى أنه أحق بمتاعه من أخيه إلا إن كان أحوج إلى ذلك من أخيه وكان معن بن زائدة رحمه الله تعالى يقول ما رددت سائلا قط إلا وتبين لي أني مخطئ في ذلك وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول إني لأستحيي من صاحبي أن يزورني ثلاث مرات ولم أعطه شيئا وكان الزهري رحمه الله يقول إن كان لك إلى أخيك حاجة فأته في بيته فإن ذلك أقضى للحاجة وقد قال رجل مرة لأوس بن خارجة رحمه الله تعالى إني جئتك في حاجة صغيرة فقال له اطلب لها رجلا صغيرا وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا سئل في حاجة يبادر إليها ويقول إني أخاف أن أبطئ بها فيستغني أخي عنها فيفوتني الأجر وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول من كان له عندي حاجة فليكتبها في قرطاس ويرسلها إلي فإني أكره أن أرى ذل المسألة في وجه مسلم فإن السؤال أرجح من النوال وإن جل وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئا لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب وأيضا فإنه خصك بالسؤال وربما فيسأل الغير دون غيرك وكان محمد بن واسع رحمه الله إذا سأل أحدا حاجة يقول قد رفعنا أمرها إلى الله فإن قضاها على يديك حمدنا الله وشكرناك وإن لم يقضها على يديك حمدنا الله تعالى وعذرناك وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول إذا كانت لك عند أحد حاجة فابعث رسولك الهدية فقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول مفتاح قضاء الحاجة الهدية وكان عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول لا تطالبوا من أحد حاجة بالليل فإن الحياء في العينين وكان رضي الله عنه يقول من بات يتقلب على فراشه إذا نزل بي بلاء أو هم فلا أقدر على مكافأته لأنه جعلني حاجته عند ربه عز وجل وكان عطاء رحمه الله تعالى يقول إني لأسمع الحديث من الرجل وأكون أعرفه قبل ذلك وسمعته مرارا فأصغي إليه إصغاء من لم يسمعه قط إلا منه وذلك تودّدا أن يخجل إذا سابقته إليه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لكل داخل دهشة فتلقوه بالترحيب وابدؤه بالتحية وفي الحديث لا تنزلوا حوائجكم بمن لا يشتهي قضاءها وكان الربيع بن خثيم رحمه الله تعالى لا يعطي السائل كسرة ولا شيئا مكسورا ولا ثوبا خلقا ويقول أستحيي أن تقرأ صحيفتي على الله تعالى وفيها الأشياء التافهة التي أعطيتها لأجله انتهى فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل أنت على قدم سلفك فيما ذكرته أم خالفت وإياك أن تدعي أنك من الصالحين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله عنهم) عدم مبادرتهم إلى المؤاخاة في الله تعالى بل يتربص أحدهم في ذلك السنة وأكثر أدبا مع الله تعالى أن يؤاخي أو يصادق أحدا من غير معرفته بالوفاء بحقوقه وتنزيله منزلة نفسه في أمور الدنيا والآخرة وهذا الخلق يخل به كثير من الناس فيبادرون إلى مؤاخاة من طلب منهم ذلك ومصادقته ثم بعد مدة يتصارمان وقد قالوا فساد الانتهاء من فساد الابتداء وفي الحديث لا يتوادّ اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما رواه الإمام أحمد رضي الله عنه وفي الحديث أيضا سيكون في آخر الزمان قوم إخوان العلانية أعداء السريرة قالوا يا رسول الله وكيف ذلك قال يتواخون رغبة ورهبة وقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين أصحابه رضي الله عنهم فتطول على أحدهم الليلة حتى يلقى صاحبه وقد كانت العلماء إذا غاب أحدهم عن أخيه ثلاثة أيام وبخ كل واحد منهم نفسه وكان حبيب بن أبي ثابت رحمه الله تعالى يقول لا تؤاخي أحدا إلا إن كنت لا تكتم منه سرا والإثم أجنبي منك وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يواسون بعضهم بعضا ولا يسألون عن كون أخيهم محتاجا إلا ما يواسونه به أم لا وتراهم اليوم يسألون عن أحوال بعضهم ثم لا يسمح أحدهم أن يعطي أخاه درهما وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في الدنيا وأكثر من مواساته من غير طلب عوض منه على ذلك لتدوم لك صحبته وكان سفيان

أموال السلاطين وهم مع
ذلك يظنون بأنفسهم الخير
وضرر هؤلاء على المسلمين
أشد من ضرر اللصوص
لأن هؤلاء يسرقون القلوب
بالزي فيقتدي بهم غيرهم
فيكونون سببا لهلاكهم فإن

الثوري رحمه الله تعالى يقول لا ينبغي لاحد أن يقول لاخيه اني أحبك لله الا بعد ان يعرض على نفسه انه لا يمنعه شيأ طلبه منه ولو طلاق زوجته ليتزوجها وقد سئل عن الاخوة في الله فقال تلك طريق نبت فيها الشوك فلا أحد يسلكها وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول من لم يشق عليه الذباب اذا نزل على بدن أخيه فليس بأخ وقد كان عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول كلما كثر الاخلاء كثر الغرماء يوم القيامة ومن لم يواس اخوانه بكل ما يقدر عليه اقتصوا من حسناته بقدر ما نقص من مواساتهم والمراد بالغرماء الحقوق وكان علي بن بكار رحمه الله تعالى يقول ما رأيت في زماني أحدا قام بحق الاخوة مثل ابراهيم ابن أدهم رحمه الله تعالى كان يقسم الدرهم والتمرة والزبيبة بينه وبين أخيه وان غاب حفظها له حتى يحضر وقد قيل لميمون بن مهران رحمه الله مالك لا يفارقك الاصدقاء فقال لاني كلما رأيت أخي يحب شيأ أعطيته اياه ولا أعز نفسي عليه وكان امامنا الشافعي رضي الله عنه يقول ليس بأخيك من احتجت الى مداراته والاعتذار اليه وقد مات ولد ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى فلم يعزه ابن عون فقيل له ان فلانا لم يعزك في ولدك فقال انا اذا وثقنا بمودة أحد لا يضرنا ان لا يأتينا وكان حامد اللفاف رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يحسنون الى أصدقائهم ونراهم اليوم لا يحسنون ولا لاصدقائهم وكان الاعمش رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يمكث الايام المتوالية لا يلقى أخاه ثم اذا تلاقيا لا يزيد أحدهم الآخر على قوله كيف أنت كيف حالك ولو انه سأله شطر ماله لاعطاه اياه ثم صار الناس اليوم ولو لقي أحدهم أخاه كل يوم أو كل ساعة يقول له كيف حالك كيف أنت ويسأله عن كل شيء حتى عن الدجاجة في البيت ولو أنه سأله درهما لم يعطه اياه وقد قال شخص مرة لبشر الحافي رحمه الله تعالى اني أحبك في الله فقال له ليس ما تقوله حقا وربما كان جارك أهم عندك مني في تذكره عند العشاء فكيف تدعي محبتي وقال شخص لبشر بن صالح اني أحبك في الله فقال له ما حملك على الكذب قال كيف قال تدعي انك تحبني وبرذعة حمارك أكثر قيمة من عمامتي وثيابي وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله عن الاخوة في الله تعالى فقال هي ان تخرج من جميع مالك كما خرج الصديق رضي الله عنه من ماله كله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل بشر الحافي رحمه الله تعالى عن الرجل يحب الرجل ويكره ما يعتنيه ببعض منافع الدنيا أهو صادق في محبته قال نعم ولكنه مقصر عن درجة الكمال وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول من علامة صدق المتحابين في الله عز وجل ان يبادر كل أحد منهم الى مصالحة صاحبه اذا أغضبه فانا لم نجد قط أحدا يجهر بالاخوانه وهو لا يواسيهم كما انا لم نجد قط غضوبا مسرورا ولا حريصا غنيا وقد قيل لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما بال أحدنا ينظر الى ما خرج منه في الخلاء فلا يكاد يغض طرفه عنه فقال لان الملك يقول له انظر الى ما بخلت به على اخوانك الى ماذا صار وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قد صارت اخوة الناس في هذا الزمان كمرقة الطباخ طيبة الريح ولا طعم لها وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول من شرط الصدق في الاخوة ان يكرم الشخص أخاه اذا افتقر أكثر مما كان يكرمه حال الغنى وذلك لان الفقر أشرف من الغنى وصاحبه أحق بالاكرام من حيث المقام لا من حيث حاجة الفقر وكان أبو مطيع رحمه الله يقول لقد أدركنا الناس وهم يتهادون بالمماليك والبراذين والدور والاطباق من المال فصار واليوم يتهادون بالخبز والطعام وعن قريب يترك الناس ذلك ويموت سنة السلف بالكلية وقد كان أحدهم يتعهد أولاد أخيه من حين رجع من جنازته الى حين بلوغهم رشدهم فصار الناس ينسى أحدهم أولاد أخيه وأهله أصلا وكان ابراهيم التيمي رحمه الله تعالى يقول الرجل بلا اخوان كاليمين بلا شمال وقد كان أبو معاوية الاسود رحمه الله ينحت الحجارة ويتقوت منها فلما كبر قالوا له انك قد كبرت وعجزت عن ذلك فقال والله ان نحت الحجارة عندي أهون وألطف من سؤال الناس وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يكوم الذهب والفضة بين يديه ويقول لولا هذا لتمندل الناس بنا ولأن أخلف بعدي ثلاثين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الي من أن أقف على باب أحد أسأله حاجة وكان ميمون بن مهران

أطلع على فضائحهم فيظنون
ان أهل التصوف كذلك
فيصرحون بذم الصوفية
على الاطلاق (وفرقة
أخرى) ادعت علم المكاشفة
ومشاهدة الحق ومجاوزة
المقامات والوصل والملازمه

رحمه الله تعالى يقول من كان الناس عنده سواء فليس له صديق ومن لم يسأل عنك بالغدوات والعشيات فاعدده من الاموات وكل من لم يعدك اذا مرضت ولم يتفقدك اذا احتجت ولم يزرك اذا قصرت عن زيارته فهو من اخوان الطريق ثم ينشد قوله

ألا ذهب التكرم والوفاء * وبادر جاله وبقي الغثاء * وأسلمني الزمان الى اناس

كأنهم الذئاب لهم عواء * اذا ما جئتهم يتسوا تعونى * كأنى أجرب الاعضاء داء

أخلاء اذا استغنيت عنهم * وأعداء اذا نزل البلاء

أقول ولا ألام على مقالى * على الاخوان كلهم العفاء

انتهى فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك وانظر هل عاملت قط اخوانك بهذه المعاملات أم فرطت في ذلك جهلا و عقلا ولا تدعى انك من الصالحين قط ولو عملت باعمالهم فافهم يا أخي ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) اكرام الضيف وخدمته بانفسهم الا بعذر شرعي ثم لا يرون انهم كافؤه بالطعام وخدمته على تخصيصه اياهم بالاقامة عندهم واحسانه الظن بهم وعدم اعتقاده فيهم البخل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدم الضيف بنفسه وكذلك أصحابه واتباعهم رضي الله عنهم ولما قدم وفد النجاشي عليه صلى الله عليه وسلم لم يمكن أحدا يخدمهم غيره صلى الله عليه وسلم وقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أريد أن أكافئهم على ذلك وكان السلف يعدون ليلة الضيف كأنها ليلة عيد لما يحصل لهم من السرور وكان أمير المؤمنين على رضي الله عنه يقول لان أجمع نفرا من أصحابي على طعامي أحب الى من عتق رقبة وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول زكاة الدار أن يجعل فيها بيت للضيافة وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يطعم الضيف ثم يكبره اذا أراد الانصراف ويقول ان فضل اجابته الى طعامي أعظم مما صنعت انا معه وقد كانت كنية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام أبا الضيفان لكونه كان يذهب الميلين الى الضيف ليأتي به الى منزله وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول ليس من السرف التبسط للضيف في الطعام وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى ضيف ابراهيم المكرمين انما كانوا مكرمين لان الخليل عليه الصلاة والسلام خدمهم بنفسه وكان عبد الواحد بن أبي ليلى رحمه الله تعالى لا يدخل عليه أحد الا أطعمه وسقاه ثم اعتذر اليه أي اعترافا بانه مقصر في حقه (قلت) وممن أدركناه على هذا القدم سيدي الشيخ محمد بن عنان والشيخ أبو الحسن الغمري والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد الشناوي والشيخ أبو بكر الحديدي وجماعة رضي الله عنهم أجمعين وكانوا لا يتكلفون للضيف خوفا ان يضجر ويمنعه اذا أتاهم مرة أخرى ويقولون من كان يطعم ضيفه مما يجد فلا يبالي به أي وقت جاء وقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى عن مناولة الضيوف الطعام لغيرهم فقال ان كان لبعضهم فلا بأس وأما للاجنبي فلا وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول من دعي الى طعام فذهب معه بآخر استحق لطمة فان قيل له اجلس ههنا فقال بل ههنا استحق لطمتين فان قال لصاحب الدار ألا تأكل معنا استحق ثلاث لطمات أي لان ما فعله في الثلاث خصال فضول منه اه وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى يجتهد ان يطعم الضيف من شيء لم يكن عنده ذلك الضيف ولا في بلده قال خالد بن دينار رحمه الله دخلت على محمد بن سيرين رحمه الله تعالى ومعي رفقة فاخرج الينا شهدا وقال أظن ان مثل هذا ليس هو عندكم قلنا نعم وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول من أطعم ولم يتمر أي لم يطعم الضيف تمرا أو شيئا حلوا كان كمن صلى العشاء ولم يوتر واعلم ان الواجب على المضيف ان يطعم الضيف من الحلال وان يعلمه بمواقيت الصلاة ولا يقصر عما قدره الله من القسم وحسن الطعام وان الواجب على الضيف ان يجلس حيث أجلسوه وان يرضى بما اليه قدموه وان لا يخرج حتى يستأذن وكان أوس بن خارجة يقول ما دعوت قط نفرا الى طعامي وأكلوا الا رأيت الفضل والمنة لهم على أكثر من منتى عليهم وكان حاتم الطائي رحمه الله تعالى يقول من علامة المتطفل في الزهد انه اذا استضافه أحد يكرم محتاج

في عين الشهود والوصول الى القرب ولا يعرف ذلك والوصول اليه الا باللفظ والاسم فتلقف من الالفاظ الطامة كلمات فهو يرددها وهو يظن ان ذلك من أعلى علم الاولين والآخرين

ابراهيم عليه الصلاة والسلام واذا أضاف فهو أحسن ابن ذكره زهد عيسى عليه الصلاة والسلام وقد كان الامام الاصمعي رحمه الله تعالى يقول اذا استضافك بخيل فبادر الى سوء امام الكريم ولا تأكل له طعاما واياك ان تمد يدك من العلف فانه ربما فرط في عشائها وكان يقول لما استضفت منه بخيل الا وصاحت دابتي جوعا واستغنيت من الخلا وأمنت من التخمة اه قلت وقد أنشدني شيخ الاسلام كمال الدين الطويل رحمه الله تعالى أبياتا في البخيل وهي قوله

واذا أردت اذاه * فارفع عينك من طعامه * فالموت أهون عنده
من مضغ ضيف والتقامه * سيان كسر رغيفه * أو كسر شيء من عظامه
واذا مررت ببابه * فاحفظ رغيفك من غلامه

انتهى فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك هل تخلقت بتلك الاخلاق أم فرطت فيها وقلت ان اطعام الطعام ليس هو من طريقتنا ولا طريقة شيخنا كما يقع في ذلك بعض من ادعى الطريق بغير صدق و يقول ان كل فقير جعل له سماطا فكأنه جعل مكانه مناخا للبطالين فاحذر يا أخي من ذلك فقد ورد في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم ما جبل ولي الله تعالى الا على السخاء وحسن الخلق (قلت) ولا أعلم الآن أحدا من اخواننا في مصر أكرم من الشيخ سليمان الخضيري والشيخ جمال الدين خليفة الشيخ شاهين كثر الله في المسلمين من أمثالهما ونفعنا ببركتهما وزادهما من فضله والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم الاجابة الى طعام من في ماله شبهة من أمير ومباشر وقاض وكاشف وشيخ عرب وشيخ بلد وتاجر يبيع على الظلمة وأضرابهم وكثرة تعففهم عما في أيدي الناس من الحلال واعلم ان من علامة الشبهة في الطعام أن ينوع الانسان الاطعمة لانه لو تتبع الحلال لما وجد شيئا من الحلال ينوع به الطعام ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل طعام المتبارين يعني المتفاخرين وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول لا تأكل الا من طعام التقي النقي ولا تطعم طعامك الا التقي النقي وكان رضي الله عنه لا يجيب الى وليمة الا ان وثق بدين صاحبها وثوقا شديدا وكان أبو مسعود البدري رضي الله عنه لا يجيب الى وليمة الا ان علم أن لا يكون هناك شيء نهى الله عنه وقد كان أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه اذا ذهب الى وليمة ورأى في البيت سترا رجع و يقول لا يستر البيوت الا الاكاسرة والجبابرة ونحن لا نأكل لهؤلاء طعاما وقد دعي حذيفة رضي الله عنه الى وليمة فرأى هناك شيئا من زي العجم فرجع مسرعا وقال من تشبه بقوم فهو منهم ومن رضي بفعل قوم فهو شريكهم وكان محمد بن سلام السكندري رحمه الله تعالى يقول قد ذهبت السنة في الولائم ان الجفان كانت تملأ طعاما و يغدى بها الى المسجد فيأكل منها كل من كان حاضرا من غني وفقير وشريف ووضيع وكان صاحب الوليمة اذا خص الاغنياء بالدعوة لا يأكل الناس له طعاما و يقولون انه شر الطعام وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الرجل ليكون له موقع من قلبي فاذا رأيته موسعا في الطعام سقط من عيني لقلة ورعه وقد قال لقمان عليه السلام لابنه يا بني اياك وحضور الولائم فانهم سيذكرونك بالدنيا وشهواتها اه وكان أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول لا يكمل الرجل حتى يكون فيه خصلتان التعفف عما في أيدي الناس وتحمل الاذى منهم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى اذا دعي الى وليمة ورأى هناك أحدا من ولاة الجور رجع مسرعا وقال لا نجالس الجبابرة وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول موتوا كلة الصبي تهضم الطعام وموتوا كلة العدو تخمه وكان شقيق ابن ابراهيم رحمه الله تعالى يقول لم يبق في هذا الزمان وليمة على وفق السنة ولقد ندمت على اجابتي الولائم وكان الثوري رحمه الله تعالى يقول لاصحابه عليكم بعدم حضور الولائم ما أمكن الا ان كانت سالمة من البدعة فانه ما أكل رجل قط من قصعة رجل الا ذل له وقد كان أمير المؤمنين عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما لا يجيبان الى حضور الولائم و يقولان نخاف أن يكون الطعام مباهاة وتفاخرا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول نهينا أن نجيب الى طعام من أظهر لنا أمارات الرياء والسمعة في طعامه أو كان في بيته مستور

فهو يتطلب الى الفقهاء والمقرئين والمحدثين وأصناف العلماء بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحائك حياكته ويلازمهم أياما معدودة فيتلقف تلك

كسوة الكعبة وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ان مذمة الناس للشخص في هذا الزمان مدحة له لانهم لا يذمونه الا بما لا يذم به الا نفوسهم وكان موسى بن طلحة رضي الله عنهما يقول أرسل الى عبد الملك بن مروان بثلاث بدر فضة وأرسل يقول فرقها على الفقراء فما جبته الى ذلك ثم أرسلت منها شيأ الى أبي رزين العقيلي وكان مجهودا رحمه الله تعالى فكأنى ألقيت عليه العقارب فردها وبات طاويا وقد أرسل أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بمال الى أبي ذر رضي الله عنه مع عبد له وقال له ان قبله منك فانت حر فلما ذهب اليه العبد بالمال لم يقبله فقال له العبد ياسيدي ان قبولك له فيه عتقي فقال له أبو ذر رضي الله عنه ان كان فيه عتقك فان فيه رقي اهـ فاعلم ذلك وفتش نفسك هل تعففت قط كما تعفف هؤلاء أم أنت كلما دعيت اليه وقلت الاصل الحل وأتلفت نفسك ومن تبعك ممن يقول لولا ان ذلك حلال ما أكل منه سيدي الشيخ واياك ودعوى الصلاح وأنت لم تتعفف والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) * كثرة الصدقة بكل ما فضل عن حاجتهم ليلا ونهارا سرا وجهارا ومن لم يجد منهم شيأ من المال والطعام مثلا تصدق بكف أذاه عن الناس وتحمل هو أذاهم وقد كانت صدقات الفقراء في الزمن الماضي أكثر من صدقات الاغنياء لعدم ادخارهم المال والطعام بخلاف الاغنياء ولا شك أن الفقراء أطيب نفسا بالصدقة من الاغنياء لكمال اعتمادهم ويقينهم وعدم بخلهم بالمال على المحتاجين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعل أن يعودوا به على أولى الحاجة منا وقد كان بعضهم يرسل الى أخيه الرغيف أو التمرة أو النعل مثلا ويقول له انا نعلم غناك عن مثل ذلك وانما أردنا ان نعلمك انك على بال منا وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول الصلاة توصلك الى نصف الطريق والصوم يوصلك الى باب الملك والصدقة تدخلك الى الملك وكان رحمه الله تعالى يقول الاموال عندنا ودائع المكارم وكان ابراهيم بن يوسف رحمه الله تعالى يجمع الاموال ويقول انما أجمع ذلك لبطون جائعة وظهور عارية ولم أجمعه للماء والطين وقد طلبوا منه شيأ لعمارة مسجد فأبى ولم يعطهم شيأ وقال الجائع أحق وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني اذا أخطأت فتصدق ولو برغيف وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول من لم يتكرم بماله فتركه جميع المال أولى وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لا يتصدق أحدكم الا من كسبه الطيب فمن تصدق على فقير من كسب خبيث لم يرحم ذلك الفقير فهو مغرور ورحمته من ظلمه أولى باعطائه ما أخذ منه وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لا يقبل الله تعالى صدقة من تعدى بصدقته مرحمة المحتاج وقد كان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى لا يخرج صدقة فطره الا مغربلة مطيبة وكان ابراهيم النخعي رحمه الله يقول اذا كان مشهد العبد أن جميع ما يتصدق به انما هو ملك لله تعالى فلا عليه ولا يضره اذا كان فيه عيب وكان عروة بن الزبير رحمه الله تعالى يقول تخيروا للصدقة فان الله طيب لا يقبل الا طيبا (قلت) فلكل رجال مشهد وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول يتزوج أحدكم فلانة بنت فلان بالمال الكثير ولا يتزوج الحور العين بلقمة أو تمرة أو خلقة هذا من العجب وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتصدق كثيرا بالسكر ويقول اني أحبه وقد قال تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان الامام الليث بن سعد رضي الله عنه يقول من أخذ مني صدقة أو هدية فحقه على أعظم من حقي عليه لانه قبل مني قربانى الى الله عز وجل وكان معاذ النسفي رحمه الله تعالى يقول من لم ير نفسه أحوج الى ثواب صدقته من الفقير الى صدقته فهو ممن أبطل صدقته بالمن لانه رأى نفسه على الفقير وعند ذلك يضرب بها وجهه وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول من أعطى درهما من مائة درهم ولم يكن هذا الدرهم أعلم وأحب اليه من بقية المائة المدخرة ردت صدقته عليه وضرب بها وجهه وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول لا تحقروا من الصدقة شيأ فان الحبة منها توزن يوم القيامة بجبال الاجر وقد أعطت رضي الله عنها حبة عنب لفقير فردها وكأنه استقلها في عينه فقالت له اما تقرأ قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وكم في هذه العنبة من مثقال ذرة قال

الكلمات الرائقة فيتراه يرددها كأنه يتكلم عن الوحي ويخبر عن اسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد اجراء مغرورون ويقول في العلماء انهم بالحديث

فاستغفر الرجل اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك في ترك تصدقها بما فضل عن حاجتها ولا تعد نفسك من القوم الآن تبعتهم في أخلاقهم وكان آخر من أدركته من أصحاب هذا الخلق سيدي الشيخ محمد الشناوي والشيخ محمد المنير والشيخ عبد الحليم بن مصلح والشيخ محمد بن داود والشيخ محمد العدل وغيرهم رضي الله تعالى عنهم أجمعين وكل هؤلاء كان ألف دينار عندهم كفلس فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) بشاشتهم للسائل وعدم نهرهم له وحلمهم له على أنه ما سأل الا لحاجة وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام وفي الحديث لولا أن بعض المساكين يكذب ما أفلح من رده وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول ان الله ليخول العبد في نعمته وينظر ماذا يصنع فيها مع عباده فان واساهم ما طلبوا والا حولها عنه فلذلك كان السلف يعزمون على أصحابهم ويشددون عليهم في أنهم لا يردون ما أعطوه لهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول أول من انتبه من رقدة الغفلة حبيب العجمي رحمه الله تعالى وذلك أنه اشتهى يوما سمكا فلما أتي به الى منزله ووضعه في القدر جاءه سائل فرده فحول الله تعالى السمك دما فاتعظ بذلك وخرج عن جميع ماله وكان سفيان الثوري رحمه الله ينشرح اذا رأى سائلا على بابه ويقول مرحبا بمن جاء يغسل ذنوبي وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول نعم السائلون يحملون أزوادنا الى الآخرة بغير أجرة حتى يضعوها في الميزان بين يدي الله تعالى وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى قبل زهده في الدنيا اذا جاءه سائل يدخل الى عياله ويقول لهم قد جاءكم رسول المقابر فهل توجهون الى موتاكم شيئا من الصدقة وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء سائل في مسجد في زمان بني اسرائيل يسأل فلم يكترث به القوم فمات فجهزوه وصلوا عليه ودفنوه فلما رجعوا الى المسجد وجدوا الكفن موضوعا على المحراب واذا مكتوب عليه هذا الكفن مردود عليكم والرب ساخط عليكم وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول بغضاء الله في أرضه سؤال المساجد أي لكونهم يسألون الناس في بيته غيره سبحانه وتعالى ويتسببون في مقتهم بعدم اعطائهم ما سألوا منهم وقد قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى ان الفقراء والمساكين قد كثروا وهم يسألون فمن نعطي منهم قال أعطوا من وجدتم في قلوبكم رأفة له وقد كان أبو الاسود الدؤلي رحمه الله تعالى يقول لو أطعنا السؤال في أموالنا لكنا أسوأ حالا منهم (قلت) فينبغي للمتصدق أن يبقي لنفسه ولعياله شيئا ولا يتصدق الا بما فضل عن حاجتهم وقد دخل سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم الحرم يوما فرآه هشام بن عبد الملك فقال له سلني حاجتك يا سالم فقال يا أمير المؤمنين اني أستحي ان أسأل في بيت الله أحدا غيره تعالى وكان الحسن البصري اذا جاءه سائل يعطيه ثم يقول اللهم ان هذا يسألنا القوت ونحن نسألك الغفران وأنت بالمغفرة أجود منا بالعطية وقد دخل سائل يوما على معروف الكرخي رحمه الله تعالى فلم ير عنده ما يعطيه غير نعله فأعطاه اياها ثم بلغ معروفا بعد ذلك أنه باع النعل واشترى بثمنها فاكهة فقال معروف الحمد لله لعله كان يشتهي الفاكهة فواسيناه بثمنها قال ورأى سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم رجلا يسأل يوم عرفة فزجره وقال أما تستحي من الله تعالى تسأل غيره في مثل هذا الموطن ومثل هذا اليوم اه فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك فيما أعطيته للفقراء في الزمن المتقدم فربما منت به ولو في نفسك فيبطل أجرك وربما نهرت المسكين فكان ما نهرته أرجح مما أعطيته اياه من حيث الأذى فاحذر ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) انهم لا يتخذون من الاخوان الا من علموا من نفوسهم الوفاء بحقه فان أخاك اذا لم توف بحقه كان فارغ القلب منك وقد كان المغيرة بن شعبة رحمه الله تعالى يقول اعطوا أولادكم ما سألوا بالمعروف ولا تكونوا أقفالا عليهم فيتمنوا موتكم ويملوا من حياتكم وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة الدنيا والآخرة ألا تسمعون الى قول أهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وفي الحديث ما أحدث عبد أخا في الله الا أحدث الله له درجة في الجنة

وكان

يحبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند أرباب القلوب من الحمقاء الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب

وكان المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول الصديق أمضى من السيف الصارم في يد موفق للغنا في كف الرجل فان المودة لا تحتاج الى قرابة والقرابة تحتاج الى المودة ومن حق الاخ الصادق أن لا تفرط في كثرة سؤاله عن حوائجه وتقول ما يليق وبينه شئ ماله مالي ومالي ماله كما يقع فيه كثير من الجهلة اذ من شأن البشر الشح وخوف الفقر الا من شاء الله وتامل في الجبل والبقرة اذا أكثر من مص بزازها حتى أجهدها كيف تنطحه وترفسه وقد كان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول لولا مصادقة الاخوان في هذه الدار والتهجد في الاسحار ما أحببت البقاء بها وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لا تصاحب في السفر من هو أوسع منك في الدنيا فانك ان ساويته أضر بعيالك وان نقصت عنه استذلك بين الناس وكان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول اذا صادقت غنيا فاحذر من سؤاله ان طلبت حفظ مقامك عنده فان المسألة كدوح في وجه السائل ومن ردما أعطي له كبر في قلب المعطي قهرا عليه وقد كان المهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالى يقول ينبغي للعاقل أن يجتنب مؤاخاة ثلاثة الاحمق والكذاب والفاجر فاما الاحمق فانه لا يشير عليك بخير ولا يرجى لصرف سوء وسكوته خير من نطقه وبعده خير من قربه وأما الكذاب فلا يهنا لك معه عيش وينقل خبرك الى غيرك ويغري بينك وبين الناس العداوة والبغضاء وأما الفاجر فيزين لك فعاله ولا يعينك على شئ من أمور دينك وكان ابراهيم بن زيد العدوي رحمه الله يقول أربعة تفرح القلب التهجد في السحر والزوجة الجميلة الصالحة والكفاف من الرزق والاخ المؤمن فاعلم ذلك يا أخي وفتش نفسك وانظر هل وفيت بحقوق اخوانك وهل تعففت عن سؤالهم بالحال أو بالقال أو بالتعريض وهل صحبتهم لله تعالى أو لغرض نفساني فان كل ما لم يكن لله فهو وبال على العبد في الدنيا والآخرة فطالب نفسك يا أخي بحقوق الاخوان ولا تطالبهم بحقك لا ظاهرا ولا باطنا وقد أنشد امامنا الشافعي رضي الله عنه قوله

صديق ليس ينفع يوم باس * قريب من عدو في القياس * ولا يبقى الصديق بكل عصر

ولا الاخوان الا للتآسي * عمرت الناس ملتمسا بجهدي * أخا ثقة فاكداه التماسي

تنكرت البلاد علي حتى * كأن اناسها ليسوا بناس

وكان رضي الله عنه كثيرا ما ينشد قوله

وليس كثيرا ألف خل لواحد * وان عدوا واحدا لكثير

وأنشدني شيخنا شيخ الاسلام زكريا رحمه الله قوله

عاد الصديق وكاف الكيمياء معا * لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا

اه فاعلم ذلك يا أخي وانتبه لنفسك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) ترك معاداتهم الناس وكثرة مداراتهم لهم وعدم مقابلتهم أحدا بسوء فالناس يعادونهم وهم لا يعادون أحدا وقد بلغنا أن داود عليه الصلاة والسلام قال لابنه يا بني لا تستقل بالعدو الواحد ولا تستكثر أن يكون لك ألف صديق وقد نظم ذلك الامام الشافعي رضي الله عنه وهو قوله المتقدم وليس كثيرا الخ وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول اياك أن تشمت بمصيبة أخيك فان ذلك عنوان العداوة وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من لم يدار الناس لم يجد حلاوة الايمان وقد كان محمد بن الفضل رحمه الله تعالى يجالس أعداءه ويلاطفهم بالكلام الحلو ويعزم عليهم أن يأكلوا عنده فقيل له في ذلك فقال لتخمد نار عداوتهم وكتب صفوان رحمه الله تعالى على باب داره رحم الله من لا يعرفنا ولا نعرفه فانه لم يأت لنا أذى الا من اخواننا الذين يعرفونا ونعرفهم وقد قيل لايوب عليه السلام أي شئ كان أضر عليك أيام بلائك فقال شماتة أعدائي وقد أنشد بعضهم في ذلك يقول

جميع فوائد الدنيا غرور * فلا يبقى لمسرور سرور

فقل للشامتين بنا استعدوا * فان نوائب الدنيا تدور

علما ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان ولو اشتغل بما ينفعه كان أحسن له (وفرقة أخرى) جاوزت هؤلاء فاحسنت الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت

قال ولما بلغ يزيد بن عبد الملك وهو مريض أن هشاما سر بمرضه وتمنى موته أنشأ يقول

تمنى رجال أن أموت وان أمت * فتلك سبيل لست فيها بأوحد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى * تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

وكذلك بلغنا أن امامنا الشافعي رضي الله عنه قال ذلك لما تمنى الاقران موته وكان محمد بن كدام رحمه الله تعالى يقول لابنه يا بني عش مع أهل زمانك ولا تعاديهم ثم يقول وما أشر هذا العيش مع الاحياء والاقتداء بالاموات وكان يقول لاتعادوا أحدا حتى تنظروا الى عمله فان كان عمله حسنا فان الله لا يسلمه اليكم وان كان عمله سيئا فعطاياه تكفيه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لاتشتر مودة ألف رجل بعداوة رجل واحد اه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اياك ومعاداة الناس فاني ما نافقت صديقا في هواه الا وخفت على نفسي منه أن يسعى في قتلي فان لم يسع في قتلي يتمنى ظهور عيوبي للناس وكان محمد ابن مقاتل رحمه الله تعالى يقول احذر شر من تحسن اليه واعذر أخاك بما تعذر به نفسك ثم يقول

وتعذر نفسك انما اساءت * وغيرك بالعذر لاتعذر
وتبصر في العين منه القذى * وفي عينك الجذع لاتبصر

اه فاعلم يا أخي ذلك واياك ومعاداة الناس لاسيما الزوالق ومن يحب الانفراد بالصيت في بلدك فانهم يكدرون عليك العيش ولو كنت من أكابر الاولياء فان الجزء البشري فيك يرق ولا ينقطع فقد قالوا من تهاون بمعاداة الناس فهو دليل على نقص عقله وقالوا ابتلى أكمل الناس بالعوام ورموه بالزور والبهتان لكدروا عليه قلبه وصار لا يفرق بين الخواطر الربانية والشيطانية وقد رأيت بعض اخواننا تهاون بمعاداة شيخ من مشايخ العصر وكان بعض الامراء يعتقده فكلم الشيخ ذلك الامير فكاتب فيه الى أبواب السلطان فجاء الامر بنفيه من مصر فنفي فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة كاتباتهم الى بعضهم بالنصح اذا بعدت الديار وقبول المنصوح النصح وشكره فضل من نصحه خلاف ما عليه الناس اليوم فلا تكاد تنصح أحدا الا وصير يتطرف عيوبك ليهجوك بذلك وكان آخر من أدركت من أصحاب هذا المقام سيدي علي الكازواني نزيل مكة المشرفة كان سيدي محمد بن عراق رحمهما الله تعالى يرسل له المكاتبات التي لاتحملها الجبال فيفرح لها ويقول صدق فينا سيدي محمد جزاه الله تعالى عنا من أخ خيرا وكتب الانطاكي رحمه الله تعالى الى بعض أصحابه يقول الى متى أنت يا أخي تفرح بما يفتنك ويضرك وتحزن على ما ينفعك من نقص الدنيا وحظوظها وكتب حذيفة المرعشي رحمه الله الى يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى يقول له بعد السلام اعلم يا أخي أن من كانت الفضائل أهم عنده من ترك الذنوب فهو مخدوع ومن جهل القرآن وخالف شيأ مما فيه فقد استهزأ بالقرآن وكتب طاوس الى مكحول رحمهما الله تعالى يقول له بعد السلام احذر يا أخي أن تظن بنفسك ان لك مقاما عظيما عند الله تعالى مما ظهر لك من أعمالك فان من ظن بنفسه ذلك انقلب الى الآخرة صفر اليدين من الخير وربما عظمك الناس بسبب أعمالك الصالحة فاستعجلت ثوابها بذلك وكتب الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى الى بعض اخوانه يقول له بعد السلام كن يا أخي وصي نفسك ولا تنتظر أحدا من اخوانك ينهاك على نفسك فان ذلك أمر قد تودع منه والسلام وكتب عبد الله بن زيادة الى بكر بن عبد الله المزني رحمهما الله تعالى يطلب منه ان يدعو له فكتب اليه بكر يقول له بعد السلام أما بعد يا أخي فاعلم ان الدعاء لا يكون الا ممن لا يقارف الذنوب وأنا قد اقترفت من الذنوب ما لا يحصي عدده الا الله تعالى ووالله اني لأستحي من الله عز وجل ان أدعو لنفسي فكيف لا أستحي ان أدعو لغيري وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما يقول له بعد السلام اياك يا أخي أن تكون مثل البهيمة كلما نظرت الى أرض خضرة رتعت فيها تبتغي السمن بذلك وفي ذلك السمن هلاكها وذبحها والسلام اه فاعلم ذلك يا أخي وانصح نفسك أولا ثم انصح اخوانك مشافهة ومكاتبة واياك أن تتكدر ممن نصحك فان ذلك أي

بفقد القلب وصار أحدهم يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضا والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وآفاتها فمنهم من يدعي الوجد ويحب الله

تكدرك منه من علامة أهل النار والعياذ بالله تعالى والحمد لله رب العالمين

(الباب الرابع في جملة أخرى من الاخلاق)

(فمن أخلاقهم رضي الله عنهم) كثرة عزلتهم عن الناس وعدم كثرة مخالطتهم الا لضرورة شرعية وعلى ذلك درج السلف الصالح فكانوا كل يوم لا يجتمع بهم أحد فيه يعدونه يوم عيد فمن أكثر مخالطة الناس فقد خرج عن طريق سلفه وفاته النفع وذلك لان من كثرت رؤية الناس له هان في عيونهم وسقط عندهم ورأوه كأحدهم في دناءة الاخلاق والغفلة عن الله تعالى (قلت) وما أتذكر أنني زرت أحدا من مشايخ هذا العصر وسلم مجلسي معه من الغيبة الا قليل فلذلك أقللت من زيارتهم خوفا على ديني ودينهم لا تساهلا في حقهم فاذا كان هذا حكم مجالس الاشياخ فكيف بغيرهم فاحفظ نفسك يا أخي كل الحفظ اذا زرت أحدا في هذا الزمان ولا تتهاون بذلك وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول خذوا حظكم من العزلة وكان طلحة بن عبد الله رضي الله عنه يقول من أراد أن يقل من معرفة الناس لعيوبه فليجلس في بيته فمن خالط الناس سلبه دينه ولا يشعر وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول وددت أن أغلق باب داري فلا أخرج لاحد حتى أموت وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول لم يجلس الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى في مجلس قومه طول عمره الا مرة واحدة فجلس على باب داره فسقط عليه حجر فشج رأسه لا يدري من رماه فقام وقال لقد وعظت يا ربيع ثم لم يخرج من بيته بعد ذلك الا لضرورة حتى مات رحمه الله وكان يقول من جلس على الطريق فليؤد حقه وذلك برد السلام ونصرة المظلوم والشهادة على الظالم ومعلونة كل من كان في ضرورة وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول قل من يطيل مجالسة أخيه الا ويقع من أحدهما ما يكره الآخر فينبغي لكل من الاخوين ان لا يلتقي أخاه الا غبا وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان لا يستقيم لهم الملك الا بالقتل والتجبر ولا يستقيم لهم الغنى الا بالبطر والبخل ولا يستقيم لهم صحبة الناس الا باتباع الهوى فمن أدرك ذلك الزمان وصبر وحفظ نفسه أعطاه الله تعالى ثواب خمسين صديقا اهـ وكان رضي الله عنه يقول بلغنا أنه لا تكون الراحة للمؤمن في آخر الزمان الا ان كان خامل الذكر بين الناس وقد بلغ الفضيل بن عياض ان والده عليا رحمهما الله تعالى يقول وددت اني بمكان أرى الناس منه ولا يروني فقال أبوه ها أتمها فقال لا أراهم ولا يروني وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول خالطت الناس خمسين سنة الى يومي هذا فما وجدت أحدا منهم غفر لي زلة ولا أقالني عثرة ولا أمنته على نفسي اذا غضب مني وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول اجعل الناس كالنار فلا تدنو منهم الا عند الحاجة واذا دنوت منهم فكن على حذر كما تحذر من النار اذا دنوت منها وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من خالط الناس فلا بد أن يخربوا عليه قلبه وكان جعفر بن حيدر رحمه الله تعالى يقول الحق انه لا بد لك من الناس ولا بد للناس منك فليكن كل منكما على حذر من الآخر وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله في سفر فلما قدم منه قالوا لسليمان الخواص رحمه الله ألا تلقى ابراهيم فقال أخاف اذا لقيته ان أتزين له بكلام فاهلك وقد كان الحسن بن صالح رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتحابون من بعيد ويكرهون اللقاء وكان الربيع بن خيثم رحمه الله يقول لا ينبغي لاحد ان يعتزل للعبادة الا بعد التفقه في دينه فقد كان الامام مالك رضي الله عنه يقول تفقه ثم اعتزل يعني عن الناس وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لخير جلوس الرجل في قعر بيته لا يرى ولا يرى وكان سفيان رحمه الله تعالى يقول والله لقد حلت العزلة عن الناس (قلت) يعني وجبت كما في حديث فقد حلت له شفاعتي أي وجبت وكان أبو سفيان يقول اعتزلوا عن الناس جهدكم فانهم سراق العقول وكان أبو بكر الوراق رحمه الله تعالى يقول لا تطمع في الانس بالله أبدا وأنت تخالط الخلق ولا تطمع في رضا الله تعالى وأنت تخالط الظلمة ولا تطمع في حب الله لك وأنت تحب الدنيا ولا تطمع في لين قلبك وأنت تجفو على اليتيم وكان داود الطائي رحمه الله تعالى يقول لا تصلح العزلة من الناس الا لمن زهد في الدنيا أما الراغبون فيها فلا فائدة في عزلتهم فمن اعتزل

و يزعم انه واله بالله ولعله قد تخيل بالله خيالات فاسدة هي بدعة أو كفر فيدعي حب الله قبل معرفته وذلك لا يتصور قط ثم انه لا يخلو قط ما يقارفه ما يكرهه الله وايثار هوى نفسه على

الناس ولم يجعل الحق تعالى ونسوا القرآن حسداً فقد أخطأ الطريق ولم تصح عزلته وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اجعل جلوسك في مكان يكون أخفى لشخصك وأخفض لصوتك وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول من لم يجالس الحق تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فقد خابت عزلته فقيل له كيف ذلك قال يدرس القرآن بتدبر وينظر في أفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقواله وأفعال أصحابه رضي الله عنهم وأقوالهم فمن فعل ذلك فقد حادث الله تعالى وحادث النبي صلى الله عليه وسلم وحادث أصحابه رضي الله تعالى عنهم ولما اعتزل عن الناس داود الطائي رحمه الله لامه أصحابه في ذلك فقال انما فعلت ذلك حين رأيت الصغير لا يوقر الكبير ورأيت أخي يعصي على عيوني ليسمعوني بما ليس عندهم على وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول أقل ما في العزلة عن الناس أن الانسان لا يرى منكرا فينكره وكان بشر بن منصور رحمه الله تعالى يقول أقلل من معرفة الناس جهدك فانك لا تدري ماذا يقع لك من الفضيحة والعياذ بالله تعالى فيكون من يعرفك من الناس قليلا وكان أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول ان من العزلة عن الناس اذا خرجت لحاجة أن تقصد المشي في المواضع القليلة الناس وقد كان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ولد اسمه عبد الله كان له سرداب يجلس فيه لا يخرج منه الا في أوقات الصلاة وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيوت والقنع بالقوت الى ان تموت وكان مكحول رحمه الله يقول ان كان في مجالسة الناس خير فالعزلة منهم أسلم للدين وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول اجتمعت بأبي حبيب البدري رضي الله عنه فقال لي يا سفيان ما رأينا خيرا قط الا من الله تعالى فمالنا لا نقبل على من لا نرى الخير الا منه وقد رأيت ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى بالشام فقلت له يا أبا اسحق انك قد تركت خراسان وجلست ههنا فقال نعم ما هنأني العيش الا هنا أفر بديني من جبل الى جبل فمن رآني ظن أني موسوس أو جمال أو ملاح وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم دواء يستشفى بهم فصاروا اليوم داء لا دواء له وكان حماد بن زيد رحمه الله تعالى يقول زرت مالك بن دينار رحمه الله تعالى فرأيت عنده كلبا عنده فأردت أطرده فقال لي دعه يا حماد فانه خير من جليس السوء الذي يغتاب الناس عندي ولما قدم عبد الله بن المبارك من البصرة الى بغداد سأل عن محمد بن واسع رحمهما الله تعالى فلم يعرفه أحد فقال عبد الله انه من فضله لم يعرف وازداد فيه محبة وتعظيما وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول رأيت مرة رجلا معتزلا عن الناس فقلت له لم لا تخالط الناس فقال لي أنا مشغول عنهم بما هو أهم فقلت له وما هو فقال اني أصبح كل يوم بين نعمة وبين ذنب فأنا مشغول بالشكر لأجل النعمة وبالاستغفار لأجل الذنب فقلت له أنت أفقه من الحسن الزم ما أنت فيه وحدك يا أخي وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من سخافة عقل الرجل كثرة معارفه وقد قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ألا تخالط الناس فتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر فقال لي عدم لقائهم يسقط عني ذلك وقيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله ألا تجالس الناس فقال اني لم أتفرغ لهم وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول انما طلبوا العزلة والوحدة لأنها تورث الانتباه من رقدة الغفلة وتورث كثرة مراقبة الله تعالى بالغيب وما أحد عبد ربه الا أحب ان لا يشعر به أحد فان استطعت أن تخفى للناس ولا يعشوا اليك وتسألهم ولا يسألونك فافعل والله اني لألقى الرجل فلا يسلم على فأرى الفضل له وكذلك اذا مرضت ولم يعدني وقد دخل عليه رجل مرة بحاجة فقام وترك له البيت فقال له الرجل ما بالك يا أبا علي قمت وتركتني لماذا فقال له الفضيل وهل تريد الا ان تتزين لي وأتزين لك وأنا والله لا أجد لذة ولا راحة الا اذا كنت وحدي وكان أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه يقول لقد أدركنا الناس وهم ورق لا شوك فيه وقد صار والآن شوكا لا ورق فيه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول قال لي سفيان الثوري رحمه الله في حياته وبعد مماته حين رأيته في منامي أقلل من معرفة الناس جهدك فان التخلص منهم شديد ولا يرى الشخص ما يكره الا ممن يعرفه وقيل مرة لابراهيم بن أدهم رحمه الله

أوامر الله ومن ترك بعض الامور حياء من الخلق ولو خلا بنفسه لما تركها حياء من الله وليس يدري ان كل ذلك يناقض الصبر وبعضهم يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير

تعالى

تعالى ألا تجالس الناس فقال ان الناس قد ذهبوا تحت أطباق الثرى اهـ فاعلم ذلك يا أخي واعتزل عنهم جهدك فقد سمعت مقالاتهم في المائة الثانية فكيف بك وأنت في المائة العاشرة وإياك ان يلعب بك إبليس ويقول لك أنت بحمد الله قد وصلت في المقام الى حد لا يشغلك شيء عن ربك فان ذلك من دسائس إبليس فانك يا أخي بيقين أدون من هؤلاء السلف في المقام فافهم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) زيادتهم في التواضع كلما ترقى أحدهم في المقام عكس حال من قرب الى السراج فان الشخص كلما قرب منه رأى نفسه كبيرا وهؤلاء القوم كلما قربوا من حضرة الله تعالى رأوا أنفسهم أصغر من البعوضة من شهودهم عظمة الله تعالى ولذلك طرد إبليس من الحضرة لما تكبر وقال أنا خير منه فافهم فكل فقير رأيته يا أخي متكبرا فابعد عنه فانه عدو الله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى أبغض خلقي الي من تكبر قلبه وغلظ لسانه وبخلت يده وساء خلقه وكان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يقول ما تكبر الا وضيع ولا افتخر الا سقيط ولا تعصب بالباطل الا دنيء الاصل وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول لو اجتمع جميع الخلق على ان يتزلوني عن شهود حقارة نفسي لما استطاعوا ذلك وكان أبو أيوب السختياني رحمه الله تعالى يقول قد طلب قوم الارتفاع فوضعهم الله وأراد قوم الاتضاع فرفعهم الله قال ولما قدم سفيان الثوري رحمه الله تعالى الى الرملة أرسل اليه ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى ان ائت الينا فحدثنا فقيل لابراهيم ترسل اليه مثل سفيان ليأتيك قال نعم أردت أن أريكم شدة تواضعه ثم جاء سفيان فحدثهم وكان سليمان الخواص رحمه الله تعالى يشبه بابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في الكرم وفي حسن الخلق وكان عروة بن الزبير رضي الله عنهما يقول عليكم بالتواضع فانه نعمة عظيمة ولا يحسد كم أحد عليها وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول من تكبر بغير حق حرم الفهم في القرآن ومن اكتسب عزا بغير حق أورثه ذلك ذلا بحق وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر ومن لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لا يحبس عن مائدته اجذم ولا أبرص ولا مبتلى بل يأكل معهم وكان يقول رأس التواضع ان ترضى بادون المجالس لاجلها نفس فقد يجلس أحدهم عند النعال ومعه من الكبر ما الله به عليم وما حمله على مجلسه ذلك الا ليقال انه متواضع وكان يقول من علامة تواضعك ان تكره ذكرك بالبر والتقوى بين الناس وكان ابن السماك رحمه الله تعالى يقول أفضل التواضع ان لا ترى لك فضلا على أحد وترى فضل الناس عليك فتفضل كل من رأيته من أقرانك على نفسك بقلبك وترجو رحمته وتطلب دعوته وتظن أن الله تعالى يدفع عنك البلاء بتوسلك به فهذا هو التواضع الاكبر وقد بلغنا ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول أحق الناس بخدمته الناس العالم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول لو ان مناديا ينادي بباب المسجد ليخرج شركم رجلا ما سبقني أحد الى الباب الا أن يكون له فضل قوة علي اهـ وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لا يخرج الله تعالى المتكبر من الدنيا حتى يريه الهوان من أرذل خدمه وجيرانه ويتمرغ في بوله وقذره قبل الموت وكان أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى يقول تحقير الفقير هو عين الكبر وكذلك الوقوع في حق الفقراء من أخلاق الكلاب وقد دخل أبو ساسان يوما على عبد الملك رحمهما الله تعالى فوقف بعيدا فقال له لم وقفت بعيدا يا أبا ساسان فقال لان أدعى من بعيد أحب الي من أن أدفع من قريب وكان عمر بن عبد العزيز قبل ان يلي الخلافة رحمه الله تعالى يلبس الحلة بالف دينار ويقول ما أجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يلبس الحلة بخمسة دراهم ويقول ما ألينها وأجودها فقيل له في ذلك فقال ان نفسي كانت تطلب الرفعة فلما وليت الخلافة وهي أرفع مقام عند أهل الدنيا طلبت نفسي ما عند الله تعالى وزهدت في الدنيا اهـ قالوا وكان رضي الله عنه لا يسجد على فرش بل على التراب وكان عبد الله الرمي رحمه الله تعالى يقول لم يفرض الله تعالى الركوع والسجود بالاصالة الا على المتكبرين مثل فرعون ونمرود وأنوشروان وكان يحيى بن

زاد لبعض التوكل وليس يدرى ان ذلك بدعة لم تنقل عن الصحابة وسلف هذه الامة وقد كانوا أعلم بالتوكل منه مما فهموا من التوكل الخاطر فبالروح وترك الزاد بل كانوا يأخذون الزاد وهم

شاذلي رحمه الله يقول الشريف اذا تعبد تواضع بخلاف الدني وقد كان أبو هريرة رضي الله عنه وهو أمير المدينة في أيام مروان يحمل حزمة الحطب من السوق على رأسه ويمشي يقول أوسعوا للأمير كم وكان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يسرع في المشي ويقول هو أبعد من الزهو والعجب وأسرع الى قضاء الحاجة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يخدم الضيف بنفسه ويصلح له السراج في الليل ولا ينبه أحدا من الخدم وفي الحديث ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لم يرفع طرفه الى السماء تخشعا مع ما أعطي من الملك حتى قبضه الله تعالى وفي الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مع الخادم ويطحن معه اذا أعيت وكان صلى الله عليه وسلم لا يمنعه الحياء ان يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان صلى الله عليه وسلم يصافح الغني والفقير ولما حج صلى الله عليه وسلم ورمى جمرة العقبة لم يكن بين يديه ضرب ولا طرد ولا اليك اليك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع لله عز وجل وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول حج عيسى عليه الصلاة والسلام من الشام على ثور وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول لا تنظروا الى صورة تواضع فقراء زماننا هذا وعلمائه وقراء فانهم عندهم من الكبر ما ليس عند الامراء والملوك اه وسيأتي زيادة على ذلك في مبحث غير هذا ان شاء الله تعالى مفرقا في هذا الكتاب فتأمل يا أخي حالك وانظر نفسك فربما تكون من أعظم المتكبرين وأنت لا تشعر وربما لبست الجبة الغليظة أو البشت وكنت بذلك أعظم في الكبر ممن لبس رقيق الثياب والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم التهاون بشيء من الفضائل التي رغبنا في فعلها الشارع صلى الله عليه وسلم واحتقارهم منها وشهودهم انها وان كانت كثيرة العدد لا يحصل لهم منها أجر فضيلة كاملة وكان يحيى بن أبي كثير رحمه الله تعالى يقول من بلغه عن الله عز وجل شيء فعمل به ايمانا به أعطاه الله تعالى أجر ذلك وان لم يكن كذلك وقد رأى رجل كثرة عبادة ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فتمنى أن يكون مثله فبلغ ذلك ابراهيم فقال له والله يا هذا الورعة تر وعملك على عيالك أفضل من جميع ما أنا فيه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يكثر من فعل الطاعات ويقول ليس لامثالنا نوافل انما النوافل لمن كملت فرائضه وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه يقول مثل الذي يكثر الفضائل ولا يكمل الفرائض مثل تاجر خسر رأس ماله وهو طالب الربح وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول ان رب الدين لا يقبل الهدية الا بعد وفاء دينه كله وكان عبيد بن عمير رحمه الله تعالى يقول ما من عبد يضع جنبه على الفراش ويذكر الله تعالى حتى يأخذه النوم الا كتب ذاكرا لله تعالى حتى يستيقظ وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول اياكم ان تطلبوا ثوابا على عبادتكم فانها الى الرد أقرب منها الى القبول أما ترون الى قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما بنى البيت ربنا تقبل منا مخافة ان لا يقبل بناؤه وقد كان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول من استخف بالنوافل استخف بالفرائض وكان ابراهيم النخعي رحمه الله يكره عد الآي والاذكار الا ان كان لها عدد مشروع اه فاعلم ذلك يا أخي وأكثر من النوافل والفضائل ولا تمل منها ولا ترى بعد ذلك انك قمت بواجب شكر نعمة واحدة من نعم الله عليك والحمد لله رب العالمين

متوكلون على الله لا على الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على مسبب الاسباب واثق به وما مقام من المقامات العلية الا وفيه غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرناه داخل الآفات

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة التوبة والاستغفار ليلا ونهارا لشهودهم انهم لا يسلمون من الذنب في فعل من الافعال حتى في طاعاتهم فيستغفرون من نقصهم من خشوعها ومن مراقبة الله تعالى فيها وقد درج على ذلك السلف خلاف ما عليه غالب متصوفة هذا الزمان الذي نحن فيه حتى اني سمعت مرة بعضهم يقول نحن قوم لا ذنوب علينا بحمد الله تعالى فقلت له وكيف قال لاننا نشهد ان الله تعالى هو الفاعل لا نحن فقلت له فاذا وجب عليك الاستغفار والتوبة لانك هدمت جميع أركان الشريعة وأبطلت حدودها ووالله لو كنت أنا ذا سلطان لضربت عنق مثل هذا فان الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وجميع الاكابر كانوا يشهدون أن الله تعالى هو الخالق لافعالهم ومع ذلك استغفروا وبكوا حتى نبت العشب من

دموعهم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أنبئكم بدائكم ودوائكم فان داء كم الذنوب ودواءكم الاستغفار وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول العجب ممن يقنط ومعه النجاة فإذا قيل له وما هي النجاة يقول كثرة الاستغفار وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول استغفار الله تعالى بلا اقلاع توبة الكذابين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يناجي الله تعالى بقوله الهي ان ابليس لك عدو وهو لنا عدو ولا تغيظه بشيء هو أنكى له من عفوك عنا فاعف عنا برحمتك يا أرحم الراحمين وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول ترك معصية واحدة وان صغرت أرجى للرحمة من ألف حجة وألف غزوة وألف رقبة يعتقها العبد لله تعالى وفي رواية ان ترك كذبة واحدة أو خلف وعد او نظرة الى ما لا يحل أرجى للرحمة والمغفرة من كثرة النوافل مع الكذبة أو النظرة أو خلف الوعد وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول أربع لا يعملهم عاقل زهد الشيبان في الجماع ونسك النساء وتوبة الجندي وقراءة الصبيان وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول استغفارنا يحتاج الى استغفار يعني من عدم الصدق فيه وكان خالد بن معدان رحمه الله تعالى يقول يمر التوابون على جهنم فلا يرونها فيقولون يا ربنا ألم تعدنا أنا نرد النار فيقال لهم انكم مررتم عليها وهي خامدة لكونكم كنتم تائبين فانها لا تهيج الا من الذنوب والاصرار عليها وقد أجمع أهل السنة على صحة توبة العبد من القتل ومن أخذ المال بلا حق ومن شرب الخمر ومن سائر المعاصي قال وقد سئل مسروق رحمه الله تعالى هل لقاتل المؤمن من توبة فقال لا أغلق بابا فتحه الله تعالى وقد كان أبو الجوزاء رحمه الله تعالى يقول ان العبد ليذنب فلا يزال نادما حتى يدخل الجنة فيقول ابليس ليتني لم أوقعه فيه وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول خياركم كل مذنب تواب ثم يتلو ان الله يحب التوابين وكان الربيع بن خيثم رحمه الله تعالى يقول لا يقل أحد كم أستغفر الله تعالى وأتوب اليه فيكون ذلك ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفر لي وتب علي قيل له ان قول العبد استغفر الله قد ورد في السنة فقال ذلك في حق الصادقين اه وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول لم يبلغني في كتاب ولا سنة ولا بلغ علي ان الله تعالى قال الذنب لا أغفره قلت لعل مراده رضي الله عنه عدم ورود هذا اللفظ بخصوصه والا ففي القرآن ان الله لا يغفر ان يشرك به فيحمل كلامه رضي الله عنه على ذنوب أهل الاسلام كما حمل العلماء قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا على ذلك وقد كان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول ما شرب داود عليه الصلاة والسلام شرابا بعد الذنب الا ممزوجا بدموع عينيه وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول دخلت على جار لي وهو مريض وكان مسرفا على نفسه فقلت له يا أخي عاهد الله تعالى أن تتوب عسى أن يشفيك فبكى فسمعت قائلا من ناحية البيت يقول ان كان عهده كعهدك معنا فلا فائدة فيه فانك عاهدتنا مرارا فوجدناك كاذبا قال فغشي عند ذلك على مالك وكان طلق بن حبيب رحمه الله تعالى يقول ان حقوق الله تعالى أعظم من ان يقوم بها العباد وان نعمة الله تعالى أكثر من ان يحصوها وكان ذو النون المصري رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى رزقنا فوق قوتنا وكلفنا دون قوتنا فلم نكتف بما رزقنا من القوت ولم نبذل قوتنا فيما كلفنا وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول من لم يتب كل صباح ومساء فهو من الظالمين وقد قيل للحسن البصري رحمه الله تعالى ماذا تقول فيمن يتوب ثم ينقض ثم يتوب ثم ينقض وهكذا فقال ما أرى هذا الا مؤمنا فعل أخلاق المؤمنين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول زلة واحدة بعد التوبة أقبح من سبعين زلة قبلها وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى ما علامة التوبة النصوح فقال أربعة أشياء قلة الدنيا وذلة النفس وكثرة التقرب الى الله تعالى بالطاعات ورؤية القلة والنقص في ذلك وكان بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى يقول لو ان مذنبا طاف على سائر المجالس والابواب وهو يقول استغفر الله لكان ذلك أولى من سؤاله لهم اللقمة والخلقة ونحوهما وقد سئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى عن التائب من هو فقال هو من تاب أيام شبابه ولزم الفطام حتى أتاه الحمام وليست التوبة توبة الشيوخ اذا ذهبت شهوتهم عن المعاصي وان كان الله تعالى وعد بقبولها حتى

فيها في ربع المنجيات من كتاب الاحياء (وفرقة أخرى) ضيقت على أنفسها أمر القوت حتى طلبت منه الحلال الخالص وأهملت

تطلع الشمس من مغربها وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول أنزل الله قوله تعالى إنه كان للأوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول قال الله عز وجل يا داود بشر المذنبين أنهم إن تابوا قبلت توبتهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبتهم وكان عبد الله بن حبيب رحمه الله تعالى يقول إنكم إن تطيقوا غضب الله تعالى عليكم كلما عصيتم ونافسوا تائبين وأصبحوا كذلك تائبين وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول من وقع في خطيئة ثم تذكرها فوجل منها قلبه محيت عنه من أم الكتاب وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد عليكم بالتوبة فإنها ترد عنكم ما لا ترده السيوف وكان يقول لما غاب قوم يونس عليه الصلاة والسلام العذاب قام رجل منهم فقال اللهم إن ذنوبي عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل فافعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله فكشف الله عنهم العذاب وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مناجاته في الليل اللهم إن خطيئتي تعذبني وتوبتي تذوبني فعيشي طول دهري بين تعذيب وتذويب وكان حبيب بن تمام رحمه الله تعالى يقول من وقع في ذنب ثم خاف من الله تعالى أن يعذبه عليه غفره الله له وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول إن الجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يدعه يغلق فاعملوا ولا تيأسوا وقد كان عبد الرحمن ابن القاسم رحمه الله تعالى يقول تذاكرنا في إسلام الكافر وأنه يغفر له ما مضى فقلت إني لأرجو أن يكون المسلم أولى بذلك عند الله تعالى فإن توبة المسلم كإسلام بعد إسلام أي كتكراره الشهادتين وكان عبد الله ابن سلام رضي الله عنه يقول لا أحدثكم إلا عن كتاب منزل أو نبي مرسل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين واستغفر الله تبارك وتعالى سقط عنه أسرع من طرفة عين وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول جالسوا التوابين فإنهم أرق أفئدة وفي الحديث ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم أكثر من سبعين مرة وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ما ألهم الله تعالى عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقد سئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن معنى قول العبد أستغفر الله فقال معناه اللهم أقلني من ذنبي وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من قدم الاستغفار على الندم كان كالمستهزئ على الله تعالى ولا يشعر وأنها توبة الكذابين (قلت) ويؤيد ذلك قوله تعالى أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه فأخر الاستغفار عن التوبة المشتملة على الندم فليتأمل فإن الواو هنا للترتيب والله أعلم وقد سئل يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى ما بال المسلم إذا وقع في ذنب يكره أن يطلع عليه الناس أكثر من كراهته لاطلاع الله تعالى عليه هل ذلك من هوان منه بربه عز وجل فقال لا ولكن ذلك من شدة معرفته بكرم ربه وجوده وأنه سبحانه لا يفضحه بخلاف الناس وقد بلغنا أن أعرابيا كان يقول في دعائه اللهم إن استغفاري مع إصراري للؤم وتركي الاستغفار مع علمي بسعة عفوك ورحمتك عجز فاغفر لي يا من يرجى لرحمته يا أرحم الراحمين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى إذا سمع قوله تعالى فقولا له قولا لينا يقول إلهي إذا كان هذا رفقك في حق من قال أنا ربكم الأعلى فكيف يكون رفقك بمن لا يشرك بك شيئا بل يعلم أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وكان رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله سبحانه وتعالى يحاسب المسلمين يوم القيامة بالمن والفضل ويحاسب الكافرين يومئذ بالحجة والعدل اهـ فاعلم ذلك يا أخي وأكثر من الاستغفار ما دمت في هذه الدار فإنه يطفئ غضب الجبار ولا تقل يمحو ذنوبك إذا فعلت الأمور التي ورد في الشرع أنها مكفرة لذلك فقد يكون لها شروط لم تأت بها واعلم أن المؤمن لا يطمئن حتى يدخل الجنة فافهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإن لم يعملوا ولم ينتهوا وهذا الخلق يخل به كثير ممن لم يسلك على يد شيخ صادق فيقول إن الأمر بالمعروف لا يكون إلا ممن كان تائبا من جميع الذنوب بعض قوم قد غمرتنا الذنوب وهذا مخالف لما عليه العلماء العاملون فقد ورد في الحديث الشريف أن أبا ذر رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله أنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر وإن لم نأتمر

تطهر القلب والجوارح من غير هذه الخصلة الواحدة ومنهم من استعمل الحلال في مطعمه وملبسه ومكسبه ويتعمق في ذلك ولم يدر أن

ولم تنته فقال صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول من نهى عن المنكر وشنأ الفاسقين وغضب اذا انتهكت حرمات الله غضب الله تعالى له وقد قيل لحفص بن حميد رحمه الله تعالى ما الذي بلغ بسفيان الثوري ما بلغ فقد كان في زمانه من هو مثله في كثرة العبادة والعلم فقال بلغ به رحمه الله تعالى استخفافه بالعصاة في مواضع الحق وعدم مراعاته لهم كان رحمه الله يرى المنكر فلم يقدر على ازالته فيبول الدم من القهر وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون صالحهم فيه من لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر فيقول الناس ما رأينا منه الا خيرا لكونه لم يغضب لله تعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول مصائب المؤمن في الدنيا ثلاث صلاة تفوته وأخ صالح يموت وحدث يحدث في الاسلام وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يكون منكر المنكر فيه أقل من عشر الناس ثم يذهب العشر بعد ذلك فلا يبقى أحد ينكر منكرا وكان أويس القرني رضي الله عنه يقول ان قيام المؤمن بالحق لم يدع له في الدنيا صديقا وما أمر أحد الناس بتقوى الله ونهاهم عن المنكر الا رموه بالعظائم وشتموا عرضه وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول جنة الفردوس خاصة بمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول في قوله تعالى وجعلني مباركا أينما كنت أي كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول من سمع أحدا يفعل منكرا ولم ينهه جاء يوم القيامة أصم مقطوع الاذنين وكان جرير بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول ما من قوم أعزاء على الناس ثم لم يغيروا منكرا قدروا عليه الا أذلهم الله عز وجل وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول دخلت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرأيته مهموما حزينا فقلت له ما يهمك يا أمير المؤمنين فقال أخاف أن أقع في منكر فلا ينهاني أحد منكم تعظيما لي فقال حذيفة والله لو رأيناك خرجت عن الحق لنهيناك فان لم تنته ضربناك بالسيف قال ففرح عمر وقال الحمد لله الذي جعل لي أصحابا يقوموني اذا اعوججت وقد أوحى الله تعالى الى يوشع بن نون عليه الصلاة والسلام اني مهلك من قومك أربعين ألفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار فقال لانهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم وكان أبو امامة رضي الله عنه يقول يحشر ناس من هذه الامة على صورة القردة والخنازير بملاصقتهم لاهل المعاصي وتركهم نهيهم وهم يقدرون عليه اه قلت اذا كان هذا حال من خالط أهل المعاصي ولا يفعلها فكيف حال من لا يكاد تسلم له جارحة نسأل الله اللطف وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يخرج الى السوق فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ثم ترك ذلك فقيل له لم تركت فقال كان قد انفتح في الدين قناة فطلبنا أن نسدها وأما الآن فقد انفتح البحر فمن يقدر يسده وقد قيل للفضيل بن عياض رحمه الله تعالى ألا تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال أخاف أن أفعل ذلك فيصيبني أذى فلا أقدر على تحمله فيقع مني السخط والندم على أمري بالمعروف وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لاصحابه لا تقتدوا بي تهلكوا فاني رجل مداهن مخلط مقصر وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول ان من أكبر الذنوب عند الله تعالى أن يقول الشخص لآخر اتق الله فيقول له عليك بنفسك وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول لا يلزم أحدا الامر بالمعروف الا فيما اجتمعت عليه الامة أما ما اختلفوا فيه فلا يلزم أحدا وكان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان تكون مجالسة الناس كجيفة حمار وتكون جيفة الحمار أحب اليهم من مجالسة المؤمن الذي يأمرهم وينهاهم وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول ما بقي أحد في هذا الزمان يستحيى منه فقيل له ولم ذلك فقال انما يستحيى ممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأما من ليس كذلك فلا هيبة له لعدم خوفه من الله تعالى وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله

الله لم يرض العباد الا بالكمال والطاعة فمن اتبع البعض وأهمل البعض فهو مغرور (وفرقة أخرى) ادعت حسن الخلق والتواضع

عنه يقول لاصحابه من أهدى الى عيوبي فسالشوه رحمة الله تعالى وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه كان في بني اسرائيل حبر يعظ الناس و يجتمعون عليه يسمعون وعظه رجالا ونساء فى بيته وكان له ولد شاب فغمز ابنه يوما امرأة جميلة من النساء فرآه أبوه فقال له مهلا يابني قال فسقط من سرير ه منكبا على وجهه حتى انقطع بعض أعضائه وأوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان أن أخبر فلانا يعني هذا الحبر انى لاأخرج من صلبه صديقا أبدا أما كان من غضبه لى الاأن يقول لابنه مهلا يابني وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم الرجل محببا الى جيرانه محمودا عندهم فاعلموا أنه مداهن وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اذا مات الرجل ولم يذمه أحد من جيرانه فاعلموا انه مداهن اه قلت وحقيقة المداهن هو من يرضي الناس بما ينقص دينه كما أن المداراة هي ارضاء الناس بما ينقص دنياه فالاولى حرام والثانية مستحبة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن الله تعالى أوحى الى الملائكة عليهم الصلاة والسلام أن صبوا العذاب على قرية كذا وكذا صبا فصاحت الملائكة وقالوا يارب ان فيهم عبدك فلانا العابد فقال تعالى أسمعوني ضجيجه من العذاب فان وجهه لم يتمعر قط اذا رأى محارمي وكان لقمان عليه السلام يقول كذب من قال ان الشر يطفأ بالشر فان كان صادقا فليوقد نارا عند نار هل تطفئ احداهما الاخرى بل لا يطفأ الشر الا بالخير كما تطفئ الماء النار اه وقد دخل أبو اسحق الفزاري على هرون الرشيد رحمه الله تعالى فبلغ ذلك يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى فلامه وقال كيف تدخل على هذا الرجل وعنده فرش الحرير فقال أبو اسحق ماباعك الا الحرير يايوسف فان الدماء والفروج والاموال ولكننا انما دخلنا عليه للضرورة وقد كان يقال ان العالم اذا دخل على ظالم ولم يسأل عن شئ فهو في سعة وانى لم أسأل عن شئ وأنا جالس عنده فلو قيل لى هذا الفرش حرام لقلت نعم هو حرام (قلت) وفي هذا الجواب نظر والله أعلم وقد قيل لسفيان الثوري رحمه الله تعالى أيأمر الرجل من يعلم انه لايقبل منه فقال نعم ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى وكان مالك ابن دينار رحمه الله يقول ذهب المعروف يبكي وجاء المنكر يضحك ثم ينشد

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور

اه فاعرض يا أخي هذه الصفات على نفسك لتعرف هل أنت ممن ينكر المنكر أولا وهل أنت ممن يحبك الله تعالى أولا وهل نصرت شريعة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أو خذلتها فانك تزعم انك من الدعاة الى الله تعالى بحكم النيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه قد أمن علماء أمته على شريعته من بعده صلى الله عليه وسلم ولعل غالب الناس اليوم قد خذل الشريعة المطهرة بأقواله وأفعاله وسكوته على المنكر فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم العجب والادلال بشئ من أعمالهم بل يرون أنهم استحقوا التعذيب بالنار بصالح أعمالهم عندهم فضلا عن سيئها لما يشهدونه فيها من سوء الادب مع الله تعالى وقد ورد ان عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من سراج قد أطفأته الريح وكم من عبادة قد أفسدها العجب وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول ساعة يزرى العبد فيها نفسه خير له من عبادة سبعين سنة وكان أبو عبد الله الانطاكي رحمه الله تعالى يقول أضر الطاعات على العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته فيزداد بها دلالا واغترارا بين الناس فيذهب الى الآخرة صفر اليدين من الخير والثواب وهو يحسب انه من الصالحين اه وكان الشعبي رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن رجلا ممن سبق كان اذا مشى يظله السحاب المظلة فرآه رجل آخر فقال والله لامشين في ظله لعل أن تنالني بركته قال فاعجب الرجل الاول بنفسه حين رأى الناس يمشون في ظله فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل التابع وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان من علامة صدق توبتك أن تعرف لله بذنبك وان من الاخلاص عملك أن ترفض عجبك وان من صدق شكرك أن تعرف تقصيرك وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه

الله

والعبيد يتقصدوا الخدمة الصوفية فخدموا قوما وتكلفوا اخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة لحطام الدنيا وجمع المال وانما غرضهم

الله تعالى اذا خطب على المنبر فخاف العجب قطع الكلام وعدل الى غيره مما لا عجب فيه واذا كتب كتابا فخاف العجب فيه مزقه وقال اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لقارئ أى حلقة درسه قد كبرت قم بعلامة عوناه وقال اخذنا والله ولم نشعر قال فتبعه الناس يوما وقالوا له مثلك لا يخاف من مثل ذلك فقال بلى أنا أخوف الناس من ذلك لما أعرفه من دناءة أخلاقى ووالله لو رآنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه جالسا فى مثل هذا المجلس لضربنى بالدرة وأقامنى وقال لى أنت لا تصلح لمثل ذلك وكان مطرف بن عبد الله يقول لان أبيت نائما وأصبح نادما أحب الى من أن أبيت قائما وأصبح معجبا أرى نفسى على النائمين وقد كان السلف يعيبون على العباد كثرة صيامهم وقيامهم خوفا عليهم من العجب وكانوا يقولون لهم تعلموا العلم ثم اعملوا فان لكل عمل أدبا شرعيا وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لو أن عمل ابن آدم كله كان حسنا لكان يهلك نفسه من العجب ولكن الله تعالى ابتلاه بشهود النقص فيه رحمة به وقد قال رجل مرة لابراهيم التيمى رحمه الله تعالى ما تقول يا فقيه فى كذا فقال ابراهيم ان زمانا صرت أنا فيه فقيه الزمان سوء وكان حذيفة المرعشى رحمه الله تعالى يقول ان لم تخف أن يعذبك الله تعالى على أفضل أعمالك عندك فأنت هالك اه وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى تقول أكثر ما أكون راجية للخير حين تقل أعمالى الصالحة أى لكونها كانت معتمدة على فضل الله تعالى وامتنانه لا على الاعمال وكان حسان بن سنان رحمه الله تعالى يطلب من أعوان الولاة أن يدعو اله فقيل له فى ذلك فقال لعل فى أحدهم خصلة يحبها الله تعالى ولعل فى خصلة يبغضها الله تعالى ولعلى أرى نفسى خيرا منه فيكون خيرا منى ولما مرض عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أشاروا عليه بالدفن فى المكان الرابع عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفت من كلامهم وقال والله لان يعذبنى الله تعالى بالنار أحب الى من أن يعلم الله تعالى من قلبى اننى أرى نفسى أهلا لذلك وقد سئل ابن السماك رحمه الله تعالى عن حقيقة العجب فقال هو ان تتطاول على الناس بعملك فتحتقر كل من رأيته مقصرا فى العمل وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يكثر العبادة فقيل له يوما ما نراك تكثر من العبادة فقال لا يستكثر عبادته فى عينه الا جاهل بالله تعالى فان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا تفتر عن العبادة طرفة عين ولو أنهم استكثرت أعمالهم لعجلها الله تعالى فى حضرته السماوية وانهم مع ذلك يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول ان لم تخف أن يهلكك الله تعالى بالنقص الذى فى أعمالك الصالحة فضلا عن معاصيك فأنت هالك وكان يزيد بن هرون رحمه الله تعالى يقول نظرت فى قيام الليل فاذا الحارس يحرس الليلة كلها بدانقين أفيطلب أحدكم الجنة بسهر ليلة واحدة بعبادة لعلها لا تساوى دانقين ويمتن بها على ربه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول السلامة من الرياء والنفاق فى العلماء والقراء أعز من الكبريت الاحمر لان أحدهم لا يقدر على سماع قول الناس ما أعلم فلانا أو ما أحسن صوته بالقرآن الا ويحصل عنده العجب بذلك وان قالوا ليس هو بعالم ولا حسن الصوت شق عليه وكاد يموت غما وذلك من أكبر علامات الرياء ثم يشرع فى تحسين حاله رياء وسمعة وكان السرى السقطى رحمه الله يقول كل من ظن بنفسه انه محسن فهو ممن زين له سوء عمله ومن لم يظن انه هالك فهو هالك وقد قال رجل لعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يا عالم انى لارى نفسى أحسن حالا ممن قتل بين يدى نفسا ظلما فقال له عبد الله ان أمنك على نفسك أشر من قتل نفسا ظلما وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول اذا رأيت العبد لجوجا مماريا بالعلم معجبا بنفسه فاعلم انه قد استكمل الخسارة وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول من أعجب بعمله فهو قدرى لانه لو رأى العمل خلقه الله تعالى لم يعجب به (قلت) وذلك فى العمل الحسن وأما العمل السيء فلا يجوز له تعزيته نفسه عنه بل الواجب عليه أن يتوب منه ويندم ويستغفر منه والله أعلم وقد كان لعطاء السلمى رحمه الله تعالى مخنثون يخدمونه فى بيته ويوضؤنه فقيل له ألا تستقذر هؤلاء أن يكونوا فى بيتك فقال والله انهم عندى أطهر من نفسى وأقل ذنوبا وأقل رياء ونفاقا فكيف أستقذرهم وقد كان أبان بن عياش رحمه الله تعالى يقول لا يكرم العمل

التكثير والتكبير وهم يظهرون الخدمة والتواضع ويطلبون ان غرضهم الارتفاق وغرضهم الاستتباع ويظهرون ان غرضهم

بالرخص الا عجب بنفسه أو صاحب هوى أى لان الرخص لا يعمد أخذ فاعلها فلا يحصل عنده عجب وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من العجب كل الخوف وكانوا اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم اجعلنى خيرا مما يقولون واغفر لى ما لا يعلمون وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا أثنوا عليه خيرا يقول اللهم انى أعوذ بك من شر ما يقولون وأسألك أن تغفر لى ما لا يعلمون وقد قال رجل لعائشة رضى الله عنها يا أم المؤمنين متى يعلم الرجل انه من المحسنين فقالت اذا علم انه من المسيئين فقال الرجل ومتى يعلم انه من المسيئين قالت اذا رأى نفسه من المحسنين قال وحضر بكر بن عبد الله المزنى ومطرف بن عبد الله رحمهما الله تعالى الموقف بعرفة وكان من دعاء مطرف أن قال اللهم لا تردهم فى هذا اليوم من أجلى خائبين وكان من دعاء بكر قوله ما أشرف هذه البقعة وما أرجاها لاهلها لولم أكن فى الناس وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول رب هالك بالثناء عليه ورب مستدرج بالاحسان اليه وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول ربما بلغ العجب بالفقير الى أن يصير يقول لو عرضت على حور الجنان ما التفت اليهن دون الله تعالى وهو ربما لو رأى جارية من جوارى الدنيا لماح قلبه بالميل اليها حتى يبلغ العرش والله الذنب تفتقر به الى مولاك الله تعالى خير لك من طاعة تفتخر بها على العباد وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول لعباد زمانه أف لكم دخل العجب فى أعمالكم مع قلتها وقد كان من قبلكم لا يعجبون بأعمالهم مع كثرتها والله ما أنتم الا كاللاعبين بالنظر لعباد من كان قبلكم فاعلم يا أخى ذلك وفتش نفسك كل التفتيش فربما تعجب بترك العجب وتكون أسوأ حالا ممن يعجب بالاعمال فافهم واياك يا أخى ان ترى نفسك على أحد من المسلمين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) تقديمهم انفاق الدراهم والدنانير فى اطعام الجائع وكسوة العريان ووفاء الديون التى على الناس وهم لا يقدرون على وفائها على عمارة الزوايا والدور ونحوها لاسيما فى هذا الزمان الذى لا يوجد فيه القوت الا بمعاينة أسباب الموت ان كان الفقير متعففا أو بذهاب دينه ان كان متعبدا لا حرفة له وقد رأيت مرة شيخا من مشايخ العصر يبنى له فى ضريح بقبة وتابوت فجاءه رجل أعمى معيل فطلب منه نصفا يأخذ لعياله به خبزا فلم يعطه فقلت له أعطه نصفا فهو أفضل من عمارة هذه القبة فأبى أن يعطيه فسقط من عينى من ذلك اليوم وقد كان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول أرى بين دارا من كل جانب وكان الحجاج المشوى يرسل الى مماطه وسألوه فى شئ يعاونهم فى عمارة مسجد فأبى وقال لقمة فى بطن جائع أرجح فى ميزانى من عمارة المسجد لو عمرته وحدى وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء والطين وفى الحديث أيضا كل درهم ينفقه العبد فان الله يخلفه الا ما كان فى بنيان أو معصية وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه يقول رأيت درجة فى سلم غرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتحرك فأردت أن أبنيها بقطعة طين فنهانى صلى الله عليه وسلم وقال مالى والدنيا وفى رواية انى بعثت بخراب الدنيا ولم أبعث بعمارتها اه وقد بنى أبو الدرداء رضى الله عنه كنيفا فبلغ ذلك عمر بن الخطاب وكان فى خلافته رضى الله عنه فكتب اليه يقول من عمر الى عويمر سلام عليك أما بعد فكانت لك أما كان لك حاجة الا ان تجدد عمارة الدنيا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حكمت عليك أن لا تضع كتابى من يدك حتى تهدمه قال فهدمه لوقته وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول من استغنى بأموال الفقراء أفقره ومن سخر الفقراء فى بناء داره أعقبه ذلك الخراب ومعنى استغنى بأموال الفقراء أخذها على اسمهم واختص بها وكان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول ما وقع لى انى أنفقت درهما فى بناء قط قال ومالت حائطا فى دار مطرف بن عبد الله فقالوا له ألا تصلحها فقال ان رب المنزل لا يدعنا نقيم فيه حتى نعمره وقد كان خص نوح صلى الله عليه وسلم من خوص النخل فقيل له لو بنيت لك بيتا فقال هذا كثير على من يموت وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما زخرف قوم البناء الا أوشك أن يرحلوا من السماء وكان ثابت البنانى رحمه الله يقول لقد أوحى الله تعالى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان عمر أمتك ثلاثمائة عام قال فأخبرهم نبيهم بذلك فقالوا ان عمرنا قصير ثم خرجوا من دورهم وضربوا الاخبية فى البرية وأقبلوا على عبادة ربهم

ان المعتقدين يجمعون الحرام والشبهات لينفقوا عليهم فتكثر اتباعهم وينتشر بذلك الخدمة كرهم ومنهم من يأخذ من أموال

عز وجل فلم يبتنا أو لم يتنوا الدواحتي ماتوا من آخرهم وقد دخل حامد اللفاف رحمه الله تعالى على امرأته ويباقي بيدها تطين كانوا نالها وتركها فقال لها ما هذا انما عذرت اليه وقالت انذلك أتقى للكانون حتى لا يقع القصب فرقه فيذهب الطعام على الارض فقال لها ان الله مطلع على باطنك وقد كان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول كان لابي دار واسعة ورثتها من أبيه وكان يسكن في البيت منها فاذا خرب تحول الى غيره حتى مات في آخر بيت منها ولم يعمر منها شيا وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول سيأتي على الناس زمان يرفعون الطين ويضعون الدين ويستعملون البراذين ويصلون الى قبلتكم ويموتون على غير دينكم وكان أبو سلمة بن عبد الرحمن رحمه الله تعالى يقول كل شئ دخله زهو ومباهاة من مركب وملبس ومطعم ومسكن فهو سرف ومعصية وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول اذا منع الرجل الحق من ماله أهلكه الله في الماء والطين وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لا يصلي في مسجد مزخرف وقدم يوما على مسجد بني تميم وكانوا قد زخرفوه وقد حضرته الصلاة فقالوا يا أمير المؤمنين ألا تصلي في مسجد بني تميم فقال لا تقولوا في مسجد بني تميم ثم جاوزه وصلى في مسجد بني ليث وقال نهينا أن نصلي في مسجد أسس على غير تقوى وقد مر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على مسجد منقوش فقال لعن الله تعالى كل من بنى هذا انه أنفق ماله في معصية الله تعالى وان له بكل درهم أنفقه فيه كية من نار وقد بلغ عمر بن عبد العزيز ان أساطين في مسجد دمشق قد حمروها وخلقت بالزعفران فكتب الى عامله ان المساكين أحوج الى تلك الدراهم من الاساطين وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من بنى بناء ونقشه بالاحمر والاصفر فهو آثم هو ومن أعانه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول كنت أدخل حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فأتناول سقفها بيدي وقد جاء رجل الى الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال له اني عمرت دارا وقصدي أن تدخلها وتدعو لي فيها بالبركة فقال له الحسن لقد غرك أهل الارض ومقتك أهل السماء بنيت شديدا وأملت بعيدا وستموت قريبا وقد سئل محمد بن سلام البيكندي رحمه الله عن السنة في طول البناء في المساجد والمنازل فقال قدر قامة الرجل وكان أحمد بن حرب رحمه الله تعالى يقول من نظر الى بستان أو بنيان بشهوة من غير عبرة سلبه الله تعالى حلاوة العبادة أربعين يوما وقد كان المعتمر بن سليمان رحمه الله تعالى يقول سقط بيت لنا فلم يبنه أبي وقال الامر أعجل من ذلك ثم ضرب لنا خيمة وأدخلنا فيها فنحن فيها ثلاثين سنة اهـ فتأمل يا أخي هذه الاخلاق واستغفر ربك ان وجدت نفسك تخالفها فانه لا شرف للعبد الا باتباع سلفه الطاهر في الافعال والاقوال والاخلاق وقد رأيت من عمر له مسجدا فعادى غالب الناس لكونهم لم يساعدوه وصار مغراضا في أعراضهم نسأل الله العافية فمثل هذا أعاص لله سبحانه وتعالى ولعل ثوابه الحاصل ببنائه زاويته لا يرضى به واحد من الدين اغتابهم في غيبة واحدة اغتابها فيه واذا كان من له مال لا ينبغي له أن ينفقه في الماء والطين الا لضرورة شرعية فكيف بمن يسأل الناس أن يساعدوه ويعاونوه في البناء فاعلم ذلك يا أخي واحذره كل الحذر والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة مجاهدة نفوسهم في العبادات وترك الشهوات وعدم رضاهم بعد ذلك عنها الى أن يموتوا وهذا مجمع عليه عند القوم فمن خالفهم في ذلك فقد خرق اجماعهم وذلك حرام لانه من قاعدة ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقد قالوا من ظن انه بغير بذل الجهد في الطاعات يبلغ شيئا من الدرجات فقد رام المحال وقيل أيضا لا تخرق للعبد العادات الا ان زاد على الناس في العبادات وذلك لان الكرامات فرع المعجزات فكما تميز النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة الطاعات والمعجزات فكذلك الولي لا يقع له كرامة الا ان جاوز أقرانه في الجد والطاعات وفي الحديث المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل اهـ وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول أول ما تنكرون من الجهاد جهاد نفوسكم وكان أبو مالك الاشعري رضي الله عنه يقول ليس عدوك الذي ان قتلته آجرك الله عليه ولكن عدوك الذي بين جنبيك يعني النفس وامرأتك التي تضاجعك وولدك الذي من صلبك فهؤلاء أعدى عدوك وكان نضر القاري

السلاطين وينفق عليهم ومنهم من يأخذ من أموال السلاطين والظلمة لينفق ذلك بطريق الحج على الصوفية ويزعم ان غرضه

رحمه الله تعالى يقول نحت الجبال بالاظافر حتى تنقطع الاوصال أهون من مخالفة الهوى اذا تمكن في النفس وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول ستون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة وستون من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده النفس في لحظة واذا جمعت الامور كلها على وفق المراد العبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه وقد أجمع سائر الملل على ان رضا الرجل وعلاقته مكروه النفس وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول الدنيا كلها محشوة بالعجائب وأعجب العجائب نجاة نفوس غافلة وس أمثال الناس من النار وكيف ينجو من النار من كل أعماله تجره اليها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول أصاب شخصا من الزهاد سهم فذبحه فقال الحمد لله الذي أخذ لي بثاري من نفسي فكم ذبحتني من ذبح وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول أنا أعلم شقاوتي من الآن فقيل له من أين وكيف ذلك قال لانهم قالوا من علامة سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلا وأنا أرى خصمي لا عقل له فقال ومن هو خصمك قال نفسي فقيل له أنت بحمد الله ذو عقل فقال كيف عقلي وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة اه وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول الهوى كامن في النفس لا يؤمن اتباعه قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه الآية وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول نحن اليوم لا نرى أحدا يعمل على وفق السنة وانما كل يعمل على موافقة الهوى ما بين عالم وجاهل وعابد وزاهد وشيخ وشاب كل يعمل ليحمد على ذلك اما عند الله واما عند الناس وكذلك يترك المعاصي خوفا من ازدراء الناس له لا خوفا من الله تعالى ومن ذا الذي منا لا يغضب ممن ذكره بسوء بين الناس اصطلحنا والله على المداهنة وتحابينا بالالسن وتباغضنا بالقلوب وطلبنا العلم لغير العمل بل للتزين والمباهاة والرياسة على الناس نحن أول من تسعر بهم النار وقد بلغنا ان الله تعالى أوحى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود ان أردت محبتي الك فعاد نفسك ودني بعداوتها اه وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول اذا ذكرت أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول والله لو أنكم تجدون للمعاصي ريحا ما استطاع أحد منكم ان يجلس الى من خبث ريحي وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى اذا أصاب أهل بلد ريح أو غلاء أو فناء أو بلاء يقول كل هذا من أجل ذنوب عطاء لو مات عطاء لاستراح الناس منه وكان سفيان بن عيينة رحمه الله يقول ينبغي للعبد أن يكون عند الله من أجل الناس وعند نفسه من أشرهم وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من ادعى درجة سقط منها واذا كان الرجل في أعلى درجة فمن حقه ان يحقر نفسه وكان أبو معاوية الاسود رحمه الله تعالى يقول كل من فضلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى اذا جلس اليه أحد وثقل على قلبه يوبخ نفسه ويقول لها انك لا تحبين الصالحين ولو رأيت هذا خيرا منك كرهته وثقل عليك مجالسته وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى كثيرا ما يقول من أحب أن ينظر الى مراء فلينظر الي ثم يمسك لحيته بيده ويبكي ويقول كنت يا فضيل في شبابك فاسقا ثم صرت في كهولتك مرائيا والله الفسق أهون من الرياء وقد قال شخص مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى يا مرائي فقال له مالك لقد عرفت يا أخي اسمي الذي أضله أهل البصرة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كل من زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لا يكمل العابد حتى يصير يرى اخلاصه رياء والله لو قيل لي ان الخليفة داخل عليك الساعة فسويت لحيتي بيدي لقصدوه لخفت ان أكتب في جريدة المنافقين اه وأما ترك القوم رضي الله عنهم الشهوات فدليلهم في ذلك الاخبار من الكتاب والسنة وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول تمدى الشيطان لعنه الله لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال له ما أنت صانع بامة محمد صلى الله عليه وسلم ان أنت أدركتهم فقال أزين لهم الدنيا حتى يكون الدينار والدرهم أشهى الى أحدهم من شهادة أن لا اله الا الله وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من غلب شهوته فهو خير من الملائكة لانهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة ومن غلبته شهوته فهو شر من البهائم لانهم شهوة بلا عقول وكان الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول من أكل الشهوات

البر والانفاق والباعث للجميع انما هو الرياء والسمعة وذلك اهمالهم لجميع أوامر الله ورضاهم بأخذ الحرام والاكل منه

وطلب حلالا فربحه فقد رام المحال وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمر على الجزار فيقول له الجزار خذ فان لحما وأنا أصبر عليك فيقول له أنا أولى منك بالصبر على نفسي وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول تجارة الزاهدين تكون مع الشهوات وتجارة التوابين تكون مع السيئات ومن أراد حماية نفسه من دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه في الدنيا وقد قال عتبة الغلام يوما لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى ان فلانا يصف نفسه بانه لا يذوقها وهو صادق عندنا فما سبب عدم فهمنا بحاله فقال لانه يأكل خبزه بلا ادام وأنتم تأكلونه بالادام وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله تعالى يقول من زعم ان أكل الشهوات لا يضره فقد أعظم الفرية على الله تعالى وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول من المحال ان يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات وقد كان طاوس رحمه الله يصف للمريض قلة الاكل ويقول لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواء أعظم من ترك الاكل وما أتى المرض لمريض الا من جهة الاكل ولذلك كانت الملائكة لا تمرض لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول من نظر الى قصر أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه الا نقص من عقله بقدر ما استحسن وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول من تناول الشهوات فليتهيأ للذل في الدنيا والآخرة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول شهوات الناس نيرانها وحطبها الناس والجوع ماؤها التي تطفأ به وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من أطيب الناس طعاما كان يأكل الجراد وقلوب النخل وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوع نفسه ويميتها ويقول لها الاكل أمامك وكان بشر بن السري رحمه الله تعالى يقول لان أترك ذرتين غداي أو عشاي أحب الي من عبادة العابدين وصلاة المصلين وحج الحاجين وصوم الصائمين وجهاد المجاهدين وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول مذهب جميع الصالحين الجوع فمن فر منه فهو من الفاسقين ولقد أدركنا العلماء وهم ربيع فصاروا الآن مزابل الدنيا واذا رأيتم الزاهد يترخص بأكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع من الزهد لان التبسط في الدنيا معدود من فسق العارفين وما بقي أحد من زهاد هذا الزمان تقر العين برؤيته ولقد أدركنا أقواما كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها واعلموا ان من كان شبعه بالطعام لم يزل جائعا ومن كان استناده الى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولا وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبدا ويقول أخاف ان أحرم شربه غدا ان شربته اليوم يعني في الآخرة وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول الناس يقولون ان من ترك اللحم أربعين يوما قل عقله واني قد تركته ستين وما نقص من عقلي شيء ولله الحمد وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيأ واذا مضى زمنه يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص ترك أكل الرطب منه شيأ ولا زاد في بطونكم شيأ وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول صاحب الشهوات معذب في الدنيا والآخرة في الدنيا في تحصيلها وفي الآخرة في الحساب عليها واعلموا ان من كثر أكله كثر لحم بطنه ومن كثر لحم بطنه كثرت شهواته ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق في الذنوب والآفات ومن غرق في الذنوب والآفات دخل النار وقد اشتهى مالك بن دينار رحمه الله في مرض موته خبزا أبيض ولبنا فلما أتوه به نظر اليه وقال دافعت نفسي عن الشهوات طول عمري أفأوافقها في آخره ثم قال اذهبوا به الى يتيم بني فلان ولم يأكله وقد مكث معروف الكرخي رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهي ان يغمس جزرة في دبس ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك قال وقدم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اناء فيه لبن وعسل فرده ولم يأكل منه وقال تذهب لذته وتبقى تبعته وقد رأى ابنه عبد الله رضي الله عنهما يوما يأكل خبزا وسمنا فعلاه بالدرة وقال له كل خبزا وملحا واترك السمن لغيرك اهـ فتأمل يا أخي نفسك وابك على حالك فان سداك ولحمتك شهوات فانت محجوب عن ربك في عموم الاوقات لا تلتذ بشيء من العبادات ولا تراقب ربك في الخلوات فكيف تدعي انك من الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم فانك لم توافقهم في الامور الباطنة والا

ومثال الذي ينفق المال الحرام في طريق الحج كمن يعمر مسجدا ويطينه بالعذرة وغيرها من النجاسات ويزعم انه قصده

يا أخي فاترك عزيمتهم الظاهر من عمل متصوف وجبة وصنعة وقد رأيت شخصا بهذه الصفة الى ولى يقلب
يده يمينا وشمالا فيلتقط اللحم وأطايب الطعام من بين يدي اخوانه ويدعي انه يدعى الى أكلة واحدة الى المطرية
خارج مصر أو بلبيس فيسافر اليها ويدعي انه يفعل ذلك جبرا لخاطر من يدعوه لا لأجل شهوة بطنه
والناقد بصير والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) شدة اجتهادهم في العبادة ليلا ونهارا رجالا ونساء ودوام
مواظبتهم على قيام الليل لا سيما في ليالي الشتاء وعدم رؤيتهم نفوسهم بذلك على أحد من النائمين أو أنهم
قاموا بذرة واحدة من واجب حقوق الله تعالى عليهم بل يرون جميع عباداتهم من النعم التي لا يطيقون لها
شكرا كما سيأتي بسطه في أماكن من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رحم الله أقواما يحسبهم الناس مرضى وما هم بمرضى قال الحسن يعني أجهدتهم العبادة وكانوا يعملون
أعمال البر ويخافون عليها الرد وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركت أقواما وصحبت
طوائف فما كانوا يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يحزنون على شيء منها أدبر وكانت في أعينهم أهون من
التراب الذي يطؤون عليه وكان أحدهم يعيش طول عمره لا يطوى له ثوب ولا يأمر أحدا من أهله بصنعة
طعام ولا يجعلون بينهم وبين الارض شيئا اذا ناموا وكانوا عاملين بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه
وسلم وكانوا اذا جنهم الليل قاموا على أقدامهم وافترشوا وجوههم وجرت دموعهم على خدودهم حتى
كان يظن الداخل لهم ان هذا من ماء الوضوء وقد دخل جماعة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى في
مرضه يعودونه فرأوه ناحل الجسم جدا فقالوا له ما الذي بلغ بك الى ما نرى فقال الهموم وأحزان توالت من
خوف الحساب وسوء المنقلب ولما مات منصور بن المعتمر رحمه الله تعالى قال رجل لأمه ما فعل منصور
فقالت ان منصورا رحمه الله تعالى صام فلم يفطر الا عند ربه عز وجل وقد كانت ابنة جاره ترى دائم القيام
بالليل على سطح داره فكانت تظن انه عمود لطول قيامه فلما مات فقدته فقالت لأهلها ما صنع ذلك العمود الذي
كان فوق سطحكم فقالوا لها قدم على ربه عز وجل فقالت كيف قالوا لم يكن في سطحنا عمود وانما ذاك منصور
كان يقوم طول الليل وقد كان الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه دائما يذكر ذلك ويبكي حتى تبتل
لحيته وكان داود الطائي رحمه الله يواصل العبادة ليلا ونهارا حتى لم يبق له وقت يأكل فيه ولا يشرب فكان
يأكل السويق والفتيت دون الخبز ويقول بين مضغ اللقمة وبلعها قراءة كذا كذا آية قال ودخل عليه
رجل يوما يزوره فرأى في سقف بيته جذعا مكسورا فأخبره بذلك فقال والله يا أخي ان لي في هذا البيت
عشرين سنة ما رفعت رأسي الى سقفه حياء من الله تعالى وقد كان الناس يجلسون الى أحمد بن رزين رحمه
الله تعالى فما يرونه يلتفت يمينا ولا شمالا فقالوا له في ذلك فقال ان الله تعالى انما خلق العينين للاعتبار فكل
من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة وقد كانت امرأة مسروق رحمهما الله تعالى تقول والله ما كان
مسروق يصبح من ليلة من الليالي الا وساقاه منتفختان من طول القيام وكنت أجلس خلفه فأبكي رحمة له
وكان رحمه الله اذا طال عليه الليل وتعب صلى جالسا ولا يترك الصلاة وكان اذا فرغ من صلاته يزحف كما
يزحف البعير من الضعف وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لولا ظمأ الهواجر وقيام الليل ما أحببت
البقاء في هذه الدار وقد صام الاسود بن يزيد رحمه الله تعالى في الحر حتى اخضر جسده واصفر وكان رحمه
الله تعالى يصلي حتى يسقط من قيامه وقد قالوا مرة لعلقمة بن قيس رحمه الله تعالى الى كم تعذب هذا
الجسد فقال انما أريد كرامته غدا وقد صام العلاء بن زياد رحمه الله تعالى حتى اخضر جسده وصلى حتى
سقط فدخل عليه الحسن البصري ومالك بن دينار رحمهم الله فقالا له ان الله لم يأمرك بكل هذا فقال انما أنا
عبد مملوك والله لو أني سجدت على الجمر عمري كله بل منذ خلق الله الدنيا الى قيام الساعة ما أديت شكر عافية
ساعة واحدة ولا شربة ماء وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أقعد من رجليه
وصار يصلي خمسمائة ركعة قائما ومثلها جالسا وكان علي بن الفضيل رحمه الله تعالى لا يستطيع ان يقرأ

العمارة (وفرقة أخرى) اشتغلت بالمجاهدة وتهذيب الأخلاق وتطهير النفس من عيوبها فصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا

سورة

سورة القارعة ولا يسمعها من غيره قال فهجم عليه شخص مرة فقرأها في صلاة المغرب فغشي عليه ثلاثة أيام بلياليها لا يفيق وقد كان الحرث بن سعيد رحمه الله تعالى يقول مررنا يوما براهب فرأينا شدة اجتهاده وما يصنع بنفسه فلمناه على ذلك فقال وما هذا الامر بالنسبة لما نلاقيه يوم القيامة مما نحن عنه غافلون فقال له بعضنا نريد نسألك عن أمر فهل أنت مخبرنا عنه فقال سلوا ولا تكثروا فان الوقت لن يعود والعمر لن يرجع والطالب حثيث فعجبنا من كلامه ثم قلنا له ماذا حكم الخلق غدا عند ربهم فقال يكونون على قدر نياتهم فقلنا له أوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم ثم أدخل رأسه في صومعته وتركنا وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مررت يوما براهب من رهبان الصين فقلت له يا راهب فلم يجبني فقلت له لم لا تجيبني فقال خفت ان أقول نعم فأكذب لأن الراهب هو من رهب من الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه وحمده على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لهيبته وتفكر في حسابه وعقابه وظل نهاره صائما وليله قائما قد أسهره ذكر النار ومساءلة الجبار فهذا هو الراهب وأما أنا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة لئلا أعقر الناس قال فتعجبت من كلامه ثم قلت له أخبرني ما الذي قطع الناس عن ربهم بعد أن عرفوه فقال قطعهم عنه حب الدنيا لانها محل المعاصي فالعاقل من رمى بها عن قلبه وتاب الى الله من ذنبه وأقبل على ما يقربه من حضرة ربه اهـ قال وقيل لداود الطائي يوما ألا تسرح لحيتك فانها قد تلبدت فقال اني اذا لفارغ وكان أويس القرني رحمه الله تعالى يحيي الليل كله بسجدة واحدة ولما تاب عتبة الغلام رحمه الله تعالى كان لا يتفرغ لأكل ولا شرب فقالت له أمه لو رفقت بنفسك يا ولدي فقال دعيني يا أماه أتعب في عمر قصير ليوم طويل ولما حج مسروق رحمه الله تعالى كان لم ينم قط في الطريق الا ساجدا على وجهه وكان عبد الله بن هلال رحمه الله تعالى يقول أرجو من الله تعالى أن لا يشهد علي ليل بنوم ولا نهار بفطر وكان عبد الله بن داود رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل عليه الليل يصلي منتصبا فاذا بلغ الاربعين طوى فراش النوم الى أن يموت وكان كهمس بن الحسين رحمه الله تعالى يصلي كل يوم ألف ركعة فاذا تعب قال لنفسه قومي يا مأوى كل شر فلما عجز كان يصلي كل يوم خمسمائة ركعة ثم يبكي ويقول يا ويلي نقص نصف عبادتي وقد كانت ابنة الربيع بن خثيم رحمهما الله تعالى تقول يا أبت مالي أرى الناس ينامون وأنت لا تنام فيقول لها ان أباك يخاف أن يموت في نومه فيدخل النار قال ولما سافر مالك بن دينار لزيارة أويس القرني رحمهما الله تعالى فدخل عليه بعد صلاة الصبح فوجده جالسا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم لم يتكلم الى الظهر فصلى الظهر ولم يتكلم الى العصر فصلى العصر ولم يتكلم الى المغرب فصلى المغرب ولم يتكلم الى العشاء ثم صلى ولم يتكلم الى الصبح فلما صلى الصبح غلبته عينه وهو جالس فانتبه فزعا وهو يقول اللهم اني أعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع قال مالك فقلت في نفسي حسبي هذا من شهود أحواله ثم رجعت ولم أكلمه وقد نظر رجل الى أويس رحمه الله تعالى فقال له مالي أراك مريض الدهر فقال وما لأويس لا يكون مريضا ان المريض يطعم وأويس غير طاعم وينام المريض وأويس غير نائم ثم قال يا عجبا ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وان النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر اليهما وقد دخل رجل على ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى فوجده قد صلى العشاء فجلس الرجل يرقبه الى الفجر وابراهيم مضطجع فلما طلع الفجر قام ابراهيم الى الصلاة فقال له الرجل كيف تصلي وقد كنت نائما فقال لم يأخذني نوم بل كنت جائلا في أودية النار أنظر عذاب أهلها فكيف أنام وقد كان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم يصلي فلا يأتي فراشه الا زحفا وكان عامر بن عبد الله رحمه الله تعالى يصوم الدهر ويقوم الليل كله فقيل له في ذلك فقال وما هذا ان هو الا اني جعلت طعام النهار الى الليل ونوم الليل الى النهار وليس في ذلك كبير أمر وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كان الصحابة رضي الله عنهم يصبحون شعثا صفرا قد باتوا سجدا وقياما يراوحون بين أقدامهم وجباههم وكانوا اذا ذكر الله عز وجل يميدون كما يميد الشجر في يوم الريح وتهمل أعينهم حتى تبتل ثيابهم

البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها على وجه أنهم في جميع أحوالهم مشتغلون بالتحفظ من عيوب النفس باحتياط

وتصير دموعهم كآثار ماء الوضوء فاذا كان وقت السحر يدهنون وجوههم ويكحلون كأنهم باتوا نائمين غافلين وكان أبو مسلم الخولانى رحمه الله تعالى قد وضع فى مكان تهجده سوطا فكان كلما أخذته فترة ضرب نفسه بالسوط ويقول لها قومى لعبادة ربك والله لازحفن بك زحفا حتى يكون الكلال منك لا منى وانك أولى بالضرب من الدابة لموضع همتك وكثرة دعاويك وقد تعبد ضيغم العابد رحمه الله تعالى قائما حتى اقعد وتعبد قاعدا حتى استلقى وتعبد مستلقيا حتى مات رحمه الله وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا قوما كانوا فى العبادة على حد لا يقبل الزيادة قال وتعقدت ساقا صفوان بن سليم رحمه الله تعالى من طول القيام حتى لو قيل له ان الساعة تقوم غدا ما وجد زيادة على ما هو فيه وكان اذا جاء الشتاء يتهجد فوق السطح حتى مات وهو ساجد وكان القاسم بن محمد رحمه الله تعالى يقول رأيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تصلى الضحى وهى تردد قوله تعالى فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم الى قريب الزوال وهى تبكى وكان أمير المؤمنين على رضى الله عنه يقول علامة الصالحين صفرة الالوان من طول السهر وعمش العيون من طول البكاء وذبول الشفاه من كثرة الصوم وقد كان الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول لمجتهدى زمانه فى العبادة والله ان اجتهادكم كاللعب بالنظر لمن كان قبلكم وكان عتبة الغلام رحمه الله تعالى يقطع الليل بثلاث صيحات فكان يضع رأسه فى طوقه يتفكر فاذا مضى كل ثلث من الليل يصيح صيحة فقالوا لجعفر ابن محمد الصادق رضى الله عنهما على ذلك فقال لا تنظروا الى صياحه ولكن انظروا اما صاح منه وقد كانت حبيبة العدوية رحمها الله تعالى اذا صلت العتمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم تقبل على صلاتها الى الفجر وكانت تقول فى مناجاتها اللهم اغفر لى سوء أدبى فى صلاتى وقد كانت عجرة العابدة رحمها الله تعالى تحيى الليل كله وهى مكفوفة ثم تنادى بصوت محزون الهى سار العابدون الى حضرتك وأنا نامدة العزية وقد كانت عفيرة العابدة رحمها الله تعالى لا تضع جنبها الى الارض فى ليل ولا نهار وتقول أخاف أن أؤخذ على غرة وأنا نائمة وقد كانت شعوانة العابدة رحمها الله تعالى تنوح كل ليلة وتبكى الى الصباح فدخل عليها جماعة يوما فقالوا لها ارفقى بنفسك فقالت والله لقد وددت أن أبكى الدم فضلا عن الدموع حتى لا يبقى فى جسدى قطرة من دم وكانت تقول اللهم اغفر لكل من تعرض لمصيبتك بعد معرفتك وقد قالت مرة اللهم بحبك لى الا ما غفرت لى فقالوا لها ومن أين عرفت انه يحبك فقالت لولا محبته لى ما أقامنى بين يديه فى الظلام والناس نيام وقد كانت معاذة العابدة رحمها الله تعالى تحيى الليل كله بالصلاة فاذا غلب عليها النوم قامت فجالت فى الدار وهى تقول يا نفس النوم أمامك فى القبر اما فى سرور وفرح واما فى عذاب وحسرة وقد أرادت أم ابراهيم العابدة رحمها الله تعالى أن تجاور بمكة ثم تركت ذلك فقالوا لها فى ذلك فقالت علمت انى لا أصلح لخدمته فطردنى من حضرته وقد كان ذو النون المصرى رحمه الله تعالى يقول خرجت ليلة من وادى كنعان فلما علوت الوادى اذا سواد مقبل فحققت النظر فاذا هى امرأة فقلت من هذا السواد فقالت ومن هذا الرجل فقلت غريب فقالت سبحان الله وهل مع الله غربة قال ذو النون فبكيت من قولها فقالت لو كنت صادقا ما بكيت فقلت وهل عدم البكا من الصدق قالت نعم لان البكاء راحة القلب والصادق لا يطلب راحة فى هذه الدار قال ذو النون فعجبت من قولها وقلت لها اطلبى بموعظة فقالت لى عليك بالحياء من الله تعالى فان عطاء السلمى مكث أربعين سنة لا يرفع طرفه الى السماء حياء من الله وقد سمعت رابعة العدوية سفيان الثورى رحمهما الله تعالى يقول واحزناه فقالت له يا سفيان لا تقل ذلك لو كنت حزينا ما طرقت لهذا القول قل واقلة حزناه فانه الى الصدق أقرب وقد كانت ظفيرة العابدة رحمها الله تعالى لا تمل من البكاء فقيل لها أما تسامين من كثرة البكاء فقالت كيف يسأم انسان من دواء مرضه وشفائه وقد كانت أم العلاء السعدية رحمها الله تعالى تبكى وتصلى طول ليلها وتقول ذنوبى كثيرة فلم تزل تبكى حتى ذهب بصرها وقد بكت بردة العابدة رحمها الله تعالى حتى ذهب بصرها فلاموها على ذلك فقالت لو رأيتم بكاء العصاة يوم القيامة لقلتم ان هذا البكاء كاللعب وقد مكثت ابنة محمد بن سيرين رحمها الله تعالى عشرين سنة فى مصلاها لا تقوم

دقيق الكلام فى آفاتها
يقولون هذا فى الليل
يعوالقلة عن كونه عيبا
عيبو يستطعون فيه
بكلمات تسليتها فضيعوا فى

الا الوضوء والصلاة فقط وقد كانت معاذة العدوية رحمها الله تعالى تصلي في الليل الطويل فكانت تكل
الرجال وهي لا تكل وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى لا تهدأ ولا تنام ولا تفطر حتى ماتت قال
الداراني رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان الصباح قلت لها يا رابعة ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت
أن نصوم له النهار ونقوم له الليل حتى نموت وقد كانت رملة العابدة رحمها الله تكثر الصوم حتى اسود جلدها
وبكت حتى عميت وصلت حتى أقعدت قال ابراهيم الخواص رحمه الله صليت معها ليلة فلما كان السحر
سمعتها تقول يا ليتني لم أخلق ثم تبكي وكان صالح المري رحمه الله تعالى يقول قرأت مرة قوله تعالى يوم
تقلب وجوههم في النار فسمعها عابد فصعق ثم أفاق فقال أعدها علي فأعدتها عليه فخر ميتا وقد وعظ عبد
الواحد بن زيد رحمه الله الناس مرة فصاح رجل من ناحية المسجد كف عن كلامك يا واعظ فقد كشفت
قناع قلبي فلم يكف عبد الواحد فصرخ الرجل ثم خرجت روحه قال ابن القاسم وأنا ممن شهد جنازته رحمه الله
تعالى وقد قرأ زرارة بن أبي أوفى رضي الله عنه قوله تعالى فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير وكان في
الصلاة فخر ميتا وكان عمرو بن أدهم رحمه الله تعالى يعصب عينيه اذا خرج الى السوق لا يرى كافرا ولا غافلا
عن الله تعالى وكان له غلام يقوده فقال لغلامه يوما أين نحن قال في المقابر فحل العصابة عن عينيه فوقع بصره
على القبور فخر ميتا وقد كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام اذا ذكر النار بكى حتى يسمع وجيب
قلبه من مسيرة ميل فقال له جبريل عليه الصلاة والسلام يوما هل رأيت خليلا يعذب خليله فقال يا جبريل
اذا ذكرت خطيئتي نسيت خلتي وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه لما نزل قوله تعالى
وان جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على رأسه وخرج هاربا فمكث
ثلاثة أيام لا يعي شيأ وكان محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى اذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول بلغني
أن النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقد كان الامام أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول من
استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتباك وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول من كان يريد
القرب من المحبوب فليكثر من البكاء على الذنوب وكان محمد بن عثمان رحمه الله تعالى يقول ما شبهت عيني
الفضيل بن عياض رحمه الله الا كأنهما ميزابان وقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه يوما لثابت البناني رحمه
الله تعالى ما أشبه عينيك بعيني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى ثابت حتى عشيت عيناه غيرة على عيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشبه بهما غيرهما وقد بكى فتى من الانصار رضي الله عنهم حتى أظلم بصره
فعوتب على ذلك فقال والله لابكين ما عشت فاذا مت فعند الله أحتسب تقصيري في مرضاته ولما بكى الحسن
البصري على ابنه سعيد رحمهما الله تعالى لاموه على ذلك فقال رحم الله سعيدا والحمد لله الذي لم يجعل بكاء
يعقوب على يوسف عليهما الصلاة والسلام عارا ولم يعاتبه الله على ذلك والا لو كان عارا كان الامر قد ضيق
علينا وكان العتبي رحمه الله تعالى يقول اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى
فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي والدموع تتقاطر على وجهه ولحيته وهو يضطرب فقال لهم ما بالكم فقالوا
له عظنا يا أبا علي فقال عليكم بالقرآن عليكم بالسنة عليكم بالصلاة ويحكم هذا الزمان ليس بزمان حديث
وانما هو زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وكان أبو سليمان
الداراني رحمه الله تعالى يقول بلغنا انه ما سالت قطرة من عين قبل الرواح الى الجمعة الا أوحى الله تعالى الى
كاتب الشمال ان اطو صحيفة عبدي فلان ولا تكتب عليه خطيئة الى مثلها من الجمعة الاخرى وكان منصور
ابن زادان رحمه الله تعالى يصلي ويبكي ويجعل عمامته كورة كورة يجمع بها دموعه حتى تبتل ثم ينشرها في
الشمس وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول والذي نفسي بيده لان أبكي من خشية الله تعالى حتى
تسيل دموعي على وجهي أحب الي من ان أتصدق بجبل من ذهب وكان ذر بن عمرو رحمه الله يقول لابيه
يا أبت ما لي أرى المتكلمين يتكلمون ولا يبكي أحد فاذا تكلمت أنت سمعت البكاء من ههنا ومن ههنا فقال
يا بني ليست النائحة بالاجرة كالنائحة الثكلى وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه يقول مر يحيى بن

ذلك أوقاتهم لانهم وضعوا مع أنفسهم ولم يتعلقوا بخلائقهم ومثلهم من اشتغل بأوقات الحج وعوا نفسه ولم يسلك طريق الحج وذلك

زكرياء عليهما الصلاة والسلام يوما وهو مكب على قبر يبكي فقال له ما الذي يبكيك يا أخي فقال أخبرني
جبريل عليه الصلاة والسلام ان بين الجنة والنار مفاوز لا يقطع حرها الا الدموع فقال له عليك بالبكاء يا أخي
ثم أكب على القبر يبكي معه حتى بلا الثرى اهـ وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اللهم ارزقني
عينين هطالتين تبكيان من خشيتك قبل أن تكون الدموع دما والاضراس جمرا وكان ذو النون المصري
رحمه الله تعالى يقول وقفت مرة على عابد في جبل وهو يبكي فقلت له ملام تبكي فقال لست أبكي على فوات شيء
وانما هي روعة يجدها الخائفون في قلوبهم من هيبة الله تعالى لا يمكنهم التلفظ بها وكان ابراهيم الخواص
رحمه الله تعالى يكثر من البكاء أواخر عمره ويقول يارب قد كبرت وقد ضعف جسمي وقلت عبادتي فاعتقني
بفضلك من النار فاني لا أقدر أمكث فيها لحظة وقد كان نافع رحمه الله تعالى يقول كان بوجه أمير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من جري الدموع ولما رمدت عينا ثابت البناني رحمه الله تعالى
وضعف بصره قال له الحكيم ان تركت البكاء والسجود أمكنني مداواتك فقال ثابت وما حاجتي في الدنيا بغير
هذين اذهب فلا حاجة لي بمداواتك وقد قالوا لمالك بن دينار رحمه الله تعالى ههنا شخص حسن الصوت
بالقرآن أفلا نأتيه فتسمعه فقال ان الثكلى لا تحتاج الى نائحة وقد كان الضحاك بن مزاحم رحمه الله تعالى
يبكي كل ليلة عند الفجر وبعد حتى تبتل لحيته ويقول اني أخاف أن يكون قد صعد من عملي في هذا اليوم ما يسخط
ربي وكان مكحول الدمشقي رحمه الله تعالى يقول اذا رأيتم أحدا يبكي فظنوا به خيرا فاني نظرت مرة الى
رجل يبكي فظننت به انه مراء فحرمت عمري مالي البكاء سنة وكان يزيد بن ميسرة رحمه الله تعالى يقول البكاء
يكون من خمسة أشياء من الفرح والحزن والوجع والفزع والرياء وسادسها البكاء من خشية الله تعالى
وهو يأتي صاحبه بغتة ولا يكون بالتفعل وهذا هو الذي تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار اهـ وكان
كعب الاحبار رضي الله عنه يقول ان العبد ليبكي حتى يرسل الله عز وجل ملكا فيمسح عينيه بجناحه
وحينئذ يبكي العبد من خشية الله تعالى وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول بكى داود عليه الصلاة والسلام
أربعين يوما لا يرفع رأسه من السجود حتى نبت المرعى من دموعه وغطى رأسه حياء من الله عز وجل فنودي
يا داود أجيعان أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عريان فتكسى فأجيب داود من غير ما طلب حتى تبلغ
المؤاخذة حدها قال ثم نحب داود نحبة هاج منها العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة
والمغفرة فقال يارب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة في كفه فكان لا يبسط كفه لطعام ولا
شراب ولا غيرهما الا رآها وبكى وكان يؤتى بالقدح من الماء ليشربه فما يضعه على شفتيه حتى يفيض من
دموعه ولم يرفع بصره الى السماء بعد ذلك حياء من الله تعالى الى ان مات عليه الصلاة والسلام وكان الفضيل
ابن عياض رحمه الله يقول بلغني ان داود عليه الصلاة والسلام ذكر ذنبه ذات يوم فذهب صارخا واضعا يده
على رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت اليه السباع فقال ارجعوا لست أريدكم انما أريد كل بكاء على
خطيئته مثلي ومن لم يكن ذا خطيئة فما يصنع بداود الخطاء وقال كعب الاحبار رضي الله عنه كان الناس
اذا لاموا داود عليه الصلاة والسلام على طول البكاء يقول ذروني أبكي قبل يوم البكاء الطويل قبل تحريق
العظام واشتعال اللحى بالنار قبل ان يؤمر بالعبد الى جهنم فتصحبه ملائكة غلاظ شداد وقد كان عبد
العزيز بن عمير رحمه الله تعالى يقول لما أصاب داود عليه الصلاة والسلام الخطيئة نقصت نغمته وبح صوته
فقال الهي قد بح صوتي في سطاء أصوات الصديقين فأوحى الله اليه ان الصديقين لا يخطئون وقد كان
وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كان داود عليه الصلاة والسلام قبل وقوعه في الخطيئة يقول اللهم لا تغفر
لمن عصاك غيرة لجناب الحق عز وجل فلما وقع في الخطيئة صار يقول اللهم اغفر لكل خطاء حتى تغفر
لعبدك داود معهم وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لما اشتد البكاء على داود عليه الصلاة والسلام ولم ير
البكاء ينجع قال يارب أما ترحم بكائي فأوحى الله تعالى اليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال الهي
كيف أنسى ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأظلني الطير

لا يخشه من الله فهو مغرور (وفرقة أخرى) جاوزت هذه المرتبة وابتدؤا سلوك الطريق وانفتحت لهم أبواب المعرفة فلما نجوا من

٢

وأنست الوحوش الى عيرانى فما هذه الوحشة التى بينى وبينك يارب فأوحى الله اليه ياداود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ياداود آدم خلقته بيدى ونفخت فيه من روحى وأسجدت له ملائكتى وألبسته ثوب كرامتى وتوجته بتاج وقارى وشكا الى الوحدة فزوجته بحواء أمتى وأسكنته جنتى فلما عصانى مرة واحدة يا كلمن الشجرة طردته عن جوارى عريان ذليلا ياداود اسمع منى ما أقول والحق أقول أطعتنا فأطعناك وسألتنا فأعطيناك وعصيتنا فأمهلناك وان عدت الينا قبلناك (قلت) اعلم ان الذى يجب على كل مسلم أن يعتقد ان خطايا الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا تعقل لأمثالنا بل ربما تقرب أحدنا بها الى الله تعالى ولا يجوز حملها على ما تنعقل عن من المعاصى التى نهانا الله عنها فاحفظ يا أخى نفسك ولسانك حتى أكابر حضرة الله تعالى وخواص خلقه من أنبيائه وأصفيائه وقد ذكرنا فى كتابنا الاجوبة عن الاكابران معاصى الانبياء عليهم الصلاة والسلام صورية لا حقيقية أجراها الله تعالى على أيديهم تعليما لهم بالفعل ليعلموا قومهم كيفية الخروج من المعاصى الحقيقية اذا وقعوا فيها وكان بكاؤهم أيضا صوريا فاعلم ذلك يا أخى وابك على قلة بكائك وادخل من الباب الذى دخل منه البكاؤن من خشية الله تعالى وهو الجوع وعدم أكل الحرام والشبهات فان من شبع من ذلك قسا قلبه ضرورة كما تقدم لك بسطه مرارا وكان عبد الرحمن بن الاسود اذا اعتلت رجله قام على رجل واحدة الى الصباح ولا يترك قيام الليل وقيل للحسن البصرى مرة ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وكانت شعوانة تقول لاصحابها ألزموا قلوبكم الحزن وخشية الله ثم لا يبالى أحد كم حين مات وكان لابى بكر بن عياش خطان أسودان فى خده من الدموع ولما سرق مصحف مالك بن دينار فكان اذا وعظ الناس بكوا فيقول كلنا نبكى فمن سرق المصحف والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة الاستغفار وخوف المقت كلما قرأوا القرآن لشهودهم عدم عملهم به وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله يقول كم من حامل للقرآن والقرآن يلعنه من جوفه واذا عصى حامل القرآن ربه ناداه القرآن من جوفه والله ما لهذا حملت ألا تستحى من ربك واعلم انه يجب على تالى القرآن أن يروض نفسه على يد شيخ صادق حتى يلطف كثائفه ويحجبه المانعة من العمل بالقرآن وعن شهود عظمة الله تعالى فانه لو شهد عظمته عز وجل ما عصاه كما عليه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكل ورثتهم اذلا يقع أحد فى معصية قط الامع الحجاب اه وقد كان يوسف بن أسباط رحمه الله تعالى كلما ختم القرآن يستغفر الله تعالى سبعمائة مرة ثم يقول اللهم لا تمقتنى بما قرأته من غير عمل سبعين مرة وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول حامل القرآن مقامه يجل عن ان يعصى ربه وكيف يصح له أن يعصى ربه وكل حرف من القرآن يناديه بالله عليك لا تخالف ما أنت حامله منى فلا ينبغى لحامل القرآن ان يلهو مع اللاهين ولا يسهو مع الساهين ولا يغفل مع الغافلين وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن فى قلوبكم فان القرآن ربيع القلب كما ان الغيث ربيع الارض وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول ينبغى لحامل القرآن ان يعرف بليله اذا الناس نائمون وبنهاره اذا الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس ضحكوا وبصمته اذا الناس لغوا وبخشوعه اذا الناس يختالون بعنى فى ثيابهم ومشيهم وقد كان سفيان الثورى رحمه الله تعالى يقول لا ينبغى لحامل العلم والقرآن ان يكون جافيا ولا ممار يا ولا راغبا صوته بالحديث والعلم ولا راغبا فى الدنيا لان كل كلمة يعملها يقول له ازهد فى الدنيا وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول من تأمل وجد كل كتاب أنزل يقول له اتق الله سبحانه وتعالى وكان صالح المرى رحمه الله تعالى يقول قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فلما ختمته قال لى صلى الله عليه وسلم هذا القرآن فأين البكاء وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ما ثم مصيبة أعظم من مصيبتنا يتلو أحدنا القرآن ليلا ونهارا ولا يعمل به وكله رسائل من ربنا الينا وكان والده على رحمه الله تعالى يقول من لم يمسك على نفسه عند تلاوة القرآن فهو مغرور ولان المراد منه

مبادى المعرفة رائحة تهبوا منها وفرحوا بها وأعجبتهم غرائبها فتعلقت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفى كيفية انفتاح بابها

العمل لا التلاوة وكان اذا قرأ القرآن يبكي حتى يكاد لا يقدر على اتمام السورة ويقول اني لاتعجب ممن يفرح كلما ختم القرآن تلاوة ولا يطالب نفسه بشيء من مواعظه وزواجره وقوارعه وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ربما اني أقوم خمس ليال متواليات بآية واحدة أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها ولولا ان الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري لان لي في كل تدبر علما جديدا والقرآن لا تنقضي عجائبه وقد سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لولا ان الله تعالى يعطي لكل من الاولياء معاني القرآن هبة منه تبارك وتعالى حال تلاوتهم له لما قدر أحد منهم على تلاوته كله في ليلة واحدة اذ الكمل ليست علومهم المتعلقة بالقرآن مستنبطة بفكر ولا امعان نظر انما هي مواهب يهبها لهم حال تلاوتهم فتكون عين التلاوة هي عين المعاني ومتى تخلفت المعاني عن النطق فذلك من نتيجة الفكر قال رحمه الله وعليه يحمل قول الحق عز وجل للامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه حين رآه في المنام وقال له يا رب بم يتقرب اليك المتقربون قال بكلامي يا أحمد قال يا رب بفهم أم بغير فهم قال تعالى بفهم وبغير فهم فالمراد من قوله وبغير فهم ان معانيه تأتي اليهم من طريق الكشف لا بواسطة الفكر وهذا هو اللائق بشرح هذا الكلام وان كان تالي القرآن له الثواب على كل حال اه (قلت) وهو كلام غريب فليتأمل وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول رب تال القرآن والقرآن يلعنه وكان أبو ميسرة رحمه الله تعالى يقول الغريب هو القرآن في جوف الفاجر وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول الزبانية الى حملة القرآن أسرع منهم الى عبدة الاوثان أي لكونهم خالفوا ما حملوا وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول اذا قرأ العبد كلام الله ثم تكلم بلغو ثم عاد الى القرآن قال الله تعالى له مالك ولكلامي (قلت) ومن هنا كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى اذا كان يقرأ ثم كلمه أحد في حاجة يقول بقلبه دستور يا رب أكلم فلانا ثم يكلمه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ان حملة القرآن يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الانبياء عليهم الصلاة والسلام يعني يسألون عن العمل بالقرآن أو غيره كله لانهم مأمورون ان لا يغفلوا عنه بحكم واحد وفي الحديث أكثر منافقي هذه الامة قراؤها وقد أخبرني سيدي الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله انه مكث عشرين سنة يتلو في النهار ختما وفي الليل ختما وذلك قبل اجتماعه بشيخه في الطريق سيدي أحمد المرحومي رحمه الله تعالى فلما اجتمع به وأخبره بذلك قال له ما حصلت شيئا لانك كنت تفرح بعدد الختوم ولا تطالب نفسك بالعمل بشيء منه فقال نعم قال ثم أمرني الشيخ بعد ذلك بالتدبر ومطالبة نفسي بالعمل بكل آية فما قدرت بعد ذلك على عشر ما كنت أقرأ قبل ذلك يا أخي والحمد لله رب العالمين

* (ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) * التهيؤ للوقوف بين يدي الله تعالى في كل صلاة من أول الوقت فكان أحدهم يستشعر عظمة الله تعالى شيئا فشيئا من حين وضوئه أو من حين ينادي حي على الصلاة حتى يصل الى الحضور مع الله تعالى بحسب مقامه لاسيما ان كان أحدهم يطالع علما قبل الصلاة أو في خصومة أو نحو ذلك فان استجلاب الحضور عليه بعيد الا ان كان يستعد له من قبل دخول الوقت وقد كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله يستعد للوقوف في الصلاة قبل دخول الوقت بعشر درج فقلت له يوما أنت بحمد الله ليس لك علاقة دنيوية تمنعك من الحضور فقال ان لكل انسان عوائق بحسب مقامه ولولا الحجاب الذي لهم قبل الصلاة لما اضطرت أولياؤهم عند القيام اليها فلا بد لكل ولي من حجاب ينكشف له عند القيام الى الصلاة فيزداد بذلك تعظيما لربه عز وجل ولولا وجود الحجاب النسبي لما كان الخليل عليه الصلاة والسلام اذا دخل في الصلاة يسمع لجوفه ضجيج من مسيرة ميل وانما نقل عن الاكابر زيادة التعظيم لله تعالى في الصلاة لانهم يقفون فيها بين يدي الحق عز وجل كما يقف غلام الملك بين يديه ولله المثل الاعلى اه وفي الحديث خمس صلوات كتبهن الله تعالى على العباد فمن جاء بهن لم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة وفي الحديث أيضا أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر أعماله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وفي الحديث أيضا من لم يتم ركوع الصلاة ولا

علمهم واستمداده على غيرهم وذلك غرور ولان عجائب طريق الله ليس لها نهاية فمن وقف مع كل أعجوبة وتقيد قصر نشاطه وحرم

سجودها ولا تنشره بها حتى خرجت وهي سوداء مظلمة تقول لصاحبها ضيعك الله كما ضيعتني حتى اذا كانت حيث شاء الله تعالى لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وكان سعيد التنوخي رحمه الله تعالى كلما صلى تصير دموعه تتناثر على خده ولحيته قال ورأى الحسن البصري رحمه الله تعالى رجلا يصلي وهو يعبث بلحيته فسمعه وهو يقول في سجوده اللهم زوجني في الجنة من الحور العين ما تقر به عيني فقال له الحسن يا هذا ما رأيت خاطبا للحور أقل حياء منك تخطب الحور من الله تعالى وأنت تلعب وكان مسلم بن يسار اذا دخل في الصلاة لا يدري أي شيء يكون من حوله وكان رحمه الله تعالى يقول لاهله لا ترفعوا أصواتكم عندي الا اذا رأيتموني دخلت في الصلاة فاني اذا كنت فيها لا أسمع شيأ من كلامكم وقد سقط جانب المسجد وهو يصلي فيه فوقعت ضجة عظيمة وخرج الناس مسرعين منه وهو لا يعلم بذلك حتى سلم من الصلاة وكان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه اذا حضرت الصلاة يصفر لونه ويتغير ويقول انها الامانة وانها عرضت على السموات والارض والجبال فابين أن يحملنها وحملتها أنا فلا أدري هل أوفي بآدابها أم لا وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول قال داود عليه الصلاة والسلام يارب من الذي تقبل صلاته وينبغي له أن يدخل بيتك يعني المسجد فاوحى الله اليه من تواضع لعظمتي وقطع نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من أجلي واطعم الجائع وآوى الغريب ورحم المصاب فذلك الذي ينبغي له أن يدخل بيتي وأجيب دعاءه وكان حاتم الاصم رحمه الله تعالى يقول ماصليت صلاة قط الا ورأيت ما أتيت به فيها من سوء الادب أكثر مما فعلت فيها من الطاعة وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لركعتان مع حضور قلب خير من ألف ركعة والقلب ساه وقد كان علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم يسمى السجاد لكثرة سجوده وكان يقول ان الخضوع فيه أفضل من الخضوع في الركوع فلذلك كنت أكثر منه قيل كان ورده كل يوم ألف ركعة وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يسجد في صلاته على التراب دون الحصير ويقول ان ذلك أقرب الى الخضوع بين يدي الله تعالى وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وأحدهم اذا دخل المسجد ارتعد وتغير من شدة هيبة الله تعالى حتى لا يبقى شيأ من أمور الدنيا ويذهل عن كل شيء وقد كان شيخنا سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى آخر من أدركته من رجال هذا المقام كان رحمه الله لا يجسر أن يدخل المسجد الا تبعا للناس وكان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يقول من جلس في المسجد فانما يجالس ربه عز وجل وسيأتي على الناس زمان يجلسون في المسجد حلقا حلقا حديثهم فيه الدنيا فلا تجالسوهم (قلت) هذا في الحديث المباح فما بالك بمن يجلس في المسجد يستغيبون فيه العلماء والصالحين نسأل الله العافية فاعلم ذلك يا أخي وتخاشع عسى تصير من الخاشعين والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) العمل على كشف حجابهم حتى يصير أحدهم يصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره الشريف كلما شاء وكذلك يصلي خلف كل نبي عليهم الصلاة والسلام لما ورد انهم عليهم الصلاة والسلام يصلون في قبورهم باذان واقامة وقد كان سيدي الشيخ أبو العباس المرسي قدس الله سره يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر بذلك عن نفسه وكذلك كان أخي الشيخ أفضل الدين رحمه الله تعالى وقد قال سيدي أبو العباس رحمه الله يوما لاصحابه أيكم يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحجب عنه في ليل ولا نهار فقالوا كلهم ليس منا أحد يقع له ذلك فقال لهم ابكوا على قلوب محجوبة عن اسرار الكون والملكوت والله لو احتجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحظة ما أعددت نفسي من المسلمين انتهى (قلت) وهو مقام شريف لا يصل اليه السالك الا بعد مجاوزة مائة ألف حجاب وسبعة وأربعين ألف حجاب وتسعمائة وتسعة وتسعين حجابا فليس ذلك لكل ولي كما أوضحنا ذلك في كتابنا العهود المحمدية وتقدم أيضا في أوائل هذا الكتاب فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) مراعاتهم الادب في الصوم والحج زيادة على آدابهم في القربات الشرعية وذلك ليحفظ أحدهم من وصول ابليس اليه بالوسوسة من العام الى العام أو من حجة

سول الى المقصد ومثال
لم يكن قدم عمل مالك
يعلى باب ساعة روضة
أزهار وأنوار ولم يكن
رآها قبل ذلك ولا رأى

الى أن يموت كما أنه اذا حضر قلبه فى صلاة الجمعة يحفظ من ابليس الى الجمعة الآتية كما انه اذا حضر قلبه فى صلاة من الخمس يحفظ من ابليس الى الصلاة التى بعدها كما يعرف ذلك من أطلعه الله تعالى على أسرار الشريعة ممن يصلون الصلاة الخمس وربما أشر باختلاف من كانت صلاته عادية وقد سمعت خضاسرة يقول لسيدى على الخواص رحمه الله تعالى أصليتم العصر فسكت الشيخ ولم يجبه ساعة ثم قال له لا تعد تقول لاحد مثل ذلك فتوقعني فى الكذب اذ لا تسمى صلاة الا ما حضر العبد فيها مع ربه عز وجل من أولها الى آخرها بحيث لا يمر بخاطره فيها الا حب الله تعالى وكونه بين يديه وما يتلفظ به ويفعله من قراءة وذكر وركوع وسجود وقعود ثم قال الرجل فاذا أقول لكم اذا أردت أن أسألكم عن مثل ذلك فقال له قل لى هل قمت وقعدت مع الناس فى الوقت أم لا وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يتزهون صومهم عن الضحك فيه ويقولون انه شهر المسابقة الى الخيرات لا شهر الضحك واللهو والغفلة وكان الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول ان شهر الصوم شهر الجوع فمن لم يجع فيه حتى يتغير جلده لا يحصل على طائل من صومه وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من لم يحبس جميع جوارحه عن المعاصى فهو مفطر وان جاع ومن حبس جوارحه فهو الصائم حقيقة (قلت) والمراد به كالمفطر فى نقص الاجر فى أحكام الآخرة حين يرى العامل أجره وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وتغير وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبى من الهيبة فقالوا له ألا تلبى فقال أخشى أن أقول لبيك فيقال لى لا لبيك ولا سعديك فقيل له لا بد من قولك فلما لبى غشى عليه وسقط عن راحلته ولم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه ولما قبل الحجر الاسود قال لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك وكذا أصحابه رضى الله عنهم ما قبلتك (قلت) وهذا يفهم أن عدم تقبيل أضرحة المشايخ أولى من تقبيلها لكون النبى صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه أنه قبل شيأ من قبور اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا بلغنا أنه صلى الله عليه وسلم أقر أحدا على ذلك يعنى على تقبيل قبر أحد من صالحى أمته فلذلك كان من الادب التوقف عن تقبيل أضرحة المشايخ وأعتابهم ويجعل بدل ذلك الاقتداء بأخلاقهم ولما أحرم أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى بالحج لم يقدر أن يلبى حتى سار الى كذا ميلا وأخذته كالغشية فى المحمل ثم أفاق فقال لاحمد بن أبى الحوارى رحمه الله وكان معه يا أحمد ان الله عز وجل أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن مر ظلمة بنى اسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة حتى يسكت عن ذكرى ويحك يا أحمد بلغنا أن الله تعالى يلعننا وقد ظلمنا أنفسنا وظلمنا غيرنا وكان مالك بن دينار رحمه الله يقول رأيت شابا بالحرم وهو ساكت فقلت له لم لا تلبى يا غلام فقال لى يا شيخ وما تغنى عنى التلبية وقد سبق منى ذنوب وجرائم وقبائح وفضائح لا تحصى فانى أخاف اذا أنا لبيت أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك قال مالك فقلت له يا ولدى ان الله تعالى كريم غفور فقال أو تشير على بالتلبية قلت نعم فوضع جنبه على الارض وقال لبيك فشهق وخر ميتا رحمه الله تعالى وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول حج سفيان الثورى رحمه الله تعالى ماشيا من البصرة فقيل له أما لك ظهر تركبه فقال أما يرضى العبد الآبق أن يأتى الى مصالحة سيده الا راجلا والله انى لفى غاية الخجل من مجيئى الى تلك الارض وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول رأيت شابا مصفر اللون وهو متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم ان لك على حقوقا فتصدق على بها وان لعبادك على حقوقا فتحملها عنى من فضلك وقد تم فضلك على وقد سمعت سيدى عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يحجون على الرواحل من غير محمل ولا مظلة ويقولون المحرم أشعث أغبر وهذا ينافى ذلك وكان أحدهم اذا أراد الحج مكث سنين يعمل فى الدراهم الحلال التى ينفقها فى حجه وكانوا لا يستعينون فى حجهم بشئ من أموال الولاة ولا أعوانهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة الحياء من رؤية الخلق فضلا عن شدة حيائهم من ربهم

لها فوقف يتظر الهوا
حتى فاته الوقت الذى يكون
فيه لقاء الملك فانصرف
خائبا (وفرقة أخرى)
جاوزت هؤلاء ولم تلتفت

سبحانه

سبحانه وتعالى وفى الحديث الحياء من الايمان ولكل دين خلق وخلق الاسلام الحياء وكان بشر الحافى رحمه الله تعالى يقول لكل شئ زينة وزينة الحياء ترك الذنوب ولكل شئ ثمرة وثمرة الحياء اكتساب الخير وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ما عاقب الله تعالى قلبا باشد من أن يسلب منه الحياء وكان يوسف ابن أسباط رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يستحيون من الله تعالى أن يسألوه رضاه والجنة وانما يسألونه العفو والصفح وقد كان الامام مالك رضى الله عنه يقول أول من ضرب الاخبية فى سطوحه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال انى رجل شديد الحياء من الناس فاستتر وفى من رؤيتهم لى وكان رضى الله عنه لا يذهب الى الخلاء الا وهو مغط رأسه حياء من الملائكة عليهم الصلاة والسلام (قلت) ولذلك بجوزى رضى الله عنه باستحياء الملائكة منه دون غيره كما أشار اليه الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم ألا أستحيى ممن تستحيى منه ملائكة السماء وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول بلغنا أن عثمان رضى الله عنه كان يفرش الملائكة عليهم الصلاة والسلام رداءه على باب الخلاء ويقول اجلساهنا حتى أخرج اليكما اه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) شدة التقوى لله تعالى ورؤيتهم نفوسهم بعد ذلك انهم غير متقين ومحبتهم لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لنفسه والله لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك ثم لا يبالى بك وكان رضى الله عنه يقول من اتقى الله لم يصنع كل ما تريده نفسه من الشهوات وفى الحديث من قيل له اتق الله فغضب أوقف يوم القيامة فلم يبق ملك الا مر به وعاتبه وقال له أنت الذى قيل لك اتق الله فغضبت يعنى يوبخونه بذلك وقد قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يزال الناس بخير ما دمت فيهم يا أمير المؤمنين فقال لا يزال الناس بخير ما أرضوا ربهم وكان الحسن البصرى رحمه الله تعالى اذا قرأ قوله تعالى واتقون يا أولى الالباب يقول عاتبهم لحبه اياهم وكان مروة الرقى رحمه الله يقول محبة العبد لربه حب القرآن والعمل به وحبه لرسوله صلى الله عليه وسلم هو عمله بسنته وكان مطرف بن عبد الله رحمه الله تعالى يقول محبة العبد لربه أن لا يمل من تلاوة كتابه وكان سعيد بن جبير رحمه الله يقول من علامة محبة العبد لربه كثرة النصب والتعب فى عبادته فان حب الله تعالى لا ينال بالراحة وكان عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى يقول مررت برجل نائم فى الثلج فقلت له أما تحس بألم البرد فقال من ذاق طعم محبة الله تعالى لم يجد البرد ولا النار ألما ومراده المحبة الكاملة بالنسبة لكل مقام وكان محمد بن واسع رحمه الله تعالى يقول كم ممن يزعم انه محب لله تعالى والله له يبغض اه فاعلم ذلك يا أخى والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) الزهد فى الدنيا وذمهم لكل من طلبها ومبالغة أحدهم فى ذلك حتى يصير ينطق بالحكمة كأنبياء بنى اسرائيل عليهم الصلاة والسلام وقد كان رأسهم فى الزهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتى عليه أربعون ليلة ما أوقد فى بيته نار ولا مصباح فقيل لعائشة رضى الله عنها كيف كنتم تعيشون قالت بالاسودين التمر والماء وكانت تقول قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كساء ملبد أى مرقع وازار عرفى غليظ وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول انما مثلى ومثل الدنيا كمثل رجل استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول الزهد ثلاثة أحرف فمعنى الزاى ان تترك زينة الدنيا ومعنى الهاء ان تترك هوى نفسك ومعنى الدال أن تترك الدنيا بأسرها فاذا فعلت ذلك فانت زاهد وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول الزهد على ثلاثة أصناف فرض ويكون فى الحرام وواجب ويكون فى الشبهات وسنة ويكون فى الحلال قال ولذلك كان الزهد فى الرياسة أشد من الزهد فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى تحصيلها وقد كان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول ليس للرجل أن يحمل أهله وعياله على الزهد فى الدنيا وانما عليه أن يدعوهم اليه فان أجابوه والا زهد فى نفسه وأتاهم بما يصلحهم وكان رحمه الله تعالى يقول كل ما أشغلك عن ربك من أهل أو مال أو غير ذلك فهو مشؤم عليك (قلت) وذلك لان الله تعالى جعل الموجودات كلها مذكرة للعبد بربه عز وجل وهنالك تكون مباركة

الى ما يفيض عليها من الانوار فى الطريق ولا الى ما يتيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يلتفتوا اليها ولا عرجوا عليها بل جادين

عليه بخلافها اذا حجبت العبد عن ربه ومن هنا كان الولد والمال أعظم فتنة للعبد لانه لا يصح له الاقبال على
الله تعالى مع الميل اليهما فافهم وقد بلغ وكيعا رحمه الله تعالى أن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أكل
الطباهيج فعاب ذلك عليه وقال ان الناس يقتدون بنا في أكل الشهوات وكان بلال بن سعد رحمه الله
يقول لو لم يكن لنا الا رغبتنا في الدنيا بعد ان زهدنا الله فيها لكان في ذلك كفاية من الذنب وقد كان أبو
سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول لقد سمعنا في الزهد كلاما كثيرا وأحسن ما رأيناه فيه ان الزهد في كل
شيء يشغل عن الله تعالى حتى العلم والعمل (قلت) يعني بان دخل فيهما الرياء والعجب أو حب ثناء الناس
أو نحو ذلك والا فمن أخلص في علمه وعمله لا يصلح في حقه الزهد في ذلك لان الاخلاص فيهما مما يجمع قلب
العبد على ربه عز وجل والله أعلم وقد قال رجل مرة لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى دلني على زاهد أجلس
اليه من العلماء فقال له يا هذا تلك ضالة لا توجد وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الزهد كله تعب
نفس حتى مال صاحبه الى الراحة في الدنيا فقد رجع عن الزهد حينئذ وكان محمد بن سيرين رحمه الله تعالى
يقول قد طلبوا الامام أبا حنيفة للدنيا فهرب منها وطلبناها عن الدنيا فهربت منا فانظروا كم بين الرجلين
وكان يوسف بن أسباط رحمه الله يقول طلبت من الله تعالى ثلاث خصال أن أموت وليس في ملكي درهم ولا
علي درهم ولا على عظمي لحم قال فمات رحمه الله كذلك وقد أرسل الخليفة مرة بجوائز الى الفقهاء
فقبلوها وأرسل الى الفضيل بن عياض عشرة آلاف درهم فردها فقال له أولاده قد قبل الفقهاء الذي هم
قدوة الناس فهلا قبلت أنت الآخر قال فبكى وقال ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم لهم بقرة يحرثون عليها
فلما هرمت قالوا لبعضهم اذبحوها قبل أن لا تنتفعوا بجلدها ولحمها وكذلك أنتم تريدون ذبحي على كبر سني
فاصبروا على الجوع خير لكم من أن تذبحوني فقالوا ما عندنا شيء نتقوت به اليوم قال فاخذ سكينا وقطع
لهم قطعة من بساط بالكان تحته وقال اشتروا بثمن هذه شيئا تأكلونه وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام
من رؤس الزهاد فكان يلبس الشعر ويأكل من ورق الأشجار وليس له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر
قوت غد وأي مكان أدركه المساء نام فيه وقيل له مرة يا روح الله ألا تتخذ لك حمارا تركبه فقال انا أكرم
على الله من أن يشغلني بخدمة حمار وكان عليه الصلاة والسلام يقول للحواريين بحق أقول لكم ان أكل
نخالة الشعير مخلوطة بالرماد والنوم على المزابل مع الكلاب ولبس المسوح الخشنة لكثير على من يموت قال
ولم يتخذ عليه السلام فراشا ولا مخدة ولا قصعة وقد وضع مرة لبنة تحت رأسه فاتاه جبريل عليه السلام وقال
له يا عيسى كنت الى الدنيا بعد زهدك فيها وجعلت تحت رأسك مخدة من لبن قال فمن ذلك الوقت صار ينام
جالسا الى أن رفع عليه الصلاة والسلام وكان يقول لبني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري ونخالة
الشعير واياكم وخبز البر فانكم لن تقوموا بشكر نخالة الشعير اه وقد اشترى أمير المؤمنين علي رضي
الله عنه قميصا بثلاثة دراهم وهو اذ ذاك خليفة وقطع كميه من موضع الرسغين ولبسه وقال الحمد لله الذي هذا
من رياشه وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى اذا لبس القميص لا ينزعه حتى يخلق وقيل له مرة ألا تغسل
قميصك فقال الامر أعجل من ذلك وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو أن الدنيا كانت
باسرها تحت يدي ما فرحت بها ولو أن أحدا أخذها كلها من يدي ما تبعته ولا حزنت عليها وكان رحمه الله
يتقوت من سقاية الماء بمكة كان له جمل ينقل عليه الماء ويبيعه ويتقوت هو وعياله منه وكان عبد الواحد
ابن زيد رحمه الله تعالى يقول من ضبط بطنه ضبط دينه وقد كانت بلية أبيكم آدم عليه الصلاة والسلام
أكلة واحدة وهي بليتكم الى يوم القيامة فاعلموا ذلك (قلت) المراد بالبلية هنا الاختبار وهو اختبار الحق
سبحانه بني آدم هل يصبرون على ترك شهواتهم أو يقعون فيها وأما اختبار آدم صلى الله عليه وسلم فانما
كان صوريا أوقعه الحق تعالى على يديه ليعرف ما يقع من بنيه اذا وجد وامن باب اطلاع رسله على الغيب
وليعرفه بما وقع على يديه كيف يتوب بنوه اذا وقعوا فيه فالخطاب له والحكم لغيره كما أوضحناه في كتاب
الاجوبة عن الاكابر ومن نطقهم بالحكمة يعني القوم رضي الله عنهم لما أحكموا الزهد في الدنيا قول

في السير فلما قاربوا الوصول
ظلموا التهم وسألوا فوقفوا
ولم يقصدوا ذلك فقالوا
فان لله سبحانه وتعالى
سبعين حجابا من نور وظلمة

ابراهيم

ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس بعاقل من ارتكب الذنب ومنهم وهب بن منبه رحمه الله تعالى من قال
فيك من الخير ما ليس فيك فلابد ان يقول فيك من الشر ما ليس فيك ومن مرض نفسه للتهمة فلا يلومن
من اساء به الظن وقوله اياكم وما يعتذر منه وكان الحسن البصري رحمه الله يقول ما رأيت يقينا أشبه
بالشك من يقين الناس بالموت مع غفلتهم منه وكان الاحنف بن قيس رحمه الله يقول لا يرجع الشباب
بالخضاب ولا الصحة بالدواء وكان معاوية رضي الله عنه يقول أنت الزمان فان صلحت صلح وان فسدت فسد
وقد قال معاوية رضي الله عنه مرة لرجل من سبا ما كان أجهل قومك حتى ملكوا عليهم امرأة فقال له الرجل
قومك أجهل فان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم هلا قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له قال فسكت
معاوية وفي الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وفي الحديث
أيضا الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم له وعليها يحسد من
لا فقه له وعليها يسعى من لا يقين له وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول ان الله تعالى جعل
الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وكان
مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول حب الدنيا يخرج حلاوة الايمان من القلب وقد كان وهب بن منبه
رحمه الله تعالى يقول من ملك الدنيا تعب ومن أحبها صار عبدا لها قليلها يكفي وكثيرها لا يغني وكان أبو
سليمان الداراني رحمه الله يقول ليس لطالب الدنيا غاية يقف عندها كما انه ليس لطالب الآخرة غاية وقد
روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول لا يستقيم حب الدنيا والآخرة في قلب كما أنه لا يستقيم جعل
الماء والنار في اناء واحد وكان أبو حازم رحمه الله تعالى يقول من أخذ الدنيا من حلها وأنفقها في مرضاة
الله عز وجل فقد أرضى ربه سبحانه وتعالى وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا حانوت الشيطان
فلا تسرق من حانوته شيئا فيأتي في طلبك فيأخذك وقد روي انه لما مات نوح عليه الصلاة والسلام قال له
جبريل عليه الصلاة والسلام يا أطول النبيين عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار لها بابان دخلت من
أحدهما وخرجت من الآخر وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول الدنيا عروس وطالبها ماشطتها
والزاهد فيها يمزق شعرها ويسود وجهها ويقطع ثيابها ويكسر حليها وكان الحسن البصري رحمه الله
تعالى يقول من علامة محبة العبد لربه عز وجل ان يبغض ما أبغضه الله فمن ادعى انه يحب الله وهو يحب الدنيا
فهو كاذب في دعواه لان الله يبغضها وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول في دعائه اللهم يا ماسك
السماء ان تقع على الارض الا باذنه احبس عن ابراهيم الدنيا وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول كنا
معاشر بني آدم نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس وأخرجنا منها الى دار الفناء والبوار فلا ينبغي لعاقل ان
يفرح ويطمئن الا بعد عوده الى الدار التي خرج منها وقد دخل جماعة على رابعة العدوية رحمها الله تعالى
فاكثروا من ذم الدنيا عندها فقالت لهم كفوا من ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما أكثرتم من ذكرها
وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول ان الجسم اذا تكامل سقمه لا ينجع فيه طعام ولا شراب وكذلك
القلب اذا علق فيه حب الدنيا لا تنجع فيه المواعظ وكان الحسن البصري رحمه الله يقول من نافسك في دينك
فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره والمنافسة المفاخرة وقد كان كعب الاحبار رضي الله عنه
يقول مر عيسى عليه الصلاة والسلام يوما على رجل نائم فقال له ألا تقوم يا هذا فتعبد الله عز وجل فقال
الرجل اني قد عبدته بافضل العبادة قال عيسى وما هي قال تركت الدنيا لاهلها فقال له عيسى صدقت نم فقد
فقت العابدين وكان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول الدنيا جيفة فمن أراد منها شيئا فليصبر على مخالطة
الكلاب له وكان مسلم الخصاف رحمه الله تعالى يقول والله لجراب بعر أوقد به تحت التنور أحب الي من
جراب ذهب اه فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه ان طلبت النجاة فقد ورد في الحديث ان بين يديكم عقبة
كؤدا لا ينجو منها الا المخفون فقال رجل يا رسول الله أمن المثقلين انا أم من المخفين فقال له النبي صلى الله

ولا يصل السالك الى حجاب
من تسلك الحجب الا ويظن
انه قد وصل واليه الاشارة
بقوله تعالى اخبارا عن
ابراهيم عليه السلام فلما

عليه وسلم أعندك قوت يومك قال نعم وقوت غد يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لو كان عندك قوت ثلاثة
بعد غد كنت من المثقلين اهـ فهذا ميزان الشريعة وأنت أعلم بنفسك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) تقديمهم على الحرفة والصنعة التي تكفهم عن سؤال الناس على
سائر نوافلهم وواجباتهم الموسعة وقد سئل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن رجل يحتاج الى الكسب
فلو ذهب لصلاة الجماعة احتاج ذلك النهار الى سؤال الناس فقال يكتسب ويصلي منفردا وفي الحديث ان
الله عز وجل علم آدم عليه الصلاة والسلام ألف حرفة وقال قل لولدك يتعلمون هذه الحرف ويأكلون بها ولا
يأكلون بدينهم وفي الحديث أيضا ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها
وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله فان الله
لا ينال ما عنده بمعصية وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا يقعد أحدكم في المسجد
ويترك طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فان ذلك خلاف السنة وقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة
وقد سئل الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه عن رجل جلس في بيته أو في المسجد وقال لا أعمل شيئا حتى
يعطيني الله تعالى رزقي فقال هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبي صلى الله عليه وسلم جعل الله رزقي تحت
ظل سيفي يعني الغنائم (قلت) ويشهد لذلك أيضا حديث الطبراني الذي في الطير وانها تغدو خماصا
وتروح بطانا فقد ذكر فيه انها تغدو في طلب الرزق وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتجرون برا وبحرا
والقدوة بهم أولى وقد قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فسماهم رجالا لما تعاطوا
الاسباب ولم يشتغلوا بها عن ذكر الله وهذا هو الكمال وقد روي أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر يوما
برجل جالس فقال له ما تفعل ههنا فقال أتعبد يا روح الله قال فمن يعولك قال أخي فقال له أخوك أعبد منك
وفي الحديث انهم ذكروا للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا وصاروا يثنون عليه خيرا ويذكرون من عبادته
سفرا وحضرا فقال صلى الله عليه وسلم فمن كان يطعمه ويسقيه ويعلف دابته ويكفيه صنعته قالوا نحن يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم كلكم خير منه وكان حذيفة رضي الله عنه يقول خيركم من عمل لآخرته
ودنياه وقد كان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول اني لأكره أن أرى رجلا فارغا من أعمال الدنيا
والآخرة وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول اذا كان الرجل في معاشه ساعيا فهو أفضل من الجالس في
المسجد وقد كان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول ليس الشأن أن تصف قدميك للعبادة
وغيرك يتعب لك انما الشأن أن تحوز رغيفك في بيتك ثم تعلقه وتصلي فلا تبالي بعد ذلك بأي داق دق الباب
بخلاف من قام في بيته يصلي وليس عنده شيء يأكله فيصير كل داق دق الباب يقول ان معه رغيفا وكان
سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول لاصحابه عليكم بالحرفة فان عامة من أتى أبواب الامراء انما أتاهم من
حاجة اهـ فاعلم ذلك يا أخي واعمل عليه واتبع سلفك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) حب المساكين والتواضع لهم والنفرة من مجالسة الاغنياء
من غير احتقار لهم عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة
المساكين وقد كان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مع ما أوتيه من الملك اذا دخل المسجد يجالس
المساكين ويقول مسكين جالس مساكين وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يحب ان ينادى يا مسكين ولم
يكن أحب اليه الا هذا الاسم وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول يختبر عقل الرجل بما اذا جلس
بجنبه على بساطه مسكين رث الهيئة بغير اذنه فان تكدر منه فهو ناقص العقل وكان الفضيل بن عياض
رحمه الله تعالى يقول بلغنا ان نبيا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال يا رب كيف لي ان أعلم رضاك عني
فأوحى الله تعالى اليه ان انظر رضا المساكين عنك وروي ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه زجر جماعة من
أهل الصفة في أمر بلغه عنهم رضي الله عن الجميع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك
يا أبا بكر أغضبتهم ان كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك قال فذهب اليهم أبو بكر وتعطف بهم وقال لعلي

أغضبتكم

حين طلبه الليل رأى كوكبا
الآية وما أكثر مقت هذا
المقام فأول الحجب بين العبد
وربه نفسه فانه أمر باقي
عظيم وهو نور من أنوار الله

أفضلكم فقال الا ويغفر الله لك يا أبا بكر وقد كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول أتباع الانبياء في كل زمان الفقراء والمساكين دون الاغنياء والمتكبرين وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا للفقراء وكان اذا جلس عندهم يضع الركبة على الركبة ويقول انما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد وفي الحديث من سره أن يتمثل له الناس قياما فليتبوأ مقعده من النار (قلت) معنى الحديث كما قاله بعض العلماء أن يحب وقوف الناس بين يديه وهو جالس كما يفعل الملوك وبعض مشايخ العجم والله أعلم وكان أنس بن مالك رضي الله عنه يقول لم يكن أحد أحب الينا من النبي صلى الله عليه وسلم وكنا اذا ورد علينا لا نقوم له لما نعلم من كراهيته لذلك الا حسان بن ثابت رضي الله عنه كان يقوم له ولا يتمالك الصبر عن ذلك ويقول لا ينبغي لمن له دين وعقل ان يراك يا رسول الله ولا يقوم وكان صلى الله عليه وسلم يقره على ذلك وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لا يزداد عبد بغنى الناس عنه الا بعدا من الله تعالى وفي رواية لا يزداد العبد بالشيء خلفه من الله تعالى الا بعدا وقد قيل ليونس بن عبيد رحمه الله تعالى لما انصرف من الموقف بعرفة كيف كان الناس قال بخير الا اني كنت فيهم ولولا ان الله تعالى لطف بهم لما أنزل عليهم رحمة بسببي وكان زياد النميري رحمه الله تعالى يقول الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول والله لا أعرف على وجه الارض الآن رجلا أشر مني وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يخدم الضيوف بنفسه ويقوم يصلح المصباح فاذا قيل له في ذلك يقول قمت وأنا عمر وجلست وأنا عمر وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى اذا دعي الى وليمة جلس بين المساكين ويلحس الاواني معهم قال ولو ثارت ريح حمراء فسألوا عبد الله بن مقاتل رحمه الله ان يدعو لهم فقال يا ليتني لا أكون سببا لهلاككم قال فرأى بعضهم النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في منامه وقال له ان الله تعالى دفع عنكم شر ذلك الريح بدعاء عبد الله بن مقاتل حين هضم نفسه وقد صلى بشر بن منصور رحمه الله تعالى مرة وأطال فيها وكان ذا خشوع وكان ينظر رجل لم يعلم به فلما سلم من صلاته قال له يا أخي لا يعجبنك ما رأيت مني فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة آلافا من السنين ثم صار الى ما تعلم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم ينفرون من مجالسة الاغنياء ومن مجالسة كل غافل عن الله تعالى وقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تدخلوا على هؤلاء الذين يجمعون الدنيا ولا ينفقونها في سبيل الله تعالى فان ذلك مسخطة للرب عز وجل وربما ازدرى أحدكم ما هو فيه من النعم برؤية أمتعتهم وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول كم من عالم يدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وليس معه من دينه شيء والعياذ بالله تعالى وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول التعزز على الاغنياء تواضع وقد كان حذيفة رضي الله عنه يقول اتقوا الوقوف على أبواب السلاطين فانها مواضع الفتن وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول ما أنصفنا اخواننا الاغنياء يقول لي أحدهم اني أحبك في الله يا أبا الدرداء فاذا طلبت من أحدهم شيئا من الدنيا فارقني وهرب ويكلمنا من الاغنياء في الشرف فرارهم الينا عند الشدائد وعدم فرارنا نحن اليهم وقد كان سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى يتجر في الزيت ويقول ان في هذا الغنى من الوقوف على أبواب الامراء وكان ميمون بن مهران رحمه الله تعالى يقول صحبة السلطان خطر عظيم فانك ان أطعته خاطرت بدينك وان عصيته خاطرت بنفسك فالسلامة ان لا تعرفه ولا يعرفك ولما خالط الزهري السلطان كتب اليه مالك بن دينار يقول عافانا الله يا أخي مما وقعت أنت فيه من الفتن بعد أن كنت شيخا عالما نعمت عمرك بصحبة الظالمين وصرت تحاجج عنهم اذا أنكر أحد عليهم ولو لم يكن في قربك منهم الا انك آنستهم وطردت وحشتهم لكفاك ذلك من الاثم ثم ان مالكا هجره الى ان مات اهـ فاعلم يا أخي ذلك واياك ومجالسة الاغنياء وأبناء الدنيا الا لضرورة شرعية يسوغ لك معها ذلك والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) محبة المال للانفاق لا للامساك وتقديمهم الخوف من الحاجة الى الناس على خوف الحساب من جهة ذلك المال الذي ربما دخلته الشبهة وقد كان سفيان الثوري

أعني سر القلب الذي تجلى فيه حقيقة الحق كما هي حتى انه ليتضح بعملها العالم كما يعمها به صور الكل فعنده يشرق نوره اشراقا

رحمه الله تعالى يقول لان أخلف بعدي أربعين ألف دينار أسأل عنها يوم القيامة أحب الي من ان أقف على باب أحد أسأله حاجتي وفي حكمة لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر أحد الا وأصابته ثلاث خصال الاولى رقة الدين والثانية ضعف العقل والثالثة ذهاب المروءة وهي أعظمها وأعظم من هؤلاء الثلاثة استخفاف الناس به وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول حفظك لما في يدك لتقضي به حاجتك أولى من تصدقك به وطلبك لما في يد غيرك فان العبد لا يزال بخير ما حفظ خصلتين درهمه لمعاشه ودينه لمعاده وكان قيس بن عاصم مع شدة زهده وورعه رحمه الله تعالى يقول لبنيه عليكم بجمع المال الحلال فانه يسر الصديق ويكمد العدو وتستغنون به عن سؤال الناس لا سيما اللئيم وإياكم وسؤال الناس فانه كسب العاجزين اه وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لقد أدركنا الناس وهم يبيعون في السوق وعلى أحدهم الزحام من الناس فاذا سمع الاذان الصلاة لا تنهض مسرعا وترك البيع وأما أهل زماننا فان نفق السوق أخروا الصلاة وان كسد نفروا وكان أبو قلابة رضي الله عنه يقول عليكم بملازمة السوق والصنعة فانكم لن تزالوا كراما على اخوانكم ما لم تحتاجوا اليهم وقد وقف سائل مرة على باب مالك بن دينار رحمه الله تعالى فخرج اليه برغيف فأعطاه له فقال له زدني فأعطاه آخر فلم يزل يسأله ويستزيد ومالك يعطيه حتى أخرج اليه جميع ما عنده في البيت حتى الأواني والفرش وغير ذلك فقال له زدني فقال مالك والله يا أخي لم يبق عندي شيء الا الآن فاخذني وتبيعني وتقبض ثمني قال فتركه السائل وذهب ولم يأخذ شيأ مما أعطاه له قال بعضهم ويقال انه كان ملكا جاءه ليختبره وقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة بيته سبعة أيام مع بقاء (قلت) ومحل ذلك ما اذا دمع القدرة وأما العاجز فلا والله أعلم وقد سئل سحنون رحمه الله تعالى عن الرجل يسأله السائل فيخرج له بصدقته فيجده قد ذهب فماذا يفعل بتلك الصدقة فقال أحب ان يتصدق بها على غيره وان أعادها الى ماله فلا باس اه فاعلم ذلك يا أخي أنفق كل ما دخل في يدك وفضل عن حاجتك ولا تدخر شيأ الا على اسم غيرك من العائلة ونحوهم والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الصدقة ليلا ونهارا بكل ما فضل عن حاجتهم بشرط الحل في ذلك كما تقدم مرارا فقد ورد في الحديث ولا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار وقد كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول ترك قبول الشبهات وعدم التصدق بها أولى وهذا الخلق قد كثر تخلق الفقراء به في هذا الزمان فيأخذ أحدهم الشبهات ويتصدق بها ويعمل منها مواليد ويطعم الناس تأليفا لقلوبهم أو لتعظم له عليهم الرياسة وبعضهم يقبل الشبهات على اسم الفقراء ويأكلها وحده وهذا أقبح حالا من الاول وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ومعلوم ان الصدقة من الشبهات لا تقي صاحبها من النار وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة اذا طبختم قدرا فاكثروا من مرقتها وتعاهدوا الجيران وكذلك قال صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء رضي الله عنه يا أبا الدرداء اذا صنعت طعاما فاكثر المرق وتعاهد جيرانك وقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بسبعين ألف درهم وان درعها المرقع وكان مجاهد رحمه الله تعالى يقول لا يتصدق أحدكم الا بما يشتهيه فان الله تبارك وتعالى يقول ويطعمون الطعام على حبه أي وهم يشتهونه وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا فلعلهم يعودون على أولي الحاجة منا وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول تصدقوا فانه بلغنا ان الصلاة تبلغ العبد نصف الطريق والصوم يبلغه باب الملك والصدقة تدخله على الملك وفي الحديث ان عابدا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فاحبط عملها ثم نزل يغتسل فمر به مسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمله وفي الحديث أيضا باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتجاوزها وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يخرجون لصلاة الصبح الا بشيء يتصدقون به على أول مسكين

فعلم ان الذي يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في أول الامر محجوب بمشكاة هي الساترة فاذا تجلى نوره وانكشف جمال القلب

بالقوت ولو بلقمة أو بصلة أو زبيبة وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول لما أعرف حبة توزن بجبال الدنيا الا حبة الصدقة وكان ابراهيم النخعي رحمه الله تعالى يقول تصدقوا بالسليم فانه لا ينبغي أن يكون فيما يتقرب به الى الله تعالى عيب أو نقص وقد سئل الامام مالك رضي الله عنه عن شرب الاغنياء من الماء الذي يسبل في المسجد فقال لا بأس به لانه انما جعل للعطشان كائنا ما كان ولم يرد صاحبه تخصيص أهل الحاجة به وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول اكتسبوا من الحلال وتصدقوا منه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله به من أين يدخله النار اه وفي الحديث من أصاب مالا من مأثم فوصل به رحما أو تصدق به أو أنفقه في سبيل الله جمع له ذلك جميعا ثم قذف به في نار جهنم وقد كانت عائشة رضي الله عنها تقول انكم لتغفلون عن الورع وهو أفضل العبادة وقد كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا كالاوتار ما تقبل الله تعالى ذلك منكم الا بورع حاجز وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول ما أدرك من أدرك من القوم الا لكونه يعقل ما يدخل جوفه يعني رغيفه من الحلال وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول من عرف كل ما يدخل في جوفه كتب عند الله صديقا ومن لم يصحبه الورع في فقره أكل الحرام المحض ولا يشعر وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول الورع هو ترك التأويل وترك الاخذ بالرخص عند الضرورات وكان يونس بن عبيد رحمه الله تعالى يقول لو أنا نجد درهما من حلال لكنا نشتري به قمحا ونطحنه ونخبزه عندنا فكل من عجز الاطباء عن مداواته داويناه به فخلص من مرضه لوقته وكان مسعر بن كدام رضي الله عنه يقول ما أعلم اليوم في زماننا هذا حلالا الا ما يشرب به الرجل من النهر بكفه وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول كسب الحلال أشد من نقل جبل الى جبل وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول لو قام أحدكم حتى صار مثل هذه السارية ما تقبل الله منه ذلك حتى يعلم ما يدخل في جوفه وكان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول من تصدق من حرام أو أنفق في طاعة فهو كمن يطهر ثوبه بالبول وكان يقول لا تكفر الصدقة شيئا من الذنوب الا ان كانت من حلال وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول لا يقبل الله صلاة أحدكم وفي جوفه شيء من الحرام وقد أقام ابراهيم بالشام أربعا وعشرين سنة لاجل طلب القوت الحلال ولم يقم لجهاد ولا غيره وكانت اقامته في جبل لبنان فكان يأكل من فواكهه المباحة التي لم تدخل في ملك أحد من الخلق رحمه الله تعالى وكان بشر الحافي يقول بلغنا ان معبدا رحمه الله تعالى ترب مرة كتابا من حائط جاره بغير اذنه فرأى تلك الليلة في منامه قائلا يقول له سيعلم المستخف بالتراب ما يلقاه غدا من سوء الحساب وقد كان السلف يسافرون لتعلم الورع كما يسافرون لطلب العلم والحج رضي الله عنهم فاعلم ذلك يا أخي ودقق في الورع وهيهات أن تصل الى شبهات السلف الصالح والحمد لله رب العالمين

بعد اشراق نور الله عليه وعلى التلطف ما يسبب القلب الى القلب فرأى من جمال الخالق ما يدهشه فربما

●(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم)● عدم حبهم الرياسة في شيء من أمور الدنيا لما فيها من كثرة الآفات وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول ما أحب أحد الرياسة على الناس الا أحب ذكر عيوب الناس ونقائصهم وكره ذكرهم بخير لتتم له الرياسة عليهم وكان محل ذلك فيمن طلب الرياسة بغير حق أما الطالب بالله فلا وكان يقول من أحب الرياسة على الناس لم يفلح أبدا وكان الامام الشافعي رضي الله عنه يقول من طلب الرياسة قبل حينها فرت منه ومن تركها تبعته وكان يحيى بن الحسن رضي الله عنه يقول سمعت سفيان الثوري يقول من طلب الرياسة قبل وقتها فاته علم كثير وتقدم بسط الكلام على الرياسة في هذا الكتاب فراجعه والحمد لله رب العالمين

●(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) سرورهم بالفقر وضيق المعيشة وغمهم بالغنى اذا أقبل وهذا الخلق لا يوجد اليوم الا في بعض افراد من الفقراء الذين صدقوا في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أدركت بحمد الله تعالى جماعة من أشياخ مصر كانوا رضي الله عنهم يفرحون بالفقر وضيق المعيشة ويكثرون من الحمد والشكر على ذلك منهم شيخنا سيدي علي الخواص وسيدي الشيخ محمد بن عنان وسيدي محمد المنير والشيخ

محمد العدل وغيرهم ولهذا الخلق انه عظيمة أشد من الغنى فإذا فقدوا الشهوة الحمد ولكن لا تحصل تلك
اللذة الا لمن كل زهده فى الدنيا كما تقدم بسطه مرارا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الزاهدين
وكان يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفى رواية كفافا وهو الذى لا يفضل عن غدائهم ولا عشائهم شئ
منه وفى الحديث من أصبح آمنا فى سربه أى نفسه معافى فى جسمه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا
بحذافيرها وقد قيل مرة لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تأتى السلطان فتسأله شيئا فانا نخاف عليك أن تموت
مهزولا فقال لأن ألقى الله تعالى مؤمنا مهزولا خير لى من أن ألقاه منافقا سمينا وقيل مرة لابراهيم بن أدهم
رحمه الله تعالى بم نلت هذه الحكمة التى نراك تنطق بها فقال ببدن عار وقلب خائف وبطن جائع وفى رواية
قال نلتها بقلة الأكل وقلة النوم وقلة الكلام وعدم ادخار شئ لغد وقد سئل ذو النون المصرى رحمه الله
تعالى من أقرب الناس الى الوقوع فى الكفر فقال شخص ذو فاقة وعيال ولا صبر له (قلت) ووقوع مثل
هذا فى الكفر يكون بالألفاظ التى ظاهرها السخط على مقدور الله تعالى والله أعلم وكان أبو الدرداء رضى
الله عنه يقول صاحب الدرهمين أشد حبا للدنيا من صاحب الدرهم الواحد وكان الفضيل بن عياض رحمه
الله يقول اذا افتقر أحدكم فلا يجعل فقره بينه وبين الناس وليجعله فيما بينه وبين الله لئلا يهون فى أعين
الناس ولو كشف الله الحجاب عن قلب العبد اذا ضيق عليه المعيشة ورأى ما أعد الله تعالى له فى الجنة لسأله
أن يزيده من الضيق فى الدنيا وقد جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم رحمه الله بعشرة آلاف درهم فلم يقبلها
منه وقال له تريد أن تمحو اسمى من ديوان الفقراء بدراهمك هذه وتحبسنى عن دخول الجنة قبل الأغنياء
بخمسمائة عام اذهب عافاك الله تعالى وقد روى أن الله تعالى أوحى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى
اذا رأيت الدنيا مقبلة عليك فقل ذنب عجلت لى عقوبته وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ثلاثة يدخلون
الجنة بغير حساب رجل أراد أن يغسل ثوبه فلم يجد له خلقة يلبسها ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين
ورجل طلب شرابه فلا يقال له أيهما تريد وكان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول رأيت فى منامى
محمد بن واسع ويوسف بن أسباط رحمهما الله واقفين على باب الجنة فنظرت أيهما يدخل أولا فاذا هو يوسف
ابن أسباط فقلت للملك كان هذا لم يدخل هذا قبل هذا فقال لأنه كان له قميص واحد وكان لهذا قميصان
اهـ وقد وقع مرة حريق بالبصرة فخرج الناس بما لهم من الأمتعة وخرج مالك بن دينار رحمه الله ومصحفه
معلق فى عنقه وقال هكذا نخرج من قبورنا غدا وقد كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول من أكرم
الغنى وأهان الفقير فهو ملعون فان حب الفقراء من أخلاق المرسلين والفرار من صحبتهم من صفات المنافقين
وكان ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى رحمه الله تعالى كالأمراء
وقد جاء مرة رجل فقير فجلس بعيدا عنه فقال له تقرب يا أخى فلو كنت غنيا ما قربتك وكان أبو حازم رحمه
الله تعالى يقول لمن خاف من الفقر لم يرفع له عمل الى السماء لأنه ما خاف الفقر الا لتهمته لربه عز وجل والمتهم
لله عدو الله وفى الحديث جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش فان الأجر فى ذلك كأجر المجاهد فى سبيل الله وفى
الحديث لا تميتوا القلب بالطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وفى الحديث أيضا
أذيبوا طعامكم بذكر الله وفى رواية والصلاة ولا تناموا عليه يعنى من غير ذكر فتقسو قلوبكم وفى
الحديث شرار أمتى الذين يأكلون مخ الحنطة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول اياكم
والبطنة فانها ثقل فى الحياة ونتن فى الممات وكان شقيق البلخى رحمه الله تعالى يقول آلة العبادة الجوع
فان المعدة اذا امتلأت قعدت الأعضاء عن العبادة وكان فتح الموصلى رحمه الله اذا اشتد به المرض والجوع
يفرح بذلك ويكثر من الشكر وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول قلت لمحمد بن واسع رحمه الله طوبى
لمن كان له قوت يغنيه عن الناس فقال لى طوبى لمن أصبح جائعا وأمسى جائعا وهو راض عن ربه عز وجل ثم
آخر ج خبزا يابسا فبله بالماء وأكله بالملح وقال من رضى من الدنيا بهذا فلا يحتاج الى الناس اهـ فاعلم ذلك
يا أخى واقتد بسلفك الصالح والحمد لله رب العالمين

حصر ج وقال أنا الحق فان لم
يتضح لهما وراء ذلك وقف
عند ما ظهر ولهذا المعنى نظر
النصارى الى المسيح عليه

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) كثرة الحزن على تفريطهم في جنب الله لاسيما عند رؤيتهم القبور وتذكرهم أهوال يوم القيامة وتخوفهم من الفتنة ما داموا في هذه الدار وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر اهـ فخاف القوم أن يدركوا ذلك الزمان فلا يصح لهم فيه صبر ويقع منهم سخط فيهلكوا قال ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه بكى فقيل له في ذلك فقال أخذتني ما يأخذ الوالد من الرقة وكان صلى الله عليه وسلم قد استأذن ربه في أن يستغفر لها فلم يأذن له (قلت) قد نقل الحافظ الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وغيره من الحفاظ احياء أبوي النبي صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ثم رجعا الى القبر وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا مر بقبر بكى حتى يبل لحيته وقد مر عمرو بن العاص رضي الله عنه يوما على مقبرة فنزل وصلى ركعتين قريبا من القبور فسئل عن ذلك فقال اني رأيتهم قد حيل بينهم وبين الصلاة فأحببت أن أتقرب بينهم بركعتين اغتناما للعمر وقد كان مجاهد رحمه الله تعالى يقول أول من يكلم الميت حفرته فتقول له أنا بيت الغربة أنا بيت الظلمة أنا بيت الدود هذا ما أعددته لك فماذا أعددت لي وقد كان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لما مات هرم بن حيان رضي الله عنه جاءت سحابة فظللت على سريره فلما واروه رشت على قبره حتى صار الماء لم ينزل على ما حول قبره قطرة وكان أبو ذر رضي الله عنه يقول ألا أخبركم بيوم فقري يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقعد بين القبور كثيرا فسئل عن ذلك فقال انهم يذكرونني معادي واذا قمت وفارقتهم لم يغتابوني وكان جعفر بن محمد رضي الله عنهما يأتي المقابر ويناديهم فلا يجيبونه فيقول لنفسه يا جعفر كأنك وقد صرت مثلهم لا تجيب المنادي ثم يصف قدميه للصلاة فلا يزال كذلك الى الفجر وفي الحديث ما من ليلة الا ومناد ينادي يا أهل القبور من تغبطون اليوم فيقولون نغبط أهل المساجد لانهم يصومون ولا نصوم ويصلون ولا نصلي ويذكرون الله تعالى ولا نذكره وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى اذا جنه الليل يخرج الى المقابر فلا يزال يناجيهم الى الفجر وكان أحمد بن حرب رحمه الله يقول ان الارض لتعجب من رجل يمهد فراشه للنوم في دار الدنيا وتقول له ألا تذكر طول رقادك في بطني من غير أن يكون بيني وبينك فراش وكان ثابت البناني رحمه الله تعالى يقول دخلت المقابر فلما أردت الخروج منها اذا أنا بصوت حزين يقول يا ثابت لا يغرنك صموت أهلها فكم من نفس معذبة فيها ووقف محمد بن سليمان على قبر ابنه رحمهما الله تعالى وقال اللهم اني أصبحت أرجو لك له وأخاف عليه كما أخاف على نفسي فحقق رجائي فيك يا أرحم الراحمين اهـ ووقف أبو سنان على قبر والده رحمهما الله فقال اللهم اني قد عفوت عنه وغفرت له ما وجب لي عليه فأسألك ان تغفر له ما وجب لك عليه يا كريم وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول رأيت محمد بن يسار بعد موته رحمه الله تعالى فقلت له ماذا فعل الله تعالى بك فدمعت عيناه وقال رأيت والله أهوالا وزلازل عظاما شدادا ثم خر مالك مغشيا عليه وكان يقع له ذلك كلما حكى هذه الحكاية ثم حكاها يوما فغشي عليه ومرض ثم مات بعد ثلاثة أيام رحمه الله تعالى ولما مات منصور بن عمار رحمه الله تعالى رآه بعض أصحابه في المنام فسأله عن حاله وما فعل الله تعالى به فقال قال لي عز وجل يا منصور قد غفرت لك على تخليط كثير كان منك لانك كنت تحرض الناس على كثرة ذكري وقد كان الحرث المحاسبي رحمه الله تعالى لا يزال يذكر أهوال يوم القيامة ويقول لاصحابه اجعلوا الاهوال التي بين أيديكم على بالكم لعل أن تتوبوا عن المعاصي قبل موتكم فانه ما من أحد يعصي ربه عز وجل الا وهو ناس للحساب ومقاساة الاهوال واني أحذركم وأحذر نفسي من يوم آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا حتى يسأله عن عمله كله دقيقه وجليله سره وعلانيته فانظروا بأي بدن تقفون بين يديه مع هول ذلك الموقف وبأي لسان تجيبون فأعدوا للسؤال جوابا وللجواب صوابا وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول كم من فضيحة يكشفها الحساب غدا وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يقول يؤتى بالنار يوم القيامة تقاد بسبعين ألف زمام على صورة الجاموس يقود كل زمام منها سبعون ألف ملك مغلقة أبوابها عليها ملائكة سود معهم السلاسل الطوال والانكال الثقال

السلام لما رأوا من اشراق نور الله عليه فظلوا كمن رأى كوكبا في مرآة أوفى ماء فيظن ان الكوكب

وسرابيل القطران ومقطعات النيران لأعينهم لمعان كلمع البرق الخاطف ولوجوههم لهب كالنار شاخصة أبصارهم لا ينظرون الى ذي العرش جل جلاله تعظيما له فاذا أدنت النار وكان بينها وبين الخلائق خمسمائة عام زفرت زفرة فلا يبقى أحد الا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقا الى حنجرته لا يخرج ولا يرجع الى مكانه وذلك قول الله تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين وينادي ابراهيم الخليل وغيره من الانبياء الهم لا نهلك عبادك بخطيئاتنا ثم توضع النار من يسار العرش ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار جل جلاله ثم يدعى الخلائق للحساب فلو ان الرجل مثل عمل سبعين نبيا ما ظن انه ينجو من شدة ذلك اليوم ومكث عتبة الغلام يأكل الخبز بالملح ثلاثين سنة وكان يأتدم في بعض الاحيان بالملح أو البقل أو الخل وكان يعجن عجينه ويقرصه في الشمس فاذا جف أكله ويقول المراد بالاكل أن يردني كلب الجوع وكان يحيى بن معاذ يقول جوع الصديقين كرامة لهم وجوع الزاهدين جوع حكمة وكان أبو سليمان الداراني يقول الجوع عند الله في خزائنه لا يعطيه الا لمن أحب وكان يقول أحلى ما تكون العبادة لي اذا لصق بطني على ظهري وكان يقول لان أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة الى الصباح وكان وهب بن منبه رضي الله عنه يقول التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر من أين أتيت فقال أمرت بسوق حوت في البحر الى فلان اليهودي لياكله فقال الآخر ومن أين جئت قال أريق زيتا اشتهاه محمد العابد خوفا ان يأكله فينقص من حظه في الآخرة وفي الحديث طوبى لمن هدي للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع * و رأى بعض الملوك فقيرا جلس في ظل قصره فأكل كسرة يابسة بلها بالماء ثم شرب ونام فلما استيقظ طلبه السلطان وقال لم أكلت الكسرة وشربت الماء عليها ونمت كنت راضيا من ربك فقال نعم فدارت الكلمة فيه ثم خرج من ملكه ولبس المسوح وخرج سائحا ومر رجل بعامر بن قيس وهو يأكل ملحا وبقلا فقال له يا قيس رضيت من الدنيا بهذا فقال نعم ولكن أدلك على من رضي بأيسر من هذا فقال نعم فقال من رضي بالدنيا من الآخرة وكان محمد بن واسع يخرج خبزا يابسا ويبله بالماء والملح ويأكله ويقول من رضي من الدنيا بهذا لا يحتاج الى الناس * ودق هرون الرشيد باب الفضيل بن عياض بمكة ليلا فجاء هرون فلم يفتح له فقال جعفر البرمكي افتح لرجل تجب عليك طاعته فعلم الفضيل انه الرشيد ففتح له فقعد ثاطويلا ثم أمر له بعشرة آلاف دينار فلم يقبلها الفضيل فقال له فرقها على المساكين فقال من جمعها فهو أحق بتفرقتها ثم غلق وهرب وترك الرشيد في البيت فما ظهر الفضيل حتى خرج الرشيد من مكة * وتقدم قول سفيان الثوري تعلموا من الاكل من أطعمة الناس بجهدكم فانه ما وضع رجل يده في قصعة رجل الا ذل له اه وكان يزيد الرقاشي اذا وقع بصره على قبر يصرخ كما يصرخ الثور وكان حاتم الاصم يقول من مر بالمقابر ولم يتفكر في نفسه ولم يدع لنفسه ولهم فقد خان نفسه وخانهم وكان كرز بن وبرة اذا رأى قبرا بكى وقال ليت أمي كانت عقيما فان لو الهاقي القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك أهوالا عظاما يشيب منها الاطفال وكان الحسن بن صالح اذا رأى القبور يقول ما أحسن ظواهركم وانما الدواهي في بواطنكم وكان شقيق البلخي يقول القبر روضة من رياض الجنة على من كان يذكره وحفرة من حفر النار على من نسيه وحفر الربيع بن خثيم قبرا في داره فكان كلما وجد في قلبه قساوة ينزل فيه ويتفكر في أمره وما يلاقيه من أهوال يوم القيامة فلا يزال كذلك حتى يصبح ونزل فيه مرة وصار يردد قوله تعالى قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا ثم قال يا ربيع قد ارجعناك وها أنت في الدنيا فقم الصلاة فيقوم * وخرج الحسن البصري في جنازة امرأة الفرزدق الشاعر فقال الحسن للفرزدق ماذا أعددت لهذا اليوم فقال أعددت له شهادة أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله منذ ستين سنة فقال أفلحت يا فرزدق ان مت عليها وجاء حوشب بن مالك الى مالك بن دينار فقال اني رأيت البارحة كان مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا ارتحل سريعا سوى محمد بن واسع فصاح مالك صيحة وخر مغشيا عليه وكان سفيان بن عيينة يقول مات أخ لي فرأيته بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي كل ذنب استغفرته منه وما لم أستغفر منه لم يغفر لي

في المرآة أو في الماء فوجد يده اليسه ليأخذه فهو مغرور وأنواع الغرور في طريق السلوك الى الله

وكان صالح بن بشير يقول رأيت عطاء السلمى بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا فما فعل الله بك فقال أعقبنى ذلك الحزن راحة طويلة وفرحا شديدا قال ورأيت الفضيل بن عياض بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال لم أر شيأ أفضل من تأدية الفرائض فعليكم بها وكان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول انى لاود ان حسناتى تفضل على سيئاتى ولو بمثقال الذرة ولو انهم أوقفونى بين الجنة والنار وقالوا انى تريد تمنيت ان أكون ترابا وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول لو أنى خيرت بين أن ابعث وأحاسب ثم ادخل الجنة بعد ذلك لاخترت ان لا أبعث وكان أبو ذر رضى الله عنه يقول ان خوف الحساب لم يترك على بدنى لحما وقد كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول اذا سيق العصاة الى جهنم وهم عطاش فاول ما يخفون فى النار بسم العقارب والحيات فتذوب أبدانهم والعياذ بالله تعالى وقد كان عبد الله بن عباس رضى الله عنهما يقول فى قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع انه الشوك اليابس الذى يقف فى حلوقهم وكان عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى يقول يرسل الله تعالى على العصاة البكاء فلو أن السفن أجريت فى دموعهم لجرت وقد تقدم أن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يقول كم من وجه صبيح ولسان فصيح بين أطباق الثرى يصيح انتهى وأقاويل السلف فى الخوف كثيرة والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم) كثرة استشهادهم فى تربية المريدين بما أدب الله تعالى به عباده المقربين من الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام والاولياء والعلماء رضى الله عنهم فى الكتب السالفة وذلك ليعلم المريدون ان تقوى الله تعالى لم يزل مأمورا بها فى كل شريعة وقد كان شيخنا سيدى على الخواص رحمه الله تعالى أكثر استشهاده لنا بعتابه فى الزبور ومن القوارع والزواجر وكثيرا ما خاطب الله تعالى فيه نبيه داود عليه الصلاة والسلام والمراد بذلك غيره نظير ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك و يا أيها النبى اتق الله ونحو ذلك فكان الشيخ رحمه الله تعالى يقول لنا اياكم ان تجالسوا المغتابين أو تصاحبوا النمامين فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود طوبى لمن لا يقف فى مواقف الخاطئين ولا يجلس فى مجالس المستهزئين ولا يجالس المغتابين ولا يصاحب النمامين يا داود من ذكر عيوب الناس أو همّ ان يذكر عيوبهم فضحته على رؤس الاشهاد يوم القيامة يا داود من غض طرفه وحصن فرجه وحفظ لسانه فهو عندى من المقربين وقد سمعته رحمه الله تعالى يقول لبعض العلماء يا أخى عليك بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان ذلك من زكاة العلم فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود اذا ترك العلماء الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ذهبت الهيبة منهم وصارت فى السفهاء والاشرار طوبى للمتفردين من الناس الصامتين من غيبتهم طوبى لمن ترك فراشه فى الليل وقام يناجينى فى شدة البرد والناس نائمون تحت لحفهم طوبى لقوم عفوا عنى ولم ينظروا الى الفروج الحرام خوفا منى يا داود أهون ما أنا صانع بالزناة ان أذهب بهجة النور من وجوههم وأمحق بركة عمرهم يا داود قل لبنى اسرائيل تغافلون عنى والاسلام جارية لا تغفل وقل للذين أغلقوا أبوابهم وأرخوا ستورهم عند المعاصى الخلوة شئت أهلكتهم وخسفت بهم الارض يا داود قل لبنى اسرائيل يخفوف ألسن وجوههم الهيبة والقبول وأجعل عدوهم تحت خدمهم كالكبش تحت السكين يا داود علامة من أحببته ان يقل كلامه ويكثر استغفاره يا داود غض طرفك عن حرم المؤمنين تأتك الدنيا وهى راغمة يا داود قد أحاط غضبى بالزناة الذين يفسدون حرم المؤمنين يا داود قل لبنى اسرائيل لا يعصونى سرا ويعصونى فى اعينهم أهون من عبادى فانى أعذبهم بالنار (وقد سمعته) رحمه الله تعالى كثيرا يقول ربما كانت النعم على العبيد استدراجا لهم فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل للعقلاء يخافون منى اذا ترادفت عليهم نعمتى ويكثرون من النوح كلما زادت عليهم النعم فان ذلك استدراج لهم ولو انى أحببتهم لجردتهم عن الدنيا يا داود كن لليتيم كالاب الشفيق أكثر رزقك وأكفر ذنبك يا داود ما عظمنى من عصانى يا داود اذا مرت بك امرأة جميلة فاذكر عرضك على يوم القيامة

لا تحصى فى مجلدات ولا تستقصى الا بعد شرح جميع العلوم انتهى وذلك

يا داود من لقيني وهو راعٍ فيرى مقتا من رعايتي يا داود غض طرفك وصن لسانك فاني لا أحب الفاسقين يا داود قل لبني اسرائيل لا يقعوا في أعراض الناس فان الوقيعة فيهم تزيد القلب عمى وموتا طوبى لمن تطرق عيب نفسه فاصلحه يا داود انقطع الى انكس الشر وعن الولد والبس وجهك المهابة يا داود طهر ثيابك الباطنة فان الظاهرة لا تنفعك عندي (وقد سمعته) رحمه الله يقول لتاجر تحولت منه الدنيا أبشر عن قريب فان الله تعالى قد أحبك فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لا تقوم الساعة حتى يذل الاشراف وترتفع الاذلة ويهجر كتابي فلا يتلى ويكثر فيه رزق العاصي والفاجر ويقل فيه رزق المؤمن الطائع الفاضل فاذا صار الامر الى ذلك حببت الدنيا الى أهل ذلك الزمان ومنعتهم من محبة الآخرة فاذا فعلوا ذلك سلطت عليهم سيف النقمة وأغليت أسعارهم وجعلت الصغير لا يوقر الكبير وابتليتهم بالفسق والفجور وذلك جزاؤهم عندي يا داود كم من لسان فصيح أخرسته عن النطق بالشهادة عند الموت لكثرة وقيعته في الناس يا داود قل لبني اسرائيل ان لم تهجروا آباءكم وأبناءكم وولدكم من أجلي فلا أقبل لكم صلاة يا داود قل لبني اسرائيل يردوا التبعات التي عليهم قبل الموت فاني أقسمت على نفسي ان أبعث صاحب التبعات وفي عنقه طوق من نار يكوى به بكل تبعة كية يا داود ليس كل من صلى قبلت صلاته ولا كل من عبد رفعت عبادته وقد سمعته رحمه الله تعالى يقول لبعض الاخوان عليك يا أخي بتقوى الله واياك أن تعصي ربك عز وجل وتقول ربنا غفور رحيم فان ذلك من تسويلات النفس وكيد ابليس وقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود قل لبني اسرائيل كم من ليلة بارزتموني بالمعاصي ثم أصبحتم تخادعوني بالاستغفار من غير اقلاع عنها كأنكم تعاملون من يغيب عنه مكركم وخداعكم يا داود قل لبني اسرائيل صونوا أحداقكم فكم من ناظر نظر الى أخيه وهو في فاحشة فأشاعها عنه وقد أتى هو أكبر منها ولم أفضحه ولو شئت لفضحته يا داود من طلب أعراض الغير وجبهي أدخلته النار يا داود من عمل بالمعاصي وسترها عن المخلوقين هل يقدر على سترها مني يا داود طوبى للذين يستحيون مني أن يعصوني في الخلوات يا داود أحب النواحين واترك البطالين وقل لعصاة بني اسرائيل كيف تستغيثون من عبادي دوني وجلالي لاكم أطهر من جلالتهم لاني سيدهم (وقد سمعته) رحمه الله تعالى مرة أخرى يقول لشخص لا يعيش له ولد قل الحمد لله الذي لم يشغلني بأهل ولا ولد فقد أوحى الله تعالى الى داود عليه الصلاة والسلام يا داود لا تطلب الاولاد فليس كل الاولاد ينفع رب ولد أشغل والده عن ربه وأشعل عليه قبره نارا يا داود احفظني بظهر الغيب أحفظك في الملا وأكثر من ذكري أكثر لك من الرزق يا داود لا تبغ على من بغى عليك فتضعف نصرتي عنك يا داود قل لبني اسرائيل كم تعلمون ان الدنيا فانية وتتعبون جوارحكم في جمعها يا داود قل لبني اسرائيل أما يخشى أحدكم اذا عصى ان أقبضه على تلك الحالة قبل التوبة فيلقاني وأنا غضبان عليه فأورده النار وبئس المصير يا داود لو شئت لامرت السماء ان تقع على العاصي أو أمرت الارض ان تبتلعه يا داود قل لبني اسرائيل اذا أردتم المعصية فاذكروا صولة الزبانية وضيق الاغلال في طباق النيران يا داود لو اطلع عبادي على غضبي عليهم اذا عصوني لماتوا ولكني احتجبت عنهم غضبي رحمة بهم يا داود ضع خدك على التراب وناجني يا داود أبوك آدم من أكرم الناس علي لم يعص في جنة المأوى الا بأكلة من الشجرة فلما أكل منها ناسيا تطايرت الحلل من على بدنه وسقط التاج من رأسه وأرقته موقف الندم فكيف بمن عصى في جنة سره ماردا قل نفسا بحانى ما أرأفني بكم أيها الخلق وما أقل حياءكم مني تعصوني وعيني ترعاكم ولو أن أحدا من عبادي رآكم لذبتم حياء منه وأنا أولى بالحياء يا داود مالي أراك معطشا لا تبكي مع الباكين ولا تنوح مع النائحين فلو رأيت النار وزبانيتها وما أعددت للزناة فيها لذبت كما يذوب الرصاص في النار يا داود لعمدت على وجهك في الثلج أهون عليك من مناقشتي لك في الحساب وعزتي وجلالي لارقين العصاة وأسأل أحدهم عن وزن الخردلة يا داود قل لبني اسرائيل تزعمون وتزنون باعينكم كأنكم تظنون اني لا أراكم يا داود من عصاني في الخلوات أطلعت المخلوقين على مساوي أعماله وفضحته وأدخلته النار انتهى ما سمعته من مواعظ الزبور وقد جمعت مواعظها كلها في جزء فاطلبه والحمد لله رب العالمين ٭

عدم الاذن بصحة في ذكره وقد يعبر وإظهارها حتى لا يقع الغرور فيها وبالله التوفيق

ذلك آخر كتاب تنبيه المغترين أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر والحمد لله الذي
هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ولما شرعت في خطبة الكتاب كنت في حصر عظيم من عدم
المواد التي أستمد منها في الكتاب فدخل علي شخص بكتاب عتيق بخط قوم من الاول بخط كوفي تاريخ
خمسمائة سنة وثنتي فوجدته مشحونا بأحوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين ورأيت مؤلفه
من وكيع بن الجراح من أقران الامام مالك رضي الله عنه ففرحت بذلك أشد الفرح فشيدت به أخلاق
الكتاب وكان من يطالعه يصحب الصحابة والتابعين وتابع التابعين ويرى أقوالهم وأفعالهم وورعهم
وخوفهم وخشيتهم رضي الله عنهم أجمعين وقد ذكرنا في خطبته أن من طالعه بانصاف رأى نفسه
سلخت من أخلاق القوم كما تنسلخ الحية من ثوبها فأسأل الله تعالى من فضله أن ينفع به الاخوان ومن
وهم ويختم لنا ولهم بالحسنى وأن يجعل آخر كلامنا من هذه الدار أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا
رسول الله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسنذكر من كلام المؤلف من الاخلاق
المهمة من آخر الكتاب الخاتمة وما يتعلق بها ان شاء الله تعالى وكان الحسن البصري يقول ان الله عز
وجل يقول لا بن آدم أنت يوم القيامة عدل بين ذريتك وبيني فإن رجح خيره على شره مثقال ذرة دخل الجنة حتى
اني لا آخذ بالانطلاقة لنفسه وكان مجاهد يقول في قوله تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار أن تقلب
القلوب هو انتزاعها من أماكنها وان تقلب الابصار هو أن تنقلب من الكحل الى الزرقة ومن الابصار الى
العمى اه والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) حملهم لمن يكرههم على أنه انما يكرههم بحق وصدق خوفا
من تزكية نفوسهم وتبرئتهم من العيب اذا حملوهم على أنهم كرهوهم بغير حق وقد كان أخي الشيخ أفضل
الدين رحمه الله تعالى اذا بلغه عن أحد أنه يكرهه وينكر عليه يقول والله ان قلب هذا نير الذي أدرك
مني الباطل وما أنا منطو عليه من الفواحش التي أخادع بها ربي عز وجل اه وكذلك كانوا يفتشون
نفوسهم اذا كرهت هي أحدا من المسلمين ويقول أحدهم لنفسه ان كراهتك لاخيك بغير حق ولم لا حملتيه
على المحامل الحسنة فيكون أحدهم على نفسه اذا كرهها أحد أو كرهت هي أحدا وعلى ذلك درج السلف
الصالح كلهم فكانوا يتهمون نفوسهم في كل شيء ادعت الصدق فيه من مقام أو حال ويقول أحدهم لنفسه
يا نفس ما أكذبك علي في نسبتك الى الرياء والنفاق مثلا فما تقولين في هذا الغريب الذي وصفك بذلك فانه
ما نسبك الى الكذب الا بطريق شرعي وليس معك طريق وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى
يقول مكثت سنة ونفسي تنازعني في دعوى الاخلاص وأنا أقول لها تكذبين حتى مررت يوما في أزقة البصرة
فسمعت امرأة تقول لاخرى ان أردت أن تنظري الى رجل مراء فهذا مالك بن دينار فانظري اليه قال مالك
فقلت الذي انتصرت على نفسي وقلت لها يا نفس اسمعي اقبلي النصيح من هذه المرأة الصالحة اه وكان بعد
ذلك يقول من أراد أن ينظر الى رجل مراء فلينظر الي وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول لأن
أحلف اني مراء أحب الي من أن أحلف اني لست بمراء وكان كثيرا ما يعاتب نفسه ويوبخها ويقول كنت
في شبوبيتك فاسقا عاصيا وصرت في كهوليتك مرائيا منافقا والله الفاسق والعاصي أخف اثما عند
الله من المرائي والمنافق لان العاصي ينتظر من الله المغفرة ولا كذلك المرائي والمنافق لانه ذنب قل ان يشعر به
صاحبه حتى يتوب منه فاعلم ذلك والحمد لله رب العالمين

ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) ذكرهم لمناقب أقرانهم الذين يكرهونهم ويحسدونهم
بعد عدم حسدهم لهم وعداوتهم من ذكرهم بخير وقد كان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رحمهما الله
تعالى بعض شيء فذكروا عمرا عند خالد يوما فأثنى عليه خيرا فقيل له انه يكرهك فقال ان الذي كان بيننا
أمر الى ديننا اه وقد تخلقت أنا بذلك بحمد الله وذكرت مناقب أعدائي وحسادي من الفقراء والعلماء
نظرا الى جانبهم لا الى جانبي فاني لا أعادي أحدا من المسلمين لحظ نفسي وانما هم الذين يعادوني لعدم
معرفتهم بما يوجب العداوة من ترك صلاة أو شرب خمر أو تعاون الناس اذا ذكروا بالنقائص من

وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على

[illegible] لم نهمل وقت حاجتك كالبرهان على هنا [illegible]
[illegible] على لسانه فضلا عن أن يشتم جماعته بين الاقران
وقلة تكرمك كلما أتت بها [illegible] أتهم بالبعض أيس فأقتل مرات وبعضهم سعى في اشرابجي من مصر
وبعضهم دس في كتبي عقائد مخالفة لأهل السنة والجماعة وأشاعها في مصر والحجاز كما أشرنا اليه في
خطبة هذا الكتاب وبعضهم افترى على عند الباشا على الوزير باشت مصر أمورا لا ينبغي لمؤمن أن يتلفظ
بها ومدار جميع الاذى الذي وقع لي من ثلاثة أنفس من أهل مصر ممن ينسب الى العلم والصلاح وقد درج
الثلاثة الى رحمة الله تعالى وأرجو أن نجتمع في الدار الآخرة وانما ذكرت ذلك لتتأسى بي الاخوان في تحمل الاذى
من أهل عصرهم مع ان هؤلاء الثلاثة الانفس كانوا ينكر بعضهم بعضا ولكن اجتمعوا كلهم على التزاحم لهم
بالسعو في اسم الصلاح والعلم لا غير فصنعوا الى الاذى على حتى فسق سائر أهل مصر برد وسلام على ود د
بالغت في ذكر مناقب هؤلاء الثلاثة في طبقات العلماء والصوفية وذكرتهم بأحسن الذكر بقصد ما قصدوه
من الطهارة لما من الله تعالى به على من العفو والصفح والمسامحة وليقتدي بي الاخوان ولم أعلم أن أحدا
سبقني الى مثل ذلك من أقراني بل المنقول عن بعضهم مقابلة الاعداء بنظير ما فعلوا والحمد لله الذي خلقنا بهذا
الخلق المحمدي وجعلنا ممن لم يجز بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح والحمد لله رب العالمين الغفور الرحيم

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) طرح نفوسهم بين يدي الله تعالى اذا اطلعوا من طريق كشفهم
على وقوعهم في شيء من المعاصي في المستقبل وتبرئتهم من حولهم وقوتهم وبعيد ون يقولون في دعائهم وفي
سجودهم وغيره اللهم ان كان ما اطلعت عليه قد سبق به التقدير الالهي فاسترنا بين الناس ولا تؤاخذنا
به في الدنيا ولا في الآخرة وتصدق من صدقاتك علينا وان لم يكن ذلك قد سبق به التقدير الالهي فنسألك من
فضلك أن تزيله من شهودنا فانه قد كدر وقتنا فان الله تعالى ربما أجاب دعاء العبد وستره وغفر له أو محا من
لواح المحو والاثبات التلاعب به وستين لوما وايضاح ذلك ان أتى المخالفات بحكم التقدير الالهي من غير ميل
ولا شهوة ربما يكون أخف عقوبة ممن أتاها بالميل والشهوة وكان بعضهم يقول في سجوده اللهم انك تعلم
عجزي عن دفع شيء من أقدارك النافذة في فاغفر لي ما قد جنيته وتصدق من صدقاتك علي يا أرحم الراحمين فانه
لا يغفر الذنوب الا أنت فاعلم ذلك واعمل عليه والحمد لله رب العالمين

(ومن أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم) عدم اتعاب سرهم في تنميق ألفاظ في تأليفه وكثرة تحريره
الاستقصاء لبعدهم الناس على ذلك ويقولون ما قصر فلان في هذا التأليف واعلم يا أخي أن البشر ولو بالغ
في تحرير كتابه حتى حرره أشد تحرير فلا بد له غالبا من نسيان شرط المسئلة في بعض الاوقات أو اطلاق في محل
التفصيل قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وكان الشيخ محيي الدين بن العربي
رضي الله عنه يقول ما صنفت كتابا قط عن تدبير ولا اختيار انما كنت أكتب في مؤلفي ما يلهمني الله
تعالى اياه وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول سبب كون كلام البشر لا يسلم من الخطأ أو التحريف
أو التناقض عدم اليقظة الدائمة فلذلك كان يقع في الغلطات والسهو وكان سيدي أحمد الزاهد رضي الله
عنه يقول من الادب أن لا يطلب العبد عدم الاعتراض عليه مطلقا بل يرب من مضاهاة كلام الله عز وجل
ما أمكن اه

بحمده تعالى تم طبع كتاب تنبيه المغترين القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو كتاب
حوى من التصوف الغايه ومن مكارم الاخلاق النهايه وقد حليت طرره ووشيت غرره بكتاب
الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين للامام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي رحمهم الله برحمته وأسكنهم
أعالي جنته وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحميه بجوار سيدي أحمد الدردير قريبا من الجامع
الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابي الحلبي ذي العجز والتقصير في شهر رمضان
سنة ١٣١٠ هجريه على صاحبها أزكى الصلاة وأتم التحيه

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

